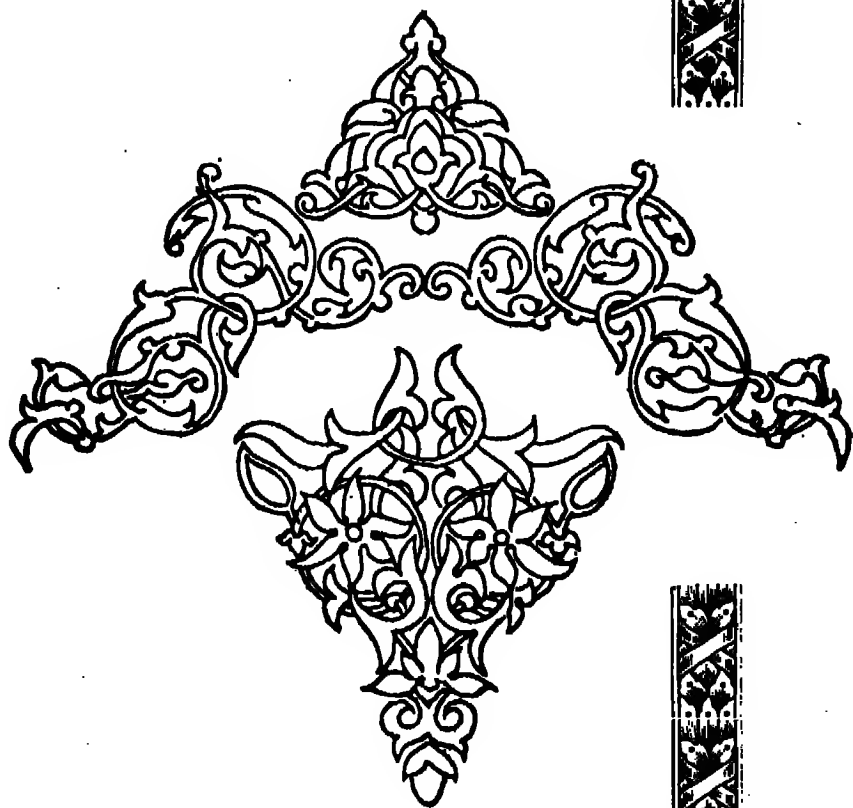


هَذِهِ هِيَ الصُّوفِيَّةُ

تأليف

عبد الرحمن البوكيل



دار الكتب العلمية

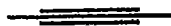
بيروت - لبنان

هَذِهِ هِيَ الصُّوفِيَّةُ

هَذِهِ هِيَ الصُّوفِيَّةُ

تأليف

عبد الرحمن البوكيل



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة

- ١٩٧٩م

دار الكتب العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد خاتم النبيين وسيد ولد آدم
أجمعين .

« أما بعد » فازلت أذكر ، وأنا طالب في معهد طنطا الديني ، ذلك الشيخ
الشبية يقسم لنا - وعيناه مُخَضَّلَتَانِ بالدموع وَنَبْرَاتُ صوته أصداء عميقة بعيدة
الغُورِ من الشَّجْوِ الوُلهَانِ ، والحنينِ الهائم ، والحرمانِ الجريح - يقسم لنا أن في
ضريح عبد العال المجاور لضريح البدوي شعرة من رأس الرسول ! ، وأنها معين
خير ، وقيض بركة ويؤمن ، ومطافُ آمالٍ ، ومَنهَوَى رجاء !! وأذكر أنني حين
سمعت حديثه ، يؤكده بقسم غليظ ، شعرت بقلبي ، وكأنما يود أن ينشق عنه
الصدر ؛ ليهفوَ في صبابته الملهوفة إلى معبد الشعرة يقبلها ، ويكنُّها في مهجته ، بل
شعرت كأنما حملت الملائكة إلى بشري الخلود !! .

وما زلت أذكر أيضاً أنني سألت الشيخ ؛ ليطمئن قلبي على هذا الأمل الخلو
الساحر الفتنة ، عما جعلهم يوقنون بنسبة هذه الشعرة إلى رأس النبي الأعظم ؟
فأجاب - تولاه الله بما قدّم - : لقد وضعناها في زجاجة ، وأقمنا حولها حلقة ذكر
 وإنشاد ، فإذا بالشعرة تذكر مع الذاكرين على دفيق الدفوف ، وحنّاتِ النايات ،
والنغم المطرب المرقص من الأناشيد !! .

وأذكر أنني آمنت بهذه الأسطورة كأنما هي من الله برهان ساطع !! وأذكر
أن الشيخ تداركنا - حتى يُحْكِمَ القيد - بحجة أخرى ، فزعم أنهم وضعوا الشعرة
تحت الشمس ، فلم يجدوها ظلاً !! وكان هذا الوم الوثني الجديد حجة عندي
تدحض كل ريبة !! .

وأذكر - ويارب غفرانك - أن خرافة الشيخ هذه غمرتني بنشوة سكرى

خِلْتُ فِيهَا أَنْتَى أَرَى الْجَنَّةَ ، أَوْ أَنْتَى صَحَابِي يَتْلُو عَلَيْهِ الرُّسُولُ وَخَى اللَّهُ !! .
فَكَنتُ أَهْنُو إِلَى هَيْكَلِ الشَّعْرَةِ خَاشِعِ الطَّرْفِ ، رَيَّانَ الْقَلْبِ بِالْوَلَاءِ ،
أُصَلِّي لَهَا بِنَجَاوَى الْحُبِّ الْعَابِدِ ، وَأَلْتَمَّ خَشْبَ هَيْكَلِهَا وَحَجَّرَهُ فِي شَغَفِ ثَائِرِ
الْأَشْوَاقِ عَزِيدِ التَّلَهْفِ ، وَأَنْهَنِي بِالْأَرْوَاحِ الْعَطِرِيَّةِ - الَّتِي أَخَالَ أَنَّهَا تَتَأَسَّمُنِي
مِنْهَا - دُمُوعِي الْمَسْكُوبَةِ لَوْعَةِ عَشْقٍ ، وَظُلْمًا غَرَامٍ !! .

وَتَعَالَى مَعِيَ أَذْكَرُكَ بِأَنْتَى كُنْتُ أَطُوفُ حَوْلَ صَنْمِ الْبَدْوَى ، حَتَّى إِذَا مَثَلْتُ
أَمَامَ الْكُفَّةِ الصَّغِيرَةِ فِي وَثْنِ النِّجَاسِيِّ الْبَرَاقِ ، أَنْفَذْتُ مِنْهَا يَدَيَّ - فِي رِعْشَةِ
التَّقْدِيسِ - حَتَّى الْمَسِ سِتْرَ الْقَبْرِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا رَوِيدًا رَوِيدًا فِي حَرَصٍ وَحْذَرٍ
بِالْفَيْنِ ، وَقَدْ ضَمَمْتُ قُبْضَتَيْهِمَا عَلَى . . . عَلَى مَاذَا ؟ كُنْتُ أَوْقِنُ حِينَئِذٍ أَنَّ
أُضْمِمُهَا عَلَى بَرَكَاتِ سَمَاوِيَّةٍ تَفِيضُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ عَلَى الْقَبْرِ^(١) !! ثُمَّ أَبْسَطُ يَدِي فِي
جَيْبِي ، ثُمَّ أَمْسَحُ بِهَا وَجْهِي ، رَجَاءً أَنْ أَكُونَ مُبَسِّرَ الرِّزْقِ ، دَانِي قُطُوفِ
النَّجَاحِ ، مُشْرِقُ الْوَجْهِ بِنُورِ اللَّهِ !! وَتَعَالَى - وَلَا تَسْأَلُ مِنْ ذِكْرِي آتِي ، فَإِنَّهَا عِبْرَةٌ
ضَحِيَّةٌ ، وَعِظَةٌ مَأْسَاةٌ - أَذْكَرُكَ بِذَلِكَ الدَّوِيِّ تَرْجِفُ مِنْهُ الْأَرْضُ ، وَتَرْتَعِدُ جُذُرُ
الْمَعْدِ حِينَ كَانَتْ تُوزَعُ أَسْئَلَةُ اخْتِبَارِ آخِرِ الْعَامِ الدَّرَاسِي . أَتَدْرِي مَاذَا كَانَ
يَحْدُثُ ؟ .

تَهَبُ هَذِهِ الْأَلْفُ الْمُضْطَرِبَةِ مِنَ الطَّلِبَةِ رَافِعَةً أَكْفَهَا فِي ضَرَاعَةٍ نَاعِقَةٍ بِمَا
لَا يَسْمَعُ ، وَلَا يَبْصُرُ ، حَتَّى لِيَبْحَ صَوْتُهَا ، وَتَتَمَرَّقُ حَافِجُهَا إِذْ تَنْقُضُ ضَرَاعَةَ :
يَاسِيدُ !! وَيَاوِيلُ السَّمْعِ مِنْ طُولِ « يَا هَذَا النَّدَاءِ » !! . لَقَدْ كَانَتْ تَطُولُ ، وَتَطُولُ ،
حَتَّى كَيْخَلِيلُ إِلَيْكَ أَنَّهَا دَخَانُ مَارِدٍ يَحْتَرِقُ ، فَيَلْهَسُ دَخَانَهُ قُبَةَ النُّجْمِ ، وَلَعَلَّهُمْ
كَانُوا يَقْعَلُونَ ذَلِكَ ؛ لِتَصِلَ أَصْدَاءُ ضَرَاعَتِهِمْ إِلَى حَيْثُ جُثِمَتْ عَلَى الْأَرْضِ فِي
غِيَابَةِ الْقَبْرِ جِيْفَةً مَنْ دَعَا !! .

(١) يزعم الصوفية أن فوق كل ضريح ولى نافذة مفتوحة في السماء ، يفيض الله
منها بركاته على الطائفين حول الضريح .

ولعلك تسألنى : وماذا كان يفعل بكم شيوخكم؟ كانوا يرفضون فى سكرة الحب* وذلل الخشية أيديهم المعروفة ، يمسحون بها وجوههم ، أو يمشطون لحامهم ، ومن بين الشفاء الدوابل تنساب هذه التهممة : « رضى الله عنك ياسيد !! » ثم يلتفتون إلينا ، وعلى وجوههم ألق الرضى ناصحين فى تأييد وإعجاب : « كفاية ماخلاص سيمفكم السيد !! » .

وتعال - وناشدتك الله إلا ما أصغيت غير مأل ولا كاره - أذكرك بذلك الشيخ الأكبر الذى كان بشرى الدهماء فى يوم « الكنسة » وكان يمزق عمامة صنم البدوى مزقا مزقا ، ثم يهديها إلى مريديه بركة - فى زعمه - من روى الله التى يفرق صبيها ذبالك الوثن !! .

لقد كان للشيخ الأكبر شيخ هو تاجر خيط فى المدينة ، وقد أعطاه العهد ، وألبسه « خرقه التصوف » ، وكان التاجر على أمية وجهالة ، بيد أنه كان خبيراً بزندقة الصوفية ، مؤمناً بها ، يئسها ، ويهوى بالهالكين فى سماتها !! .

ولقد كنا نرى الشيخ الأكبر ينفض من رأسه عبودية للتاجر الصوفى !! ثم يلثم يديه فى خشية ورهبة وإجلال !! وكنا نهتف إعجاباً بصنيع الشيخ ؟ إذ نراه دلائل قوية على إيمان عميق ، وتواضع كريم !! .

كذلك كنا نحصر كل الحرص على أن ننتشى بمشهد الشيخ ، وهو يطوف حول ضريح البدوى ، يتلمس نحاسه وستره ، حتى إذا بلغ فيه موضعاً منه ، راح يشويه بسعير القبل من شفتيه الناريتين !! ونحصر كل الحرص على أن نوفض من منازلنا سراعاً إلى « مولد » البدوى ؛ لنشهد سرادق الشيخ الأكبر المضروب على أنبى طويل عريض من الأرض احتفاءً بمولد الوثن الأكبر !! ولنظم طعامة ، ونشرب شرابه ، ثم نخرج من السرادق القنم الضخم مهرولين صوب النصب الكبير ، أو ما يسميه الدراويش « العمود أو الصارى^(١) » نقترف هذا ، لعلنا

(١) هو عمود طويل من الخشب مفرط فى الارتفاع مثبت فى قاعدة من الأثمنت

نصيب بركة من القطب الغوث الذى قيل لنا : إنه لا يحرص على شيء كما يحرص على شهود الليلة الخاتمة « للمولد » هو والأقطاب الآخرون والأوتاد والأبدال والأنجاب !! ولعلنا نبصر واحداً منهم فيما تجسد فيه من صور^(١) .

ثم تعال معى إلى الجامع الأحدى الكبير ، أو هيكل الطاغوت الأكبر ؛ لترى هذه الحشود التى يمور ، ويموج بها الجامع من نساء ورجال وأطفال ، وفدوا إلى الصنم من كل فجٍّ عميق ، وقد أشعلوا مواقدهم ، يطهون الطعام ، أو يصنعون « الشاي ، والقرقة » وأمام كل منهم « شوال » خبزه ، ووعاء « دُقَّتِه » وقد حبا على الأرض الأطفال يبولون ، أو يتبرزون !! .

، وهنا ، وهناك حانات ذكر يرقص فيها « الدراويش » وتَتَخَلَّعُ « الدرويشات »

* * *

ويزور بي شيخ من أهلى - وأنا صغير - القاهرة ، فيجوب بي الصحراء ، ويحتاز الأودية ، ويسلك المفاوز ، ويتعثر فى الجلاميد نشداناً لصريح ابن الفارض سعياً على القدم !! وهناك حيال الوثن الفارضى ، يغنى مرافق قصيدة ابن الفارض : « نسخت بحبى آية العشق من قبلى » فتذرف عيناه وعيناي الدموع ، ويحترق قلبي وقلبه شجناً على هذا العاشق المحروم ، عصف به الغرام ، وأضناه الحرمان !! . كل هذا كان !! ثم ماذا ؟ !

(١) كان قد حدثنى تقيب صوفى من قريقتى عن القطب وأنه رآه . قال : « كنا بمولد البدوى مرة دون الصارى فسمعت من بعيد فحيح زممار ، فرأيت شيخى يهرول إلى باب السراى ، ثم يكسر من قامته ، حتى لتكاد تمس رأسه الأرض ، ويرفع يديه فى رعب شديد يحى بهما رجلا أشعث أغبر منتهك السوأة ، ويده عكاز طويل ، يدب به على الأرض ، وقد تقدمه رجل مثله ينفخ فى « زممار » ثم تهد الرجل وهو يستعيد ذكرياته ، ثم قال : « وهكذا رأيت القطب ، فقد سألت شيخى عن الرجل الأول : أليس هو القطب ؟ وصاحب الزمار حاجبه ؟ فأجاب : بلى ، ولكن اكتم السر !! »

ثم هداى الله سواء سبيله ، وسلكت بى رعايته مسلك التوحيد والإيمان ،
فماذا حدث بعد ؟! تطلعت نفسى إلى الماضى اللوثى - وهى نهب حسرة حزينة
المأساة ، وخمىل أفراس معطرة - تطلّع الناجى من السعير مازالت فى أتونه المتأجج
ضحايا تعسة منكودة جنت عليها الصوفية ماجبت على ، وتطلعت إلى الريف
الحزين ، يستعبده شيوخ الطرق ، ويغصبون أيتامه مايؤصوص فيهم من
رمق خابى الشعاع ، وأرامله ماهن فى حاجة ملهوفة إليه ليسدّدن خلة ، أو يسترن
عورة ، ومسا كينه حتى الذبالة المحتضرة من حشاشتهم

تطلعت إلى الريف الوديع تجعل منه الصوفية فساد عقيدة ، وضلالة فكر ،
وذلة ومهانة فى الأخلاق ، ورذغة بدع وجهالة وخرافة وأساطير ، وعبودية خانعة
لهوى الأحبار ، وسدانة يعكف فيها السدنة على بنى طواغيتهم ، يبشرون
بسماحة برّه . وأريحية رحمته !! .

وتطلعت إلى المدينة يعبث فى أرجائها الصوفية ، فتحيل أهلها - حتى الكثير
من المثقفين منهم - عبيد قبور ، وعُباد جيف ، وأحلاس منكر وزور ، وموالى
أذلاء لكل طاغية باغية !! .

تطلعت إلى هؤلاء وأولئك ، وذكرت ما كابدته ، فصرخت موجعا من
هؤل الفاجعة أحاول إنقاذ الضحايا التعسة . المُفدّة السرى وراء الذئاب الضواري
من الصوفية !! .

وأ كتب ما أكتب ، ضارعا إلى الله وحده أن يتد بالمعونة - فنه وحده
يستمد - وأن يتبين لتلك الضحايا المسكينة أنها تتجرع الفسلىن تحسبه رحيقا ،
وتعلم الوذين تظنه فاكهة الخلد ، وتدين بوثنية - هى شر ما ابتدع الشيطان
لأوليائه من وثنيات ، وتخالها توحيدا مطيبا بروح الله !! .

هذا الكتاب

هذا الكتاب ، لهذا الكتاب الذى نصدره بهذه المقدمة قصة . فن أعوام خلت شكّا سماحة شيخ الصوفية إخواننا لى من أنصار السنة ، بدعوى أنهم ينالون من كرامة الصوفية ، فكان أن رجوت وكيل النائب العام أن أقف وحدى موقف المتهم ، فلم يجد المحقق ما يأخذنا به ، وقد قدمنا له الأدلة الدامغة من كتب الصوفية على مادمخنام به ، وعلى صفحات « مجلة الهدى النبوى » نشرت - بعد التحقيق

معى - خطاباً مفتوحاً إلى سماحة الشيخ ، فيه مافيه من حق يصعق باطلا ، وتوحيد يقضى على وثنية ؛ ليعلم الشيخ ومن خلفه ، أنهم مهما كادوا لنا ، أو مكروا بنا ، فإننا لن نسكت عن أساطيرهم ، ولأحقته ، فيضرب بكل سهم فى جمعبته ، فتكون فرصة أهتبلها ، لكشف خفايا الصوفية أمام كل جهة يشكو إليها منى ، وألح إخواننا أنصار السنة هنا وفى السودان العزيز وغيره فى طبع الخطاب . فطبعت منه آلاف النسخ ، فكان أن صودر فى السودان بأمر الحاكم العام السابق ولما أن نفذت نسخة طبعه إخواننا فى سوريا الشقيقة^(١) . قدامهم إلى :
لأندونيسية . :

وألح إخواننا فى طبعه مرة أخرى ، فعدت إلى الكتاب أكتبه من جديد وأزیده كثيراً من النصوص ، وموضوعات جديدة لم تكن فى طبعته الأولى ، حتى أربى الكتاب على ضعفى حجمه الأول ، فليس افتثاتا على التاريخ أن أسميه :
« هذه هى الصوفية » بدلا من اسمه الأول « صوفيات »^(٢) « وسيرى القراء كما

(١) طبع هناك تحت إشراف الأخ الكريم الأستاذ « محمد نسيب الرفاعى » عن جماعة الصراط المستقيم بحلب عام ١٩٥٢ م وقد جاء فى مقدمته الرائسة التى قدم له بها الأخ الكريم ما يأتى : « إن بوادى خاتمة أولياء الشيطان قد لاحت ، وبشائر انتصار الحق على الباطل قد دقت ، وإن هذه البوادر والبشائر لاحت جميعها من هذا الكتاب - صوفيات - هذا الكتاب الذى ساوم المبطلون الفناون صاحب المطبعة التى طبع فيها على إعطائه أجرة الطبع ، وقبحة الورق مقابل تسليم الكتاب لهم ليحرقوه .. هونا أيها القوم ، مايعنيكم إحراق كتاب الصوفيات ؟ أليس مأخوذاً عن كتبكم ورسائلكم ؟ إن كل تهمة موجهة إليكم فيه إنما هى منقولة بالحرف الواحد من مجلدات تتحداكم أن تقولوا إنها ليست لسادتكم وكبرائكم » .

(٢) رد عليه كاتب فى السودان بكتيب سماه « الجياد الصافات فى الرد على صوفيات » ورد عليه كاتب فى سوريا بكتاب سماه « نفس الصوفيات » فكان رد هما أبلغ دليل على أن الصوفية وثنية عفنة ، وحجة على أنهم فى ضلال مادمغناهم به .

عودتهم ، أننى لم أرم الصوفية بغير مابه تدين ، وأنا لم نعتد بقول أحد فى الصوفية ، وإنما اعتدنا بنقل نصوص كثيرة من كتب الصوفية بينة الدلالة على معتقدهم ، مقارنين بينها وبين بعض آيات القرآن الكريم ، وأحاديث خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، هذا لكيلا يفترى صوفى أننا نرميهم بغير مايفترون على الله . كئنا نستطيع أن نصنع صنيع بعض نقدة الصوفية قديماً وحديثاً ، فنأتى بفتاوى أئمة المسلمين فى شأن الصوفية ، أو نقل ماقلوه عن الصوفية من نصوص ، بيد أنى رأيت أن يكون للعدل والحق والتحقق الرعاية الأولى ، فنقلت دين الصوفية من كتبهم التى يؤمنون بها ذا كرا اسم الكتاب ، وتاريخ ومكان طبعه ، ورقم الصفحة التى عنها نقلت ؛ لأرى الظن والريب باليقين الواضح ؛ ولأبعد كل شبهة تتوهم أننا نفتات عليهم ، أو نهتهم ؛ وليكون كل قارئ مفتياً لنفسه بالحق ، وحكماً بين الحق وباطلهم .

وقد يعيب علينا بعض من سحرتهم طقوس الصوفية ، وشاعرتها الكهنوتية العُنفَ فى الحاجة ، لكننا لهؤلاء نقول : رويدكم !! فإنما نسرى بأسمائنا ، ونصفها بصفاتنا ، فلا نقول عن الزقوم : إنه تفاح الجنة ، ولا عن الفسلىن : إنه رحيق الفردوس ، ولا عن الشرك : إنه توحيد ، بل لانحب أن ندهن النفاق فنزعم أن شرك الصوفية خطأ ، فحسب ، كما ينافق بعض الشيوخ الذين مرَدُّوا على النفاق ، ومرنوا على الخادعة والمداجاة ؛ ليحسبوا مع الكافرين ، ومع المؤمنين !! وعجب مُغْرِبٌ فى العجب ، أن نغضب ، بل نرتجف من الحنق إذا دُعينا نحن بغير أسمائنا ، ونحقر من ينتسب إلى غير أهله ، ثم لا نغضب من نعت الباطل بأنه حق !! وعجب ذاهل الدهشة أن نرى بالعمى والجهالة من بسم الليل : بأنه نهار مشمس ، أو من يقول عن المر : إنه حلو ، أو من يقول عن الثلاثة : إنها واحد !! أو من ينسب إلى مذهب رأى مذهب آخر ، أو من يخطئ فى حقيقة تاريخية ،

أوجرافية ، أو مادة قانونية ، ثم لانرى بهما - بالعمى والجهالة - من ينعت الصوفية بأنها إسلام صحيح ، ومن يقول عن الطائفتين حول القبور ، اللانذين بأحجارها الصم : إنهم مسلمون !! ثم يكرر : ليحسب مع المسلمين ، فيقول عن أولئك : ولكنهم مخطئون !!

عجب أن نكفر من ينسب إلى محمد صلى الله عليه وسلم حديثاً موضوعاً ، والقائلين بأن الله ثالث ثلاثة ، ثم نحكم بالإيمان الحق لمن ينسبون إلى النبي أنه البصوفى الأول ، وأنه الموحى بدين الصوفية !! من يقولون : إن الله عين كل شيء وأنه مليون ملايين !! نحكم بإيمان هؤلاء ، لالشيء سوى أن لهم أسماء تشا كل أسماء للمسلمين !! .

إن الحق والدفاع عنه يهتمان علينا أن نسمى كل شيء باسمه ، ونصفه بصفاته ، وإلا افترينا عليه ، وجعلنا للباطل السُّورَةَ والصولة ، وداجينا في الإيمان . أما هذه النعومة والطرارة والرخاوة المخنثة في الزياد عن الحق ، والجهر بكلمة الحق ، أما ذلك فشر أنواع الجبانة الدليلة ، والخداع والرياء والعجز للمهين !! قولوا عنا ماشئتم ، فإن للحق صولة تحتاج كل صولة أخرى ، ولن ينال منها أن ترموا بعض جنده بالعنف في البيان والحاجة . وعجيب أن نرى بالعنف ، أو ينتقد علينا هذا في الدفاع عن أعظم مقدسات الدين والفضيلة ، والله يقول (٩ : ٧٣) يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ، واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم ، وبئس المصير) .

قولوا ماشئتم ، فليس بنافع ماتقولون به في الزياد عن الصوفية أو الإبقاء على رمقها الشاحب المحتضر !! بل ستبقى رغم ماتقولون به تلك الحقائق الصاعقة العاصفة المدمرة تذك هيا كل الصوفية . ستبقى شاهد عدل وحق ساطع البرهان على أن الصوفية عدو الإسلام الألد الخصام ، بيد أن هذا العدو يسحرك بغزل

التقبيل ، ويسكرك بخمرة العناق ، حتى إذا أغمضت عينيك النشوة الحاملة ،
أنفذ إلى صميم قلبك خنجره السوم .
وما نشترى بما نكتب رضا الناس ، وإنما نبتغي به رضا الله ، فله ما بذلت
من جهد ، وأضرع إليه سبحانه أن يدخره لى جهدا فى سبيله ، وألّا يضيعه بذنب
منا نقترفه ، وهو مولانا ونعم النصير .

عبد الرحمن عبد الوهاب الوكيل

القاهرة

١١ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٥

٢٦ من نوفمبر سنة ١٩٥٥

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

مقدمة

معذور

شكوتَ إلى النِّيابةِ يا سماحة الشيخ^(١) ؛ لَتَنْتَصِفَ لك من إنسان يدعوك
إلى الحق ، وإلى الإيمان به .
ولا تثرِب عليك !! فَهَتَكَ القِنَاعُ السُّخْرِيَّ عن الصوفية حرمانُ لِكَهْنَتِهَا
من الشُّعْثِ يُجْبَى بِاسْمِ الْأَوْثَانِ . ولم لا ؟ ! .
وسيراها الناس تَمَّتْ أمشاجاً من اليهودية الباغية ، والجوسية الماجنة ،
والوثنية المستغرقة في الجحود !! سيرون الصوفية الغَزَلِيَّةَ الفَتونَ سَحَاءَةً من الشرك
الخالِئ تَمِضُ على شفتيه بسمات الغانية الْمُتَبَرِّجَةِ ؛ لتفتك ، وتقتل !! .
أرأيتَ إلى من شكوته ، كيف يَفْتَرِي لك العذر ، ويتسم إشفاقاً عليك
من ثورتك العارمة عليه ؟ ! وما تَنْقِم من هذا المسلم سوى أنه يبصرُك بجناية هذه
الجماعة التي قال الله فيها (٣٦ : ٦٠) ألم أعهد إليكم يا بني آدمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ،
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ؟ !) يُبَصِّرُكَ بجنابتها الظالمة على الدين الحق وقيمه الروحية .
على الفكر المُلْهِم ، والأخلاق التي تَسْتَوْحِي السماءَ والنورَ والسموَّ والهداية . على
المُثُلِ العليا للجماعة الإسلامية .

أملنا في الشيخ

ولقد كنا نأمل - والشيخ من كبار علماء الأزهر - أن يقود هذه الجماعة الضالَّةَ
الْحَزِيْرَى إلى هَدْيِ اللَّهِ ، وأن يحول بينهم ، وبين تَدْمِيرِ ما للجماعة الإسلامية من
مُقَوِّمات ، وما لديها من قِيَمٍ ، وما زال الأمل يُغْرِبُنِي طَيْفُهُ الشاعراً أنك يا سماحة

(١) المقصود سماحة شيخ الطرق الصوفية فاله يوجه الخطاب .

الشيخ ستفعل ذلك للمالك في ماضيك من سوابق خير ، وأوقن أنك لو فعلت ،
لكنت ليث بطولة فادية ، تهتف بها الأحقاب في إعجاب ، وترتل الثناء عليها
مزاميرُ القرون ١١ .

ضميمة

هذا رجاء شاب مسلم أغوى صباه الغرير سحرُ الصوفية ، فَجَرَّعَتْهُ زُعَافَهَا
يحسبه خمرة الجنة تدهق كثوسها الملائكة ، وغسلينها بخاله رحيقاً تُرويه به
الخورُ النواعم ، ثم أشرقت على روحه المظلم أشعة الهدى من كتاب الله ، فنظر ،
فماذا رأى ؟ .

رأى ماضيه الصوفيَّ شيطان كفرٍ ماردٍ يقتال إيمانه ، وشركٍ يعصف بالرمقِ
الشاحب من توحيده ، فيأخّر قلباه ١١ كان الفتى اليتيم الروح يأمل أن يمشى
على الماء ، وأن يُصَلِّقَ بجناحيه فوق قبة النجوم ، وأن يتخذ بالروح الإلهيِّ الأعظم ،
وأن يهتلك - كالشهاب الناقب - حُجُبَ «السَّوِيَّةِ وَالغَيْرِيَّةِ»^(١) ؛ ليشهد حقيقة
الوحدة الكُبْرَى ، وحدة الوجود ، ويسعد بها ، وقد تحققت في ذاته ١١ كان
يأمل ذلك كله ، فبكل هذه الأساطير المجوسية وعدته الصوفية . ولكن ١١
وآه بما بعدها من أدمع وجراح ١١ .

أملت أن أمشى على الماء ، فكانت الحُمَمُ المدمدמתُ من سقر ١١ .
أملت أن أخلق بجناحيَّ فوق الأفق ، فإذا بهي مأساة الشرك التي قصَّها الله
في كتابه (٢٢ : ٣١) ومن يُشْرِكْ بالله ، فكأنما خرَّ من السماء ، فتخطفه الطيرُ ،
أو تنهوى به الريح في مكان سحيق) .

فَمِنْ ذُرَّةِ القَمَةِ الحَالِمَةِ الخيال هويت - يَدُ كُنَى الصخر الأَصْمُ الناقى -
إلى غَوِيٍّ سحيق سحيق ١١ .

(١) اصطلاحان صوفيان مأخوذان من كلمتي «سوى وغير» والصوفي الحق في
دين الصوفية من يوقن أنه لا «سوى ولا غير» أى يرى الكل عيناً واحدة ١١

وهناك على الصخور الحذاء بقيت منى أشلاء متناثرة ، تروى لك عبرتى
الحزينة المفجوعة ١١ .

وهنا فى القلب الدامى جراح نازقة تنوح بين يديك بمأساتى الدامية ١١ .
أملت الاتحاد بالروح الإلهى ، فلم أجد غير الشيطان ينفث فى دى فتونته ،
ويطلّنى فى غرائزى غيّبا يتمشّق كل ساجية ١١ .
أملت شهود الوحدة الكبرى ١١ .

وآه من هذه الأسطورة الناعسة الفتنة ، المكحولة الآثام ١١ .
فقد وعدتنى الصوفية أن هذه الأسطورة ستجعل منى إلهاماً ثائر الرغبات ،
عاصف الشهوات ، يجمّح به هواء إلى امتحان ألوهيته فى سبيل مثل هذه الرغائب
التي تشهّها الحرمان من شاعر ظالم الجسد .

آه يا يوم التلاق ليتنى كنت إلهاماً
لأبجحت الناس لنا من خدوداً وشفاها

وعدتنى بالرؤية تتجلى في بصورة بشرية ، فأصرف الوجود بقدرى القاهر ،
وقضائى الذى لا مَرَدَّ له ، وأسخر السماء والأرض ، والمواصف والجن ، والملائك
والخوَر ، أسخرهم لصبّوات شبابى ، ونزوات هواى ١١ .

ألم يُبجّ كاهن الصوفية التلمسنى فى دينه الأم والأخت ، ويرمى من يجرمها
على الابن والأخ بأنه محبوب ؟ (١) .

ألم يؤكد طاعوت الصوفية الأكبر «ابن عربى» (٢) أن الربّ الأعظم غانية
هَلُوكَ تحترق الشفاء على ثمرها قبلا دنسة ملتبهة ١١ وأن هذا الربّ لا يبلغ كال
تجليه الأعظم إلا حين يتجسّد فى صورة أنثى تحتاج أنوثتها خطيئة كل عزّ يزيد
فى غيابة الليل ١١ قد يتجلى هذا الربّ فى صورة ملكٍ أو رجلٍ ، بيد أن تجلّيه

(١) ص ١٧٧ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية .

(٢) هو محمد بن على بن محمد الحاتمي الطائى الأندلسى مات سنة ٦٣٨ هـ .

في صورةٍ ماجنةٍ تُغَوِّلُ بالشهوة ، وتصرخ بالرغبة ، وتَتَمَتَّلُ بالمفاتن ، وتغازل بالإلتم - تجليه في تلك الصورة أحلى وأجل ، وأتم وأكل ١١ .
إذ يتجلى في الرجل بصورة فاعل ، أما في المرأة فيتجلى في صورة فاعل ، وصورة منفعل ، وصورة فاعل منفعل معاً في تجلٍّ واحد^(١) ١١ .
تثليث آخر ١١ غير أن وراءه شهوة متمردة تنزُّو به ١١ عُدْرَاكَ إن جَمَحَتْ بي رغبتى في الزيادة عن الحق إلى ذكر خطايا صوفية ، يَدْمِي منها حتى الخزي ، وتثير الحياء في صفاقة وجه البني ١١ . عُدْرَاكَ فإنما نجاهد لتدمير الطاغوت الأكبر ، وشيخ الصوفية يشكو منا إلى النيابة ، لأننا نكشف لهم ما افتراه الشيطان من أديان وثنية ، فتن بها الآبقين من الخلق ، وسماها لهم صوفية ١١ .

ففى الكهان يبشرون بها على أنها توحيد يشع منه وحده الحق ، وإيمان سماوى الروح ، عُدْرِيُّ الحب ، فكان خطرهما الناجم الدائم ، هو القاصمة ، بل كانت أشد خطراً على المسلمين من الجوسية ، فهذه مُسْتَعْلِنَةُ التَّبَغْيِ لها من قلنسوتها آية . أما الصوفية ، فَبَسَمَاتٌ حلوة خلُوب ، ونجاوى ناعمة شَفَّ رَقَّتْهَا عشق محروم ، ونفثاتٌ عِذَابٌ آسرة ، وعمائم منتفخة كالبطون المُنْمَخمة من الحرام ، وَلِحَى بيضٌ مُرْسَلَةٌ على قلوب سود ، يعيث فيها مشطٌ مُؤَسِّسٌ ، ومسبحات بألوان الطيف مسحورة الهَيْئَةِ ، لاتمل من الترتيل ، مَوْشَاةُ الذوائب ، مُنْعَمَةٌ الأنامل ، تصطفق حَبَّاتِهَا في رعونة نائرة ١١ .

واجب الشيخ

كان واجب الشيخ - وقد ذكرته بهدى الله - دعوة أتباعه إلى الإسلام ، يؤمنون بالكتاب والسنة ، ويكفرون بالصوفية ، وتراثها الوثنى ، فإن لم يرض أتباعه بالله وحده ربا ، وبكتابه - فحَسْبُ - إماما ، ورسوله الحق وحده أسوة
(٣) سيأتيك نصه بلفظه .

وقدوة ، كان حقاً على الشيخ أن يفر إلى الله مُخْبِتاً مُؤْمِناً ، وأن يترك - رَضِيَّ النفس - هذا المنصب وأصنامهُ ، ترجعها لعنة الله !! .

لماذا أكتب للشيخ ؟

في خيالي الكليل شَقَقُ خَابٍ من حسن الظن بالشيخ ، وأطيايف شاحبة الصور تُخَيِّلُ لي أن الشيخ على جهالة بدين الصوفية . وبما تطفح به كتبها من وثنية ، ومن أعماق نفسى الحانية ينبعث دعاء ناثر الإلحاح في بَرٍّ وإشفاق ، يدعوني إلى أن أنشر بين يدي الشيخ ، وصَوَّبَ فكره وعينه كتاب الصوفية ليرى فيه صور أربابها - وتعالى جَدُّ ربنا الحق - ، ورسولها - وبرأ الله خاتم النبيين من بهتانها - ، وأوليائها - وحاشا أولياء الرحمن أن تمسهم صوفية - ، فلعل الشيخ حين يرى هذه الصور التي تفجع النفس والضمير والخلق الكريم والفكر البصير ، يهب بها على الجاهلية الصوفية ثورة حق قوى لطمه باطل ، وعزم مشبوب أحققه ظلمٌ خاتل . وهناك يروى التاريخ عنه للأباد الواعية قصة البطولة القادية ، وتزخر القلوب المؤمنة بمشاعر الإعجاب به آية حب عميق ، ودليل أخوة في الله . أترك تفعل يا سماحة الشيخ ؟ !

وإلا فسَنَظَلْ - بعون الله - نُلهب بسياط الحق ظهورَ الآبقين ، ونَدْكُ بمحاوله - غير هَيَّابَةٍ ولا واهنة - معابد الأصنام ، حتى نخر على سدتها وعبيدها ، وإن يحول بيننا - بتوفيق الله - وبين التذكير بماهدى الله إليه ، وفرض علينا الجِلَادَ المُسْتَلِمَ دونه ، عواصف شرٍ تثيرها علينا أحقاد الصوفية المُسْتَعْرِة ، فما لقلب المؤمن أن يرهَبَ في الحق إلا من فطره ، ولا أن يرغب إلا في رضا (٩ : ١٢٩) فَإِنْ تَوَلَّوْا ، فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ، لا إله إلا هو . عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم) .

دين الصوفية

للسوفية مدد من كل ناحية ودين إلا دين الإسلام ، اللهم إلا حين نظن أن للباطل اللثيم مدداً من الحق الكريم ، وأن للكفر الدنس روحاً من الإيمان الطهور . والصوفية نفسها تبرا إلا من دين طواغيثها مؤمنة بأنه هو الحق الخالص . يقول التلمساني - وهو من كهّان الصوفية - « القرآن كله شركٌ ، وإنما التوحيد في كلامنا ^(١) » . وابن عربي يزعم أن رسول الله أعطاه كتاب فصوص الحكم - وهو دينُ زندقته - وقال له : « اخرج به إلى الناس ينتفعون به - ويقول : خفقت الأمنية كما حدّه لي رسول الله بلا زيادة ولا نقصان » ثم يقول :
فمن الله ، فاسمعوا وإلى الله فارجعوا ^(٢)

على حين يذكر الحق وتاريخه الصادق أن الصوفية تنتسب إلى كل ناحية مارقة ، وتلتهب منها أخبث ما تدين به ، ثم تفتريه لنفسها ، مؤمنة به ، وتحمل على الإيمان به كل فراشة تطيف بجميحه ، وإلا فهل من الإسلام أسطورة وحدة الوجود ، وخرافة وحدة الأديان ؟ ! فتلك تزعم أن الله سبحانه عينُ خلقه ، عينهم في الذات والصفات والأسماء والأفعال ، تزعم أن واهب الحياة ، وخالق الوجود عينُ الصخر الأصم ، والرمة المغنة ! ! ووحدة الأديان تزعم أن كفر الكافر ، وخطيئة الفاجر عين إيمان المؤمن ، وصالحة الناسك ، تزعم أن دين الخليل هو دين أبيه آزر ، وأن إيمان موسى عين كفر فرعون ، وأن وثنية أبي جهل عين توحيد محمد ، فكُلُّ رب الدين ورسوله ! ! كل تَعَيَّن للذات الإلهية ، غير أنها سميت في تَعَيَّن بمحمد ، وفي آخر بأبي جهل ، وهي هي في مظهرها ، أو اسمها ! ! تزعم أن دين إبليس وإيمانه عين دين أمين الوحي ، وروح إيمانه ، بل زادت

(١) ص ١٤٥ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية .

(٢) ص ٤ فصوص الحكم بشرح بالي ط ١٣٠٩ هـ

الخطيئة فجوراً ، فزعمت أن إبليس أعظم معرفة بآداب الحضرة الإلهية من أمين الوحي ، وأسمى مقاماً !! .

أفمن دين الإسلام هذه الخطايا الكافرة ؟ .

افتراء على دين الله

ولكن ما بالي أسرف في الحجاج ؛ لأثبت ما ليس في حاجة إلى دليل يثبتته ، بل ما الصوفية - نفسها - تقرر مؤمنة به ؟ .

سلوها لم انتبذت من المسلمين مكاناً قصياً تسمى فيه المدنسين برجسها صوفيين ، لا مسلمين ، والاسمان متقابلان تقابل الظلام الجائر ، والضوء الباهر ؟ سلوها لم تمت ماسى به الله من يعبدونه على بصيرة ، وتنجح إلى اسم ماله من دلالة إلا على كفر أو مذلة ؟ سلوها من هم كهان دينها ، وأخبار طقوسها ؟ سلوها لم تؤرث أحقاد طواغيتها على الكتاب والسنة ؟ سلوها لم تفتن الأغرار عن دين الحق ، فزعم لهم أن الإسلام شريعة وحقيقة ، تعنى بالشريعة مأواه الله إلى رسوله ، وبالأخرى وساوس الأبالسة النافثين لبدع الصوفية . سلوها ، وسلوها ؟ ولكن لا تكذبوا أنفسكم ، فهذا ابن عجيبة الفاطمي الهوى ، الصوفي الدين يلهمكم جواب ماعنه تسألون ، فإليكم ما افتراه : « وأما واضح هذا العلم « يعنى التصوف » فهو النبي صلى الله عليه وسلم علمه الله بالوحي والإلهام ، فنزل جبريل أولاً بالشريعة فلما تقرر ، نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض ، وأول من تكلم فيه ، وأظهره سيدنا على كرم الله وجهه ، وأخذ عنه الحسن البصري^(١) » وإنها لفريضة جائرة الإفك على رسول الله ، وبهت له بجرمة ملعونة ، جريمة كتمان العلم ، وأى علم ؟ إنه علم الحقيقة في دين الصوفية !! أفیکم الرسول الحق وعلمه ودلائله ،

(١) ص ٥ إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ج ١ ط ١٩١٣ م . وفي قوله ذاك دليل الصلة الوثيقة بين الصوفية وبين الشيعة التي تؤله أئمتها .

وقد تواعد كاتم العلم بعقاب شديد من الله « من كتم علماً يعلمه الله إياه ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار ^(١) » ثم وراء هذا البهتان اتهم صريح لأبي بكر وعمر وعثمان ، ومعهم خيار الصحابة من السابقين ، بأنهم كانوا أنصاءً ضلالة وجهالة بما يعرج بالروح إلى محبة الله ، وراءه محاولة حقود مصممة على تجريد الجماعة الإسلامية من خيار سلفها وخيار خلفها من صفة الإيمان الحق . وحسب الصوفية أن تبوء هي وحدها بما تبهت به الصديقين والشهداء .

وسيلة المعرفة عند الصوفية

ويدين الصوفية ببهتان آخر يدمغها بالمروق عن الإسلام ، ذلك هو اعتمادها أن الذوق الفردى ^(٢) — لا الشرع ، ولا العقل — هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها . معرفة الله وصفاته ، وما يجب له ^(٣) ، فهو — أى الذوق — الذى يقوم حقائق الأشياء ، ويحكم عليها بالخيرية أو الشرية ، بالحسن أو القبح ، بأنها حق أو باطل ، فلا جرم أن تدين الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة ، ولا يجب أن ترى النحلة منها تعبد وثناً بغير ماتعبده به أخرى ، أو تمنع لصنم يكفر به سواها من النحل الصوفية ، لا عجب من ذلك كله ، مادامت تجعل « الذوق » الفردى حاكماً وقيماً على المسميات وأسمائها ، فيضع للشئ معناه مرة ، ثم ينسخه بنقيضه مرة أخرى . هذه الحدة فى توتر التناقض صبغة الصوفية دائماً فى منطقها الخبول ، ولقد ضربت الصوفيين أهواء أبحارهم بالخيرة والفرقة ، فخالوا طرائق قددا ، تؤلّه كل طريقة منها ما ارتضاه كاهنُها صنماً له ، وتعبد به بما يفتريه هواء من خرافات !!

(١) أبو داود والترمذى وابن جبان والحاكم وصححه من طريق أبي هريرة وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢) يعنى به الذوق الخاص بكل إنسان .

(٣) لم تقل : وما يستحيل عليه . لأن الصوفية تؤمن بأنه سبحانه يجب له كل شئ ، لأنه عين كل شئ ، فلا يستحيل عليه نقص ولا عجز .

على حين يجمعهم على الوحدة هوى واحد ، وغاية واحدة ، هي القضاء على الإسلام والجماعة الإسلامية .

وما إخالك ياسماحة الشيخ تترى فيما ذكرته لك ، فأنت به خير ، وإلا فقيم هذه الشَّيْخُ المتطاحنة^(١) ، وفيهم هذه المشيخات المتنازدة ، كلما دخلت واحدة منها عليك لعنت أختها ، بل فيهم هذه الحرب التي يثيرونها عليك في مكر دنيء ورياء ما كره ؛ إذ جلست على عرشهم دون أن تكون لك قدم ثابتة في التصوف ، ودون أن تنصَّب شيخ طريقة من قبل !! قلها صريحة الجراءة ياسماحة الشيخ ، يهب الله لك هداة ، ومقام الصَّدِّيقين ، وإنه للخَيْرُ الذي تنشده نفس كل مؤمن

الفصل الثاني

آلهة الصوفية

يفترى الصوفية - فالهم من سجية غير ذلك - أنهم الذين يعرفون الله معرفة لا يمس يقينها ريب ، ولا يشوب جلال الحق فيها شبهة ، ويصمِّمون المسلمين بعمى البصيرة^(٢) ، وعمَّة العقل ، وخطَل الفكر ، وجمود العاطفة ، وفساد الذوق ، وخمود جذوة الحياة في الشعور ، والإغراق العميق السحيق في المادية السماء ، والجمود الأحق على عبادة التاريخ ، وما زالت تلك دعواهم . فما الرب الذي يعبدونه وإذا شئت إحكام الدقة ، فسلهم : ما الرب الذي اختلقوه ، ثم عبده ؟

ناشدتك الله - إن مسك فيما أقول وهم ريبة ، أو فتنتك منهم عن الحق

(١) يقول رويم البغدادي : « لا يزال الصوفية بخير ماتتافروا ، فإن اصطالحوا ، هلكوا » ص ١٨١ طبقات الصوفية للسلي ، فليتنافر المسلمون ، وليتطاحنوا ، فهذا دين الصوفية .

(٢) يقول نيكلسون « والصوفية لا يفتشون يعلنون أنهم أمة الله المختارة » ص ١١٧ الصوفية في الإسلام ترجمة نور الدين شريعة .

غزل ابتسامة ، أو ترنيمة عاشقة بتسييحه أو دعاء ، ناشدتك الله إلا ماقرات شيئاً من كتبهم ، لتعرف رب الصوفية الأعظم . اقرأ من الفتوحات ، أو الفصوص ، أو ترجان الأشواق ، أو عنقاء مغرب ، أو مواقع النجوم ، وكلها لابن عربي . اقرأ من الإنسان الكامل للجبلى ، اقرأ من تائية ابن الفارض وشرحها للنايلسى أو القاشانى ، اقرأ من الطبقات والجواهر والكبريت الأحمر للشعرانى ، اقرأ من الإبريز للديباغ ، اقرأ من كتاب الجواهر ، والرماع وهما للتيجانية ، وروض القلوب المستطاب لحسن رضوان ، بل اقرأ حتى مجموع الأوراد الذى يتعمدون به الآن ودلائل الخيرات ، « وأحزاب » الكهنة منهم فى العشايا والأسحار .

إن الصوفية تمتع ابن عربى بأنه « الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر » ونحمله ساجدة ، والجبلى بأنه « العارف الربانى والمعدن الصمدانى » وابن الفارض بأنه « سلطان العاشقين » والشعرانى بأنه « الميكل الصمدانى والقطب الربانى » فما أدعوك إذن إلى تلاوة كتب تنغم منها الصوفية دلائل الحق ، وإشراق الهدى ، بل إلى كتب تقدسها الصوفية على اختلاف نوازعهم ، وتباين أهوائهم ، ويحلوها - ولا أعدو الصدق إذا قلت يعبدونها - ويرونها الأفق الأسمى لنور التوحيد ، والنبع السلسال لقيوس الربانية ! فإن قرأت شيئاً من تلك الكتب ، فتدبر بعده آية واحدة من كتاب الله ، واقذف بنورالحق الإلهى على دياجير الباطل الصوفى ، وثمت يروعك ، ويستفز الغضب الثوائر من لعناتك أن تجد الصوفية تدين ربَّ يَتَجَسَّدُ فى أحقر الصور ، وَتَتَمَيَّنُ « هُوِيَّتُهُ » وَإِنِّيَّتُهُ^(١) فى أنتن الجيف ، وتمثل حقيقته الوجودية صوراً أوهام فى الذهن السكليل ، وظنون حيرى فى الفكر الضليل ، وتهاويل أسطورية فى الخيال . ألم تؤلِّ الصوفية فى دين كاهنها

(١) الهوية عندهم هى الحقيقة الباطنة للذات الإلهية ، والإنية هى حقيقتها الظاهرة فى مجالها المتنوعة .

التلساني رِيَّة كلب تقزز من صديدها الدود^(١) ؟ !

ومعذرة بإسماحة الشيخ ، فوالذى هدى المسلمين إلى دينه الحق ، وأوجب الجهاد
دونه ، ماقلت إلا الحق للحق ، وما رميت إلا بالحق ، وإن شئت فمرحبا بموعد
نلتقى فيه للمحاجة ، فاختر ما شئت من أمكنة ، وإن يكن قبة البدوى !!
وهاك من النصوص ما يكشف لك في جلاء عن معتقدات الصوفية ، وسأختار
من النصوص ما لا يكره التأويل ، من كتب تتخذها الصوفية شرعة لها ومنهاجا
في الدين ، وتجعل أوثان من افتروها مطافات تستزوح عندها - كما تزعم - نسائم
الجنة ، وعيير الخلود ، ورّوح الله ، وتضرع إلى جلاييدها الصم أن تهب للروح
السكنية ، وللقلب اليقين المطمئن ، وأن تمد الوجود بالحياة النياضة بالخير واليُمن
والبركة ، وأن تكشف لعبادها حقيقة الربوبية والإلهية ليخرجوا إلى الاتحاد بها ،
وترجو ما ينخر في عظامها من سوس ، وينهش لحومها من دود ، أن يُصَرَّف
كُهمان الصوفية في أقدار الله ، وأن يجعل لهم السلطان على قضائه ، وأن يُخلِّق بهم
فوق الذرى السامقات من أقداس الربانية !!

إله ابن الفارض^(٢)

يؤمن هذا الصوفى ببدعة الاتحاد ، أو الوحدة سمها بما شئت . بصيرورة العبد

(١) مر التلساني على كلب أجرب ميت في الطريق ، فقال له رفيق له - وكان
التلساني يتحدث عن وحدة الوجود - : أهذا أيضاً هو ذات الله ؟ مشيراً إلى جثة
الكلب . فقال التلساني : نعم . الجميع ذاته ، فامن شيء خارج عنها ، انظر ص ١٤٥
مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية .

(٢) هو عمر بن أبي الحسين على بن المرشدين على شرف الدين المحوى الأصل
المصرى المولد توفى سنة ٦٣٢ هـ ، ولم تتحدث عن سبقه من الصوفية كالحلاج أو
البسطامى مثلاً ، لأننى اخترت أن أتقل عن يجمع الصوفية جميعاً سلفاً وخلفاً على
تقديسهم ، أما الحلاج وغيره فيطعن فيه رياء ونفاقاً بعض الصوفية فتركته ، حتى
لا يكون لهم رياء معذرة .

ربا ، والمخلوق خلقتا ، والعدم الذاتي الصَّرف وجوداً واجبا ، وإذا شئت الحق في صريح من القول ، فقل : هو مؤمن ببدعة الوحدة ، تلك الأسطورة التي يؤمن كهنيتها بأن الرب الصوفي تَعَيَّن بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله في صور مادية ، أو ذهنية ، فكان حيوانا وجمادا وإنسا وجنا وأصناما وأوثانا . وكان وهما وظنا وخيالا ، وكانت صفاته وأسماءه وأفعاله ، عين ما لتلك الأشياء من صفات وأسماء وأفعال ؛ لأنها هي هو في ماهيته ووجوده المطلق أو المقيّد ، وكل ما يقترفه البُعَاة من خطايا ، وما تنهش الضاريات من لحوم ، أو تعرق من عظام ، فهو فعل الرب الصوفي ، وخطيئته وجرمه !!

وإخلاك الآن تود لو تُسوَّى بى الأرض ، أو تدهنى - على غِرَّة صاعقة ؛ إذ يجرى على لسان الحق ذكرُّ ابن الفارض منعوتا بالزبدقة وتعجب أن يكون سلطان العشق الصوفي زنديقا !!

وما على - برحمة الله - مما تود ، ولن يمنعني محبك في ذهوله من أن أحكم على ابن الفارض بما ارتضاه هو ديناً له وتدبر ما سأ نقل لك عنه من تأنيته ، فلعل يزول محبك ، وينفث غضبك .

جَلَّتْ في تجلّياها الوجودَ لناظري ففي كلِّ مرٍّ أراها بروية يزعم أن الذات الإلهية هتكت عنه حُجَبَ الْغَيْبِ ، وجَلَّتْ له الحقُّ الْمُغَيَّب ، فرأى حقيقة الله مُتَعَيِّنَةً بذاتها في كل مظاهر الوجود ، رأى هذا الكون المادى بكل ما يدب عليه ، أو يغتال الحياة والأعراض في غياهب ليله السَّاجى ، ومناوره المظلمة ، رآه هو عين الله وما هيئته ، ورأى وجوده عين وجوده ، فما نَمَّ من شيء عند ابن الفارض إلا وهو الله ، بل مالرب - رب ابن الفارض - وجود سوى وجود تلك الصور المادية ، أو الذهنية المنطبعة عن شيء متحقق ، أو مُتَوَمِّم ، أو متخيّل . أما وقد نفق بهذا البهتان ، فليتمتر لنفسه ما يترتب على الإيمان به ؛ لهذا راح يزعم أنه بذاته اتحد بذات ربه ، فكانت الثنائية في الاسم ،

وكانت الوحدة في الحقيقة والوجود ، وأنه في جلوة تلك الوحدة يشهد في ذاته وصفاته وأفعاله ذات الله وصفاته وأفعاله ، وعن هذا يعبر . . .

وأشهدت غيبي ، إذ بدت ، فوجدتني هنالك إياها بجلوة خلقي
شهد «هوية» الوجود الإلهي ، أو باطنه ، و «إنيّة» وجوده هو ، أو ظاهره ،
فلم يجد للرب وجوداً سوى وجوده ولا لذاته كياناً متقوِّماً غير كيانه ، فهتف في
جَدَلِ البُشْرَى : أنا الله !!

بيد أنه خشى أن يتوهم أحد أن هذا الشهود وهم طارئ ، أو حال عارض
أو صورة من حلم أسبَل لها فكره وعينه ، خشى هذا ، فقال :

ففي الصَّخْرِ بعد المَخَوِ لم أكُ غيرها وذاتي بذاتي ، إذ تَحَلَّتْ ، تَجَلَّتْ
والصحو في دين الصوفية هو رجوعُ العارف إلى الإحساس بعد مسكّرتِه
بوارِدِ قوى ، وفيه يشهد العارفُ المغايرةَ بين الذات الإلهية ومظاهرها أو صفاتها ،
بشهادة أن الكون ليس هو الذات الإلهية ، وإنما هو تجلياتُ أسماؤها وصفاتها ،
وَجَلَّ لأفعالها . أما الحو في دينها فهو اتِّحَادُ الكثرة والغَيْرِيَّةُ ، والخلْقِيَّةُ المتنوعة
المتعددة . وفناء السَّوِيَّةُ ، وتجلي الوحدة المطلقة ، فيرى الصوفي الخلقَ عين الحق ،
والمربوبَ عينَ الرب .

فتمتَّ إذن فرقٌ عند الصوفية بين الصحو والحو ، ولكن ابن الفارض أبي
أن يؤمن بهذا الفرقِ المُبتَدِع ، فهتك الستر ، ومزق القناع ؛ ليكشف لك في
قول صريح عن حقيقة معتقد الصوفية ، ومضى مسرعاً يلهث ؛ ليدرك فكرك قبل
أن يؤمن بذلك الفرق بين الصحو وبين الحو !! وليؤكِّد لك أن دين الصوفية
قائمٌ من أول أمره على الإيمان بأن الله سبحانه هو عين خلقه !! على نفي كل
مغايرة - مطلقة ، أو مقيدة ، إضافية ، أو نسبية - بين الخالق والخلق ، سواء في
ذلك حال الصوفي في الصحو ، وحاله في الحو ، وهكذا صرَّح ابن الفارض في

جراً شَرُود بما يرمز عنه سواء من مناقى الصوفية ، حين يَفْجُوهم برهان الحق ،
ولذا يقول .

إلى كَم أَوَاحِي السَّتر ، هَاقِد هَتَكْتُهُ وَحَلُّ أَوَاحِي الْحُجُبِ فِي عَقْدِ بَيْعَتِي
يعنى أنه عاهد الحق حين بايعه على أن يَهْتِك كُلَّ سَتر ، ويحل كلَّ
أَنشُوطَة ، حتى يرى كُلُّ ذى بصر أن الله يتمثل دائماً فى صور الخلق ، وتتعين
ذاته بذواتهم !!

وتدبر هذه الصراحة الصارخة الجراءة فى قول ابن الفارض : « وذاتى بذاتى ،
إِذ تَحَلَّيْتُ تَجَلَّيْتُ » تدبر تجد الزنديق ، يأبى أن يثبت لربه ذاتاً ، ويتعالى أن
يحمل وجوده هو فيض وجود ربه ، فلم يقل : « وذاتى بذاته » أو « ذاته بذاتى »
وإنما قال ؛ ليحكم بالعدم الصوفى على رب الوجود الحق ، وخالفه : « وذاتى بذاتى »
فليس نمت إلا ذاته هو فى الحالين !! ألا تحس الجحود طاغى البنى ؟

ماتمَّ عند ابن الفارض من رب ، ولا مربوب . إلا وهو ابن الفارض
إنه الخلاق . وإنه هو الوجود ، وواهب الوجود ، وما الربُّ إلا كبرُ إلا أثر من
آثار قدرته ، أو جُزْئِيَّتائه حيرانٌ من كُليَّته !! هذا دين ابن الفارض . فهاذا
تحكم عليه ١٩ .

فَوَصِّفِي ، إِذْ لَمْ تَدْعِ بِأَيْنٍ وَصَفَهَا وَهَيْئَهَا - إِذْ وَاحِدٌ نَحْنُ - هَيْئَتِي
يزعم أن كل ما وصف به الله نفسه ، فالوصوف به على الحقيقة هو ابن
الفارص ؛ لأنه الوجود الإلهي الحق ، فى أَزَلِيَّتِهِ ، وَأَبَدِيَّتِهِ ، وَدَهْمِيَّتِهِ ،
وَسَرْمَدِيَّتِهِ .

فَإِنْ دُعِيتُ كُنْتُ الْحَجِيبَ ، وَإِنْ أُكِّنْ
مَسَادِي أَجَابَتْ مِنْ دَعَائِي ، وَلَبَّيْتُ
إِنْ دُعِيَ اللَّهُ أَجَابَ ابْنُ الْفَارِصِ ؛ لِأَنَّهُ عَيْنُهُ ، وَإِنْ دُعِيَ ابْنُ الْفَارِصِ

لَبَّى الله ، لأنه اسمه ومُسَمَّاه ! ولكن أتلح الكبر جائر العُتُو من ابن الفارض على خالقه ؟ إذ يزعم أنه إن دُعِيَ الربُّ ، فما يفعل ابنُ الفارض شيئاً سوى أن يجيب ، أما إذا دُعِيَ ابنُ الفارض ، فما يكنى الربُّ أن يجيب ، وإنما بُهْرُولُ ملهوقاً إلى التلبية !! .

ما كفاه زعمه أنه هو الله ، فأكد أن الربَّ الأكبر ماهو إلا صورة شاحبة منه ، وظلُّ حيران له !! .

فقد رُفِعَتْ^(١) تاء الخطاب بيننا وفي رَفْعِهَا عن فُرْقَةٍ التَّوَقُّفِ رَفْعِي الخطاب يستلزم الاثنيَّية ، إذ لا بُدَّ له من طرفين متقابلين مُحَاطَبٍ ومُخَاطَبٍ ، ولهذا يكفر ابن الفارض بما يؤكد الخطاب في آيات الله ، أو في دعاء الداعي من دلالة على المغايرة بين المتخاطبين !! وينفى صدور خطابٍ أو دعاء منه إلى « غَيْرِ ما » فإثم « غَيْرِ » حتى يخاطبه ، أو يدعوهُ !! .

فإذا ما صدر منه خطاب ، أو دعاء إلى الله ، فلا تحسبن أنه يخاطب غيره ؛ إذ الخطاب صادر منه إليه ، والدعاء متوجَّه به من نفسه إلى نفسه .

لقد كان يقول من قبل أن يُكشَفَ عنه الغطاء : أنت أنت ، فلما تَجَلَّتْ له الحقيقة صار يقول : « أنا أنا » فما « أنت » تلك إلا « أنا » ذاتاً ووجوداً !! .

ويرى ابنُ الفارض أنَّ إثبات الربوبية الخلَّاقة وحدها لنفسه شيء دون مقامه الأكبر ، فيفتري أن له الربوبية بوحدايتها وصفاتها وأسمائها وأفعالها ، بملكها وملكوتهَا ، بِرَحْمَانِيَّتِهَا وجبروتها ، بقدرتها القهارة ، وعلمها المحيط الشامل ، بتأبدها من خلق ، ومنحت من حياة .

(١) يصح أن يكون معناه أن الخطاب رفع بينه وبين غيره ، لعدم وجود غير . ويصح أن يكون معناه أن « الفتحة » من تاء الخطاب في مثل « خلقت » بفتح التاء تحولت إلى ضمة وهي علامة رفع ، فصارت « خلقت » بضم التاء لا فتحها أى صارت تاء الخطاب بفتح الطاء عين تاء التكلم .

وَلَا فَلَّكَ إِلَّا وَمِنْ نَوْرِ بَاطِنِي بِهِ مَلَكٌ يَهْدِي الْهَدَى بِمَشِيئَتِي^(١)
وَلَا قَطَرَ إِلَّا حَلًّا مِنْ فَيْضِ ظَاهِرِي
بِهِ قَطْرَةٌ عَنْهَا السَّحَابُ سَحَّتْ
وَلَوْلَايَ لَمْ يُوجَدْ وَجُودٌ ، وَلَمْ يَكُنْ شُهُودٌ ، وَلَمْ تُعْهَدْ عَهْدٌ بِذِمَّةٍ
فَلَا حَيٍّ إِلَّا مِنْ حَيَاتِي حَيَاتُهُ وَطُوعٍ مُرَادِي كُلِّ نَفْسٍ مُرِيدَةٍ^(٢)
فَبَاذَا بِحُكْمِ الْمُؤْمِنِ عَلَى زَنْدِيقِ الْيَقْتَرِي أَنْ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ بِيَدِهِ ، وَأَنْ
الْوُجُودَ كُلَّهُ قَطْرَةٌ فَيْضٍ مِنْ جُودِهِ وَوُجُودِهِ ، وَأَنْ الْإِرَادَةَ الْبَشَرِيَّةَ كُلَّهَا
طُوعٌ هَوَاهُ .

وَكُلُّ الْجِهَاتِ السَّتِّ نَحْوِي تَوَجَّهَتْ بِمَا تَمَّ مِنْ نُسْكَ وَحَجٍّ وَعِمْرَةٍ
لَهَا صَلَوَاتِي بِالْقِسَامِ ، أَقِيمُهَا وَأَشْهَدُ فِيهَا أَنَّهَا لِيَ صَلَّتْ
هَذِهِ الصَّلَوَاتُ يَقِيمُهَا النَّسَاكُ فِي قُدْسِ الْحَارِيبِ ، وَهَذِهِ الضَّرَاعَاتُ يَنْبَتُ
بِهَا الْقَدِّيسُونَ ، وَهَذِهِ الدَّعَوَاتُ يَتَهَجَّدُ بِهَا الْعِبَادُ تَحْتَ سَجَوَاتِ اللَّيْلِ ، وَهَذِهِ
الْمُنَاسِكُ يَنْسِكُهَا الْحُجَّاجُ وَالْمُعْتَمِرُونَ . إِنَّهَا لَا تُرْفَعُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَإِنَّمَا تَتَوَجَّهُ
بِهَا الْقُلُوبُ إِلَى ابْنِ الْفَارُضِ رَجَاءَ رَحْمَتِهِ ، وَابْتِغَاءَ رِضَاهُ .
وَهَؤُلَاءِ الْمُصَلُّونَ يُؤَلُّونَ وَجُوهَهُمْ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . إِنَّهُمْ يُؤَلُّونَهَا شَطْرَ
هَيْكَلِ ابْنِ الْفَارُضِ . وَهَذِهِ النَّذُورُ يَحْفَدُ بِهَا الْمَلَهُوفُونَ ، إِنَّهَا قَرَابِينَ الْعِبُودِيَّةِ
مِنْهُمْ ، يَبْتَغُونَ بِهَا وَجْهَ ابْنِ الْفَارُضِ .

وَاللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ يَقُولُ : (١١٥ : ٢) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَحِمٌّ
وَجْهُهُ (اللَّهُ) غَيْرَ أَنَّ ابْنَ الْفَارُضِ يَرْفَعُ فِي وَجْهِ الْحَقِّ بَاطِلَهُ ، فَيَفْتَرِي أَنَّهُ مَا تَمَّ
إِلَّا وَجْهُهُ هُوَ ، وَأَنَّ السَّكُونَ كُلَّهُ مَا يُؤَلِّي بِجِهَاتِهِ السَّتِّ وَجْهَهُ إِلَّا إِلَيْهِ .

(١) يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ الْأَعْظَمِ (٥٦ : ٢٨) إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنْ اللَّهُ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) فَجَلَّ ابْنُ الْفَارُضِ نَفْسَهُ الْأَعْظَمَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَقَرِينًا مُسَاوِيًا لِلَّهِ ١١
(٢) أَيْقُولُ هَذِهِ مُسْلِمٌ ؟ إِنَّهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ ، فَنَسَبَهَا ابْنُ الْفَارُضِ إِلَى نَفْسِهِ ١١

وذلك الرب الصوفي الهَيَّان في ملكوت ابن الفارض ! أيعيش عاطلاً
بلا عمل ؟ أَيْتَالِفُ من أمر ابن الفارض ؟ كلا فقد أرغمه ابن الفارض على أن
يَرْتَسِمَ خاشعَ الذل في المعابد يصلى لابن الفارض ، ويرجو رحمة .
أرأيت إلى سلطان العاشقين : كيف يفترى في شعره الوثنى كل هذه
الخطايا الجوسية ؟ !

ويهنو ابن الفارض لاهث الأنفاث ؛ ليفترى لك مرة أخرى . أنه هو الله .
كلانا مُصَلِّ واحدٌ ساجدٌ إلى حقيقة بالجمع ^(١) في كل سجدة
ولكن « كلانا » هذه دلائلها الحتمية على وجود اثنين أو تحقق وجودين
يغاير أحدهما الآخر . لهذا كَرَّرَ ابن الفارض يعدو في لهفة مجنونة ؛ ليستدرك على
« كلانا » بما ينسخ ماثوهمته ، فقال :
وما كان لي صليّ سواي ، ولم تكن صلاتي لنيرى في أدا كل سجدة

عبادة الأنوثة

ولست أدري لم يُفَرِّم الصوفية دائماً بنعوت المرأة يحملونها على ربهم ،
فيزعمون أن ربهم يتجلى - غَزَلِيَّ الجلال - في صورة أنثى عاشقة ملهوفة تَتَقَلَّلُ
بفتون أنوثتها الهيم الحيوان يراودها عن نفسها . إن هذا الإلحاح الجسدى في
عبادة الأنوثة يدفعنا إلى محاولة اكْتِنَاهِ مَا يَفْتَلِجُ به من شعور يتلظى بالنزوات
الملتهبات والشهوات العراييد ؛ لتدرك علة ذلك التَمَجُّسِ الصوفى الذى يؤلِّه نار
الجسد . أترى حين استبد بالصوفية عشقُ الأنثى ، ولوَّعهم بالحرمان ، أراقوا
الغزل في هوى المعشوقة ، فلم تُنَدِ أنوثتها منهم غليلاً ، ولم تُبَحِّحْ لحمها للناب
الملهوف ، أترام حين احترقوا تَكْهَفاً حتى إلى ظلى أنثى مبدولة ، فلم ينالوا ، صَوْرَ
لهم مَا يُؤَجِّجُ في غرائزهم من سفير أن الأنثى ليست - إذن - إلا رباً تعالت كبرياؤه ،
وتسامى عرشه ؟

(١) الجمع عند الصوفية هو « شهود الحق » أى الله « بلا خلق » .

أم تراهـ والأنوثة تعاطيهم صُهباءً لئـمهاـ أبوا إلا أن يترعوا الدَّن كله ،
فراحوا يمدُّونها في النى ، فزعوا لها أن الحقيقة الإلهية ليست إلا أنى مشتهاة
مشتهاة ، وأن حقائق الوجود كله أنوثة تشرب الشهوات خمر جسدها المُعْتَق ١٩
يمثل ابن عربى الطائفة الأولى ، وستأتىك أنباؤه ، أما ابن الفارض ^(١) فاسمع إليه
يقول :

ففى النشأة الأولى تراءت لأدم بمظهر حواء قبل حُكْم البُنُوَّة
وتظهر للعشاق فى كل مظهر من اللَّبْس فى أشكال حُسنٍ بديعة
فى مرة «لُبْنَى» وأخرى «بُنيَّة» وآونة تُدعى «بِعِزَّة» عزَّت
يزعم أن ربه ظهر لأدم فى صورة حواء ، و «لَيْسَى» فى صورة «لُبْنَى»
و «لجلىل» فى صورة «بُنيَّة» و «لِكُثَيِّر» فى صورة «عِزَّة» . فما حواء أ.
البشر إلا الحقيقة الإلهية ، وما أولئك العشاق سَكِرَتْ على شفاهن خطايا القبل
المحرمة ، وتهاوت بهن اللهفة الجسدية النائرة تحت شهوات العشاق ، ما أولئك جميعاً

(١) يصور لنا أحد أتباع ابن الفارض لوناً من ألوان مجون سلطان العاشقين
فيقول : « دفع إلى دراهم ، وقال : اشتر لنا بها شيئاً للأكل ، فاشتريت ومشينا إلى
الساحل ، فنزلنا فى مركب ، حتى طلع البهيسا ، فطرق باباً ، فنزل شخص فقال :
باسم الله ، وطلع الشيخ ، فطلعت معه ، وإذا بنسوة بأيديهن الدفوف والشبابات ،
وهم ينفون له ، فرقص الشيخ إلى أن انتهى ، وفرغ ونزلنا ، وسافرنا حتى جئنا إلى
مصر ، فبقى فى نفسى شيء ، فلما كان فى هذه الساعة جاءه الشخص الذى فتح له
الباب ، فقال له : ياسيدى فلانة ماتت ـ وذكر واحدة من أولئك الجوارى ـ فقال :
اطلبوا الدلال ، وقال : اشتر لى جارية تغنى بدلها ، ثم أمسك أذنى ، فقال : لا تسكر
على القراء ١١ » ص ٣١٩ ج ٤ لسان الميزان لابن حجر العسقلانى طبع الهند
١٢٣٠ هـ . هذا هو ابن الفارض القديس يرقص ويغنى والنسوة يرقصن معه ويضربن
له الدفوف ١١ ومع هذا يحرم على تابعه أن ينتقده ١١ وهكذا كل الشيوخ .

سوى رب الصوفية تجسد في صور غَوَانٍ تطيش بهُذَاهُنَّ نَزْوَةً وَلَهَى ، أو نَشْوَةً
مَسْكُورَى ، أو رغبة تَتَلَطَّى في عين عاشق !! .

ويسرف ابن الفارض في تأكيد أنوثة ربه ، وتجليه أبداً في صورة جسد
امرأة يَزِلُّ بها موعد الليل ، فيقول :

وَلَسَنَ سِوَاهَا ، لَا ، وَلَا كُنْ غَيْرَهَا وما إن لها في حسننها من شريكة
خشى ابن الفارض أن يَتَوَهَّم أحداً في ربه أنه يغاير حقيقته ، أو تتباين
صفاته ، وهو يتجلى مرة بعد مرة في صورة غانية ، أو أن يَظُنَّ أن هؤلاء الغانيات
« لبني ، بثينة ، عزة » تغاير حقائقهن حقيقة ربه في شيء ما ، خشى ابن الفارض
ذلك ، فاستدرك على الأوهام بما يحيلها يقيناً ثابتاً في أنوثة ربه ، فقال : « ولسن
سواها ، لا ، وَلَا كُنْ غَيْرَهَا » وهكذا صدق فيهم قول الله (٤ : ١١٧) إن يدعون
من دونه إلا إناثاً ، وإن يدعون إلا شيطاناً مَرِيداً (ماذا يحدث للشباب المسلم ،
ومنه لو أنه آمن بهذه الصوفية ؟ !) .

فليفهم كل عاشق يطويه الليل على خاطئة أنه حين يقترف الخطيئة مع أثنائه ،
وتعربد في جسدها الرخص أنيابه وأظفاره ، ليفهم كل عاشق أن أثنائه هذه
التي يمرق أنوثتها ليست إلا رب الصوفية الأعظم !! .

وَلْيُصَحِّحْ مؤرخو الأدب تاريخه ، فابن الفارض يؤكد أن أولئك العشاق
« قيس ، جميل ، كثير » وكل شعراء العشاق لم يُرِيقُوا نِخَورَ الْغَزَلِ إلا للذات
الإلهية متجسدة في صور عشيقاتهم القوائل !! .

أَوْعَيْتِ إذن علة إطلاق الصوفية على أربابهم أسماء نسوة^(١) جلَّهن عواطل
من الفضيلة ، عوارٍ عن الشرف ؟ ! .

وعلة عبادتهم لأجساد تلطَّى فيها الشيطان ، وعربد بخطاياها ؟ ! ذلك لأن

(١) أنصت إلى المنشدين اليوم في حلق الرقص الصوفي أو الذكر كما يزعمون

تجدهم يرقصون الذاكرين على مناجاة « ليلي وسعاد » وغيرها !!

كهان الصوفية أوحوا إليهم أن أربابهم تتجلى دائماً في صور إناث تَجَرَّدَنَ
لخطايا العشق ، وآثام الليل في حان الغرام ١١ .

ومعذرة إلى من يقرءون للهدى عما أثرته في نفوسهم من غشيان بذكر هذا
القيء القذر من الكفر الصوفي ، وعما يحسونه بنقل تلك الآيات من حَرَجٍ
تختنق فيه العاطفة ، ويتقلَّى الضمير .

لمن كان سجود الملائكة ؟

ولا يل ابن الفارض من تبيكار إفكك الوثني يزعم فيه أنه هو الله ، فيضيف
إليه أنه عين رسل الله أيضاً ، وعين آدم الأب الأول للبشرية ، وعين الملائكة
الذين سجدوا لآدم .

وفي شهادت الساجدين لِمَظْهَرِي^(١) فَحَقَّقْتُ أَنِّي كُنْتُ آدَمَ سَجْدَنِي
وإليك شرح القاشاني ... وهو كاهن صوفي - لهذا البيت : « أي عانيت
في نفسى الملائكة الساجدين لمظهري ، فعلت حقيقة أني كنت في سجدتي
آدم تلك السجدة ، وأن الملائكة يسجدون لي ... والملائكة صفة من
صفات^(٢) - فالساجد صفة منى تسجد لذاتي^(٣) » أرايت إلى شرح القاشاني ؟
لقد نقلته لك بلفظه مثلاً لما يشرح به الصوفية أساطير دينهم ؛ لتؤمن أني لم أزل
مع الهوى فيما شرحت لك به أبيات ابن الفارض ، وأظنني ما بلغت مبلغ
القاشاني في الشرح ، فهو صوفي يدين بالتائية .

وحسبنا هذا من سلطان عشاق الصوفية ١١ .

(١) يعني به آدم عليه السلام ، فهو في دينه تجسد للذات الإلهية التي هي ابن الفارض
(٢) فسر الملائكة بأنها صفات ، لیتی القول بالغيرية والتعدد ، ولكيلا يترض
عليه بمثل هذا : مادمت تتحدث عن ساجدين وعن مسجود له فقد قلت بذوات
كثيرة ، وأغيار عديدة . . لا يترض عليه بمثل هذا لأنه يزعم أن الملائكة ليست
ذوات ، وإنما هي صفات للذات الإلهية والصفات عند من عين الذات ، فلا تعدد ، ولا غيرية ١١
(٣) ص ٨٩ ج ٢ كشف الوجوه الغر على هامش شرح الديوان طبع ١٣١٤ هـ
م ٣ - هذه هي الصوفية

إله ابن عربى

أما هذا الطاغوت الأكبر ، فقد افترى للصوفية رباً عجيباً يجمع بين النقيضين المتوترين في ذاته ، وبين الضدين الحقيقيين في صفاته ، فهو الوجود الحق ، وهو العدم الصرف ، هو الخلاق ، وهو الخلق ، هو عين كل كائن ، وصفاته عين صفات كل موجود وكل معدوم ، هو الحق الكريم والباطل اللئيم ، هو الفكرة العبقريّة ، والخرافة الحقّاء ، هو الخاطرة الملهمة ، والوهم الذاهل ، والخيال الحيران ، والمستحيل الذى لا يتصور فيه العقل أبداً أن يخطر حتى مرة واحدة في بال الإمكان ، والممكن الذى يرى فيه الفكر أجلى معانى الإمكان ، والذى لا يتوهم فيه العقل وهم استحالة . هو المؤمن ، وهو الكافر ، هو الموحد الخالص التوحيد ، وهو المشرك الأصم الوثنية . هو الجاد الغليظ ، وهو الحيوان ذو المشاعر المرفهة ، والحساسية المتوقدة ، هو الملك الساجد تحت العرش ، وهو الشيطان الذى يصطرخ في سقر ، هو القديس الناسك يذوب قلبه في دموع التسايح ، وهو العرييد يضج الماخور من بنى خطاياها ، هو الراهبة التى تحيا على محبة الله وتقواه ، وهو الغانية التى تحيا للجسد المبدول ، وتعيش على ثمنه ، هو النور يغمر الوجود بمباهجه ، وهو الظلام موار الكهوف بالفرع والرهبة ، تلك هى بعض ذاتيات رب ابن عربى ، وبعض خصائص الإله الصوفى ! ! .

ولهذا يؤمن الطاغوت بأن اليهود عبّاد العجل ناجون ، بل يؤمن بأنهم كانوا على علم بحقيقة الألوهية ، لم ينعم موسى ولا هرون بلمحة من تجلياته ، ولا بيارقة من انكشاف الأسرار الإلهية المغيبة له ! ! لأنهم ماقصروا العبادة على فكرة مجردة خاوية كموسى ، وإنما عبدوا الرب متجلبا في صورة عجل ، فأدركوا من حقيقة الأمر ما لم يدركه هرون ، وهو أن الذات الإلهية لا تعبد إلا حين تتجلى في صور خلقية ! ! .

ويؤمن ابن عربى بقدسية عبدة الأصنام ، ويمجد صدق إيمانهم وإخلاص

توحيدهم ، يؤمن بالصابثة عباداً يوحّدون الله ، ويخلصون له الدين ، يؤمن بسمو إيمان الذين عبدوا ثلاثة آلهة غير أنه يعيب عليهم قصورهم عن إدراك الحقيقة كاملة ؛ إذ عبدوا الله في ثلاثة أقاليم ، على حين كان الواجب أن يعبدوه في كل شيء ، فليس الرب عنده هو تلك الأقاليم فحسب ، وإنما هو عين ما يرى أو يُحس ، وعين ما لا يرى ، وما لا يُحس ، فأصحاب الثالوث عنده مخطئون ؛ لأنهم عبدوا بعض مظاهر الرب ، أو بعض تميّناته وكان واجباً أن يعبدوه في الكل ؛ لأنه هو ذلك الكل فيما ظهر منه ، وفيما بطن !^(١) .

ربوبية كل شيء

واسمع إليه يؤكد لك أن كل شيء هو الله سبحانه : « سبحانه من أظهر الأشياء ، وهو عَيْنُهَا^(٢) » « إن العارف من يرى الحق (الله) في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء^(٣) » وكلمة « شيء » في دين الطاغوت تُطلق حتى على الصور الذهنية والوهمية وعلى العدميات ، فوق إطلاقها على كل موجود له كيانه المادى المستقل المتقوم بذاتيته وخصائصه . فابن عربى كما ترى أصرح الدعاة إلى وحدة الوجود ، بل هو كاهنها الأكبر ! ! .

الربُّ إنسان كبير

واسمع إليه يحكم على ربه بأنه يجب أن يوصف بما يوصف به الخلق ، حتى بما فيهم من نقص وعجز وحق وجهالة ، ويُحدّث بما يُحدّث به كلُّ كائن على حدة :

(١) اقرأ الفص « العيسوى » و « الحمدي » من فصوص الحكم لابن عربى

(٢) ص ٦٠٤ ج ٢ الفتوحات المكية لابن عربى .

(٣) ص ٣٧٤ فصوص بشرح بالى ، ص ٣٨٢ بشرح قاشان .

ص ١٩٢ ج ١ بتحقيق الدكتور عفيفى .

« فما يُحدِّثُ شيءٌ إلا وهو حدٌّ ^(١) الحق ، فهو السارى في مُسمَّى المخلوقات والمبدعات فهو الشاهد من الشاهد ، والمشهود من المشهود ، فالعالم صورته ، وهو روح العالم المدبر له ، فهو الإنسان الكبير ^(٢) » .

الرب هو صور المسمالم

واسمع إليه يؤكد لك أن ربه هو كل ما ترى من صور العالم : « هي ظاهر الحق ؛ إذ هو الظاهر ، وهو باطنها ؛ إذ هو الباطن ، وهو الأول ؛ إذ كان ، ولا هي ، وهو الآخر ؛ إذ كان عينها عند ظهورها ^(٣) » وتدبر تعريف ابن عربي لربه بقوله : « هو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن في حال ظهوره ، وما ثمَّ من يراه غيره ^(٤) ، وما ثمَّ من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه ، باطن عنه ، وهو المسمَّى أبا سعيد الخراز ^(٥) ، وغير ذلك من أسماء المراتب ^(٦) » والعارف الحق بالله عند ابن عربي هو من يرى « سريان الحق (الله) في الصور الطبيعية والعنصرية ، وما بقيت له صورة إلا ويرى عين الحق فيها ^(٧) » .

(١) الحد هو أتم أنواع التعريف ، فإذا عرفت الصنم مثلاً بحد ما ، فهذا التعريف صادق على الرب الصوفي ، لأنه هو ذلك الصنم نفسه .

(٢) ص ١١١ فصوص الحكم ط الحلبي .

(٣) ص ١١٢ فصوص ط الحلبي .

(٤) بمعنى أنك إذا رأيت إنساناً ، أو حجراً ، فقد رأيت الرب الصوفي ، بل الرائي والرئي هما عين ذلك الرب .

(٥) هو أحمد بن عيسى ممن تكلم في لفناء الصوفي توفي سنة ٢٧٩

(٦) ص ٧٧ ج ١ فصوص ط الحلبي .

(٧) ص ١٨١ الصدر السابق .

صفات الرب صفات الخلق

ويحكم ابن عربي على ربه ، ويصفه بالعجز الذليل ، والنقص المشين ، والسفه والحقارة ، وبأنه مناط مذمة وتحقير ومهانة . فيقول : « ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات ، وأخبر بذلك عن نفسه ، وبصفات النقص ، وبصفات الذم ؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها - وكلها حق له - كما هي صفات المحدثات حق للحق ^(١) » .

لقد خشى ابن عربي أن يتوهم فيه إنسان أنه يطلق صفات الخلق على الله سبحانه إطلافاً مجازياً ، أو يطلق صفات الله على خلقه كذلك . خشى هذا ، فحاجاً توهم المجاز عن الأولى بقوله : « كما هي صفات المحدثات حق للحق » فلا تتوهم مجازاً ما فيما يحكم به ابن عربي على ربه ، أو فيما يصفه به من ذم ونقص وعجز . ومحاجاً عن الأخرى بقوله : « وكلها - أي صفات الله من ربوبية وإلهية وخالقية ورازقية ، وسواها مما هو من صفات الله وحده - حق له » ، أي للمخلوق ، فالخلق يوصف بصفات الله على الحقيقة لا على المجاز !! ذاك دين ابن عربي .

رب الصوفية وجود وعدم

ورب الصوفية في دين ابن عربي يستغرق كل نسبة عدمية ، أو وجودية « فالعالي نفسه ، هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية ، والنسب العدمية ، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها وسواها ، كانت محموداً عرفاً وعقلاً وشرعاً ، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة ^(٢) »

فأي رب هذا الذي يبعثه وجود ، ويفنيه عدم ؟ أي رب هذا الذي

(١) ص ٨٠ فصوص راجع ما كتبت في « دعوة الحق » ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) ص ٧٩ فصوص .

يكون مناظ الذم من الشرع والعقل والعرف ؟ لقد نعت ابن عربي ربه بكل مذمة ،
فلماذا لا يذمه الشرع والعقل والعرف ؟ ١٩ .

كل شيء رب للصوفية

لقد كفرت الصابئة ؛ لأنهم عبدوا الكواكب ، وكفرت اليهود ؛ لأنهم عبدوا
العجل ، وكفرت النصارى ؛ لأنهم عبدوا ثلاثة أقانيم ، وكفرت الجاهلية ؛ لأنهم
عبدوا أصناماً أقاموها لمن مات من أوليائهم ، لتكون مقصد الرجاء ، ومطاف
الآمال ، كما كان أصحابها ، وهم ناعمون بالحياة . فهاذا تقول في الصوفية ، أو بماذا
تحكم عليها ، وهي تدعو إلى عبادة كل شيء ؟ ألا يقول الجيلي : « إن الحق تعالى
من حيث ذاته ، يقتضى ألا يظهر في شيء ، إلا ويُعبَد ذلك الشيء ، وقد ظهر
في ذرات الوجود ^(١) ؟ » ويزيد ابن عربي الفرية جلاء بقوله : « والعارف المكمل
من رأى كلَّ معبود تجلّى للحق يُعبَد فيه ، ولذلك سموه كلهم إلهاً ، مع اسمه
الخاص بمجر ، أو شجر ، أو حيوان ، أو إنسان ، أو كوكب ، أو ملك » ^(٢) .
فهل تراني جَفَنَحْتُ إلى غُلُوٍّ ما حين قلت لك : إن الصوفية استمدت من كل
كفر ، ودانت بكل مادان به الكافرون من قبل ، فكانت هي وحدها تاريخ
الوثنية كلها ، وحمايتها منذ ابتدئها إبليس ليضل الكافرين ؟ ١٩ .

ألا ترى ابن عربي حَقَّقَ القلب والشعور وال عاطفة بعبادة الحجر والشجر
« آلهة الجاهلية » وعبادة الحيوان « آلهة الفرعونية واليهودية » وعبادة الإنسان
« إله النصرانية والشيعة » وعبادة الكوكب والملك « أى آلهة الصابئة » ١٩ .

(١) ص ٨٣ ج ٢ الإنسان الكامل للجيلي .

(٢) ص ١٩٥ ج ١ فصوص ، وقد عدد في هذا النص آلهة الدين كفروا من
قبل ، فعبدا الحجر والشجر والحيوان والإنسان والكوكب والملك ، يعنى الصابئة
واليهود والنصارى والذين أشركوا . و صوب عبادتهم ، إذ كل ما عبدوه في دينه ليس
إلا رباً تجلّى في صورة ذلك المعبود .

فالصوفية هي كل ذلك الكفر ، ثم تحته وفوقه ، وعن شماله ويمينه ومن خلفه ومن قدامه كفرها الخالص بها !! وفيما ذكر ابن عربي ما يثبت اليقين في قلبك بما أقول .

التجسّد في النساء

وكما عبد ابن الفارض جسد الأنثى ، عبده كذلك ابن عربي ، بيد أن الأول عبد المرأة مستباحة العفة له ، وعبدها الآخر مستعصية الشرف عن أهوائه . وإليك نصاً واحداً من فصوصه يكشف لك عن مدى إيغال ابن عربي في عبادة الأنثى « ولما أحبّ الرجلُ المرأةَ ، طلب الوصلة^(١) ، أى غاية الوصلة التي تكون في الحبة ، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح^(٢) ، ولهذا تتم الشهوة أجزاء كلها ، ولذلك أمير بالاعتسال منه - فعمت الطهارة ، كاعم الفناء فيها - عند حصول الشهوة ، فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره ، فطهره بالغسل^(٣) ؛ ليرجع بالنظر إليه فيمن فنى فيه ، إذ لا يكون إلا ذلك ، فإذا شاهد الرجل الحق^(٤) في المرأة ، كان شهوداً في منفعل ، وإذا شاهده في نفسه - من حيث ظهور المرأة عنه - شاهده في فاعل ، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ماتكون عنه ، كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل ؛ لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل ، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة ؛ فلهذا أحب صلى الله عليه وسلم النساء ؛ لسكمال

(١) يقصد بها ما يحدث بين الذكر والأنثى .

(٢) يقصد به ماله من معنى في أذهان العامة بدليل ما ذكره بعده . لا يريد الزواج بل شيئاً آخر .

(٣) يزعم أن الله لم يأمر بالغسل إلا ليتطهر العبد مما توهمه من أنه كان مع امرأة ، على حين كان هو مع الربة الصوفية جسداً وخطيئة ١١

(٤) الحق في دين الصوفية هو الذات الإلهية في وجودها المطلق ١١

شهود الحق فيهن^(١) ، إذ لا يشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً ، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله ، وأعظم الوصلة النكاح^(٢) .

وتستطيع أن تلخص ، وتستخلص من هذا النص وحده دين ابن عربي كله . إنه يعتقد أن رب الصوفية يتجلى أعظم تجل له في صورة أنثى يهصر جسدها المستسلم حيواناً ثائر الجسد . يعتقد أن العاشقين يتنهبان خطايا الليل ، هارب الصوفية !! ويلحف على العشاق عربدت بهم خرة الأجساد من دنان الإنم أن يدينوا بأنهم كانوا مع الرب الصوفي ليلاً وخطيئة وغريزة ولذة !! ، فما استغرقوا في اللذة بأنثى ، بل بالرب المتجسد الخطايا في أنوثة عصفت بها الرذيلة !! ثم ينحدر ابن عربي في سرعة مجنونة إلى أعماق الأغوار السحيقة من المادية ، فيؤكد لنا : أن الرب الصوفي شيء مادي ، وأنه لا يرى أبداً إلا في مادة !! هذه هي روحانية الصوفية يامن عنها تذودون !! روحانية يفتري كاهنها الأكبر هذه القرية الكبرى فيقول : « لا يشاهد الحق (الله) مجرداً عن المواد أبداً » ويقول : « وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالسمى مُحدثات هي العملية لذاتها ، وليست إلا هو^(٣) » :

وما ينبغي - احتراماً لعقلك بإسماحة الشيخ - أن أدلك على أساطير الزندقة في تلك النصوص الصوفية ، فإنها تكاد تنشب مخالبها في العين لتراها !!
أترى تخزك الندامة على أنك شكوتنا ، فنكأت لك الجراح ، أم تراها تخزك لما ظلمت به من يود لك الخير ، ويدعوك إليه ، ولأنك في مكائك هذا تحمل أوزار الصوفية كلها على ظهرك !! .

(١) يزعم ابن عربي أن علة حب الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء هي اعتقاده أنهن الله في أجمل صور تعيناته وتجلياته ، ورغبته في الالتذاذ الجسدي المتنوع بربه !!
(٢) ص ٢١٧ فصوص ج ١ ط الحلبي ، ص ٤٣٧ ط استامبول بشرح القاشاني ، ص ٤٢٠ بشرح بالي ط ١٣٠٩ هـ
(٣) ص ٧٦ ج ٢ فصوص لابن عربي ط الحلبي .

التجسد المسيحى ، والتجسد الصوفى

وتلوذ بى عاطفة من إشفاق تحملنى على ألا أزيد جرجك انتكاساً بذكر
نصوص آخر ، غير أننى أود تذكر الشيخ بأن المسيحية حين سلبتها الصوفية
رشدتها وهداها ، وقداسة الروحانية فيها ، فرغبت بها عن التوحيد الخالص إلى
الشرك ؛ بعبادة ثلاثة آلهة !! إن المسيحية حين استعبدتها غواية الصوفية أبت أن
تخبط وراءها فى كل مهلكة ، فلم تؤمن بتجسد الذات الإلهية فى كل شئ . وإنما
اختارت جسداً طيباً طاهراً ، شرف الله صاحبه بالرسالة ، وآمنت بأنه التجسد
الاعظم لله !! ومع هذا لم تنل من الله إلا لعنة الأبد ، وغضب الأبد ، وسعير جهنم
يصلونها ، وبئس المصير .

أما شيخكم الأكبر ، فقد هوى به الكفر ، أو هوى هو بالكفر ، إلى أبعد
أعماق الهاوية الساحقة الماحقة ، وانحدر به إلى كل منحدر ، فأمن بتجسد ربه فى
أجساد تقيحت من الدنس ، آمن بتجسد ربه فى الجيف ، وفى الأوثان ، وعجل
السامرى ، وفرعون موسى ، ثم هَفَّتْ به غُلْمَتُهُ الآثمة ، فكشفت عن دخيلة نفسه
الآبقة تعبد ربا تتلظى غرائزه ، وتتسعر شهواته ، وتشتهى مفاته حين يتجسد فى
أنثى طاحت بها نزواتها لقي تحت رغبة كل عابر يراود خطيئة !! .

لماذا عبد ابن عربى المرأة ؟

إن كبيريتكم الأحمر هذا أحب امرأة ذات مرة ، هى ابنة الشيخ مكين
الدين . وأين ؟ فى مكة !! .

وهذا العاشق المُدَلِّلُ يتلمس جسد المرأة ، وسبيل أنيابه إليها ، راح يتوسل
إليها أن تتجرد له ، وأن تبيح قدس عرضها لخطيئته ، فأبت العذراء ، يتلهب حياؤها
كرامة أن يبلغ فى شرفها ذئب !! .

لقد أرادته للقلب الطاهر ، وأرادها هو للجسد النائر ، أرادته للطهر والمعبود
وأرادها هو للدنس والمأخور ، فتمنعت الفتاة عن نابه الطحون ، فنظم فيها ديوانه
« ترجان الأشواق » قُرْبَانًا من شهواته إلى جسدها الفَوَّاح العطر والفتنة ، لعلها
تنحدر معه إلى الهاوية ، فتهب له من جسدها مضغعة ، أو مِنْ دَمِهَا رَشْفَةً ، فزادته
الفتاة عن حَرَمٍ مخدعها الْوَرْدِيُّ ، وَلَجَّتْ في إِبَائِهَا النِّبِيلِ الكريم ، وأبت إلا
أن تكون عذراء متألفة العرض ، روحانية العاطفة ، مُنَمَّعة العفة والشرف ،
ترى ، هل أراب اليأسُ منها عشقَ ابنِ عربي ؟ كلا ، فقد استغرق نفسه ،
ووجوده ، وملاً عليه دنياه فتنة ولهفة وقلقاً عاصفاً ، فلم يَعْرِهُ اليأس ، ولا مَبَسَّ .
لهبَه خُمُودٌ ، فعاد إلى ديوانه يشرحه بدين الصوفية ، يؤكد لهذه الجميلة النافرة
الأبْيَّة أنها هي الرب متجسداً في صورة أنثى جميلة ، وأنه ما أَحَبَّهَا إلا لأنها أجمل
تَعْيِّنَاتِ الحقيقة الإلهية ، وأنه - إِذْ تَشَهَّاهَا - فإنما يتشهى فيها أنوثة ربه ، وجسده
الفائر ! ! فأبت المرأة إلا أن تكون أنثى شريفة ، لارَبًّا صوفياً يحتمس الآثام ! !
ومضى ابن عربي وراء الأسطورة موغلاً في التيه الموحش ، والدغل الرهيب ،
مضى وراءها يمجدها ، ويهتف بها حتى صارت الأسطورة حقيقة صوفية صريحة ،
منحها ابن عربي وجوداً حَيًّا صريحاً ، وأمدَّها مثله الأحبار الزنادقة معه ومن بعده
وهكذا تنزل الصوفية في « ليلي وبثينة وسعاد » ! !

وتسائلهم ، فيزمون الشفاه تهكماً من حماقة جهلك ! ! ويرمقونك بالنظر
الشَّرَّ ، وكأنما يقولون لك : مسكين ! ! ما زال يجهل أن ربنا أنثى جميلة ! !
ضليل ! ! لم يهتد إلى أن الغانية اللعوب التَّهْلُوكُ هي الأفق الأعظم لتجليات الربوبية
والإلهية ، وإلى أن جسدها الْمَنْهُومُ الجائع إلى الآثام جسدُ ربنا الأعظم ! ! وأنها
هي هو جسداً فانتنا ، ورذيلة سوداء ! !

فقر الإله الصوفي إلى الخلق

الله سبحانه يقول : (٣٥ : ١٥) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) غير أن الصوفية تؤمن بإله هو الفقير إلى الخلق . فقير إليهم في وجوده فقير إليهم في علمه ، فقير إليهم في بقائه ، فقير إليهم في طعامه وشرابه ، فقير إليهم في كل شيء يهب له الظهور بعد الخفاء ، والوجود بعد العدم ، ويحول بينه ، وبين الفناء .

يقول ابن عربي : « فوجودنا وجوده ، ونحن مقترون إليه من حيث وجودنا ، وهو مفتقر إلينا من حيث ظهوره لنفسه » ويقول : « فانت غذاؤه بالأحكام ^(١) ، وهو غذاؤك بالوجود ، فتعين عليه ما تعين عليك ، والأمر منه إليك ، ومنك إليه ، غير أنك تُسمى : مكلفاً ، وما كلفك إلا بما قلت له : كلفني بحالك ، وبما أنت عليه - ولا يُسمى مكلفاً .

فيحمدني ، وأحمده ويعبدني وأعبده ^(٢) »

ذلك هو رب الصوفية الذي افتراه لها ابن عربي ، وبه يدين أقطابها ، وله يسجدون !!

إله الجيلي ^(٣)

وهذا الكاهن الوثني الأكبر يدين بدين صنييه ابن الفارض وابن عربي ، غير أن اللون الفاضح الصارخ في زندقته هو اعتقاده أن الله ما هو إلا إنسان

(١) أي أسماؤك أسماؤه ، وصفاتك صفاته ، وأفعالك أفعاله ، فلولاك ما سمى ولا وصف ، ولا حكم عليه بحكم لأنك عينه وذاته .

(٢) ص ٨٣ ج ١ فصوص ط الحلبي .

(٣) هو عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني أو الجيلي توفي نحو سنة ٨٣٠ هـ

كامل^(١) ، وأن الإنسان الكامل ما هو إلا الرب الأكبر الجامع بين الحق والخلق في وحدة ، ولقد سبقه بهذا الإنلاد ابن عربي ، ولكن الجيلي كان حَقِيْقاً به أكثر ، مديراً حول محوره زندقته ، ولقد رأى الجيلي ألاّ يمين بهذه المرتبة على أحد قبله ، فمضى يؤكد القول أن إنسانيته هي أفق الربوبية والألوهية الأسمى .

ادعاء الجيلي الربوبية العظمى

«لى الملك فى الدارين ، لم أر فىهما سوى ، فأرجو فضله ، أو فأخشاه وقد حَزْتُ أنواعَ الكمال ، ولانى جمالُ جلالِ الكل ، ما أنا إلا هو»
هذا قول الجيلي . والله يقول : (٣ : ١٨٩) والله ملك السموات والأرض والله على كل شىء قدير) ولكن الجيلي يفترى أن له وحده ملك الدنيا والآخرة وأنه ليس للوجود رب سواه ، ولا ليوم الدين ملك غيره ، وأنه الغنى بذاته ، فلا تنفخ قلبه رغبةً فى نعمة من أحد ؛ لأنه الوهاب للنعم . ولا تلفح نفسه رهبةً من سلطان ؛ لأنه ملك الكل ومالكهم ! ! ولم يكتف الجيلي بهذا ، بل مضى يعدّد أنواع الخلق ، وصور الوجود المادى والحسى والروحى والمعنوى ؛ ليزعم بعدها أنه هو عينها ذاتاً ووجوداً ، فلا يتوهم واهم أن شيئاً ما فى الوجود يغاير الجيلي ، أو يخرج عن حقيقة ذاته ، فقال :

« فمهما ترى من معدن ونباته وحيوانه مع إنسه وسجاياه
ومهما ترى من أبحر وقفاره ومن شجر ، أو شاق طال أعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية ومن مشهد للعين طاب تحياه
ومهما ترى من هيئة ملكيّة ومن منظر إبليس قد كان معناه

(١) يقول الكمشخانى « الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى عين الله وعين العالم » ص ١١١ جامع الأصول فى الأولياء .

ومهما ترى من شهوة بشرية لَطَبِيع ، وإيثارٍ لِحَقِّ تعاطاه
ومهما ترى من عرشه ومحيطه وكُرسِيه ، أو رَفَرَفٍ عَزَّ تَجَلَاهُ
فإِنِّي ذاك الكَلِّ ، والكلَّ مَشْهُدِي أنا الْمُتَجَلِّي في حقيقته ، لا هُوَ
وإِنِّي ربُّ الأَنَامِ ومُسيّد جميع الوريِّ إسم ، وذاتِي مُسَمَّاهُ^(١)»
أرأيت إلى الجليلي بأية وثنية ينطق ؟ وبأية مجوسية يدين ؟ أرأيت إليه
في قوله : « أنا المتجلى في حقيقته لا هو ؟ » يا للجيلي !! يحكم على الوجود الحق
بالعدم الصرف !!

أرأيت إليه في زعمه أنه « ربُّ الأَنَامِ ومُسيّد » ؟ !
أرأيت إليه - وقد جُنَّتْ شهوة الزندقة فيه - يفترى أن الشهوات إحدى
مُتَوَمَّات الوجود الإلهي ، وأنها في دنسها عين وجوده ؟ ! وأن إبليس في غِيَّه
وتمرده هو عين الرب الأعظم ؟ ! وأن كل اسم في الوجود هو اسم لله سبحانه ،
لأنه عين كل مسمى . وأن كل صفة لكائن ما ، هي لله صفة ، لأنه عين الموصوف
بها ؟ فعلام يدل كل هذا ، أو أثارة واحدة منه ؟

أَسْأَلُ اللهَ بِإِسْمِهِ الشَّيْخُ أَنْ يَشْرِقَ فِي قَلْبِكَ شِعَاعٌ مِنْ هُدَى اللهِ ، لتبصر
على نوره هذا السكيد الدنيء للإسلام ، تُوَجِّجُ أَحْقَادَهُ الصَّوْفِيَّةَ ، وتُورِّثُ أَضْعَانَهُ
في خبث خاتل ، ودهاء بفتنك بالبسمات العذاب ، يترقب الفرصة للطعنة النجلاء .
وإن تعجب ، فعجب تقديس الصوفية للجيلي ، وتبرئة ساحته مما يحكم به
الحق والعدل عليه !! إنها محاولة الرياء الجبان انتهت ستره ، فيلوذ بالبراءة حتى
من نفسه ، لتسحق له الفرصة مرة أخرى ، فيجهز على الضحية .

إن تلك الزندقة الجيلية يتوارثها صوفي عن صوفي ، فحق عليهم قول الله
(٥٣ : ٥١ أَتَوَاصَوْنَا بِهِ إِذْ بَلَّيْنَا قَوْمَ طَاغُوتٍ) .

(١) ص ٣٧ وما بعدها ج ١ : الإنسان الكامل للجيلي ط ١٢٩٣ هـ

كيف يجعله الصوفية قطبا عرجت روحه إلى الحق تستلهمه الوحي ، وهو
القائل ١٩ :

« إلى الملك والملكوت نسجى وصنعتى إلى الغيب . والجبروت منى منشاه ^(١) »

رب الصوفية تقيضان وضدان

دانت الصوفية كما رأيت رب هو عين كل شيء ، وعين كل ما يطيف
بالذهن من صور ، ومن الأشياء ضدان ، ومن الصور تقيضان ، ورغم هذا لم
يحجم الصوفية عن وصف ربهم بأنه يجمع في ذاته بين الشيء وضده ، وبين
الصفة وتقيضها . يقول الجيلي : « اعلم أن الله تعالى لما خلق النفس الحمدية من
ذاته - وذات الحق جامعة للضدين - خلق الملائكة العالمين من حيث صفات
الجمال والنور والهدى من نفس محمد ، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات
الجلال والظلمة من نفس محمد ^(٢) » ويقول : « اعلم أن الوجود والعدم متقابلان
وفلّت الألوهية محيط بهما ؛ لأن الألوهية تجمع الضدين من القديم والحديث ،
والحق والخلق والوجود والعدم ، فيظهر فيها الواجب مستحيلا بعد ظهوره واجبا ،
ويظهر فيها المستحيل واجبا بعد ظهوره فيها مستحيلا ، ويظهر الحق فيها بصورة
الخلق ^(٣) ، ويظهر الخلق بصورة الحق ^(٤) » « الألوهية في نفسها تقتضى شمول
النقيضين وجمع الضدين ^(٥) » .

(١) ص ٢٣ ج ١ الإنسان الكامل .

(٢) ص ٤١ ج ٢ المصدر السابق . وتأمل زعمه أن إبليس خلق من نفس
محمد !! لقد رمانا الصوفية بالكفر ، لأننا دعوناهم إلى الصلاة على رسول الله بما
شرعه الله . لماذا يقولون في الجيلي ؟

(٣) الحق والخلق وجهان أو صفان للذات الإلهية فالأول باعتبار باطنها ،
والآخر باعتبار ظاهرها .

(٤) ص ٢٧ ج ١ المصدر السابق . (٥) ص ٦٩ ج ١ نفس المصدر ،

«تجمعت الأضدادُ في واحدٍ البها وفيه تلاشت قهوعنهن ساطع^(١)»

هذا رب عجيب لم يتدعه غير خيال الصوفية المخبول . رب موجود معدوم واجب مستحيل ، قديم حديث ، نعم بالحياة ، وبهلكه الموت ، فهو حي ميت في آن معاً !! هذا هو رب الصوفية الذي اختلقه الجليل ، وبه تدين الصوفية ، وإياه يعبدون !!

إله الغزالي^(٢)

ولعل مما يقلق دهشتك ، ويثير ثائرتك أن يُقرن بأولئك هذا الذي افترى له الصوفية أضخم لقب في التاريخ ، وهو « حجة الإسلام » ليفتكوا بهذا اللقب الخادع بما بقي من ومضات النور الشاحبة في قلوب المسلمين . فاسمع إلى كاهن الصوفية — لا حجة الإسلام — يتحدث عن التوحيد ومراتبه « للتوحيد أربع مراتب والثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه ، كما صدق به عموم المسلمين ، وهو اعتقاد العوام^(٣)!! والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق ، وهو مقام المقرين ، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار^(٤) . والرابعة : ألا يرى في الوجود إلا واحداً^(٥) وهي مشاهدة الصديقين ، وتسميه الصوفية : الفناء في التوحيد ، لأنه من حيث

(١) ص ٣٣ ج ١ المصدر السابق .

(٢) محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي مات سنة ٥٠٥ هـ

(٣) تدبر وصفه لعموم المسلمين بأنهم عوام في الاعتقاد !!

(٤) في هذه المرتبة يقرر وحدة الفاعل ، بدليل ما سيقره بعد ، وهو أنه لا يشاهد إلا فاعلاً واحداً ، فيأزمه نسبة فعل المجرم إلى ذلك الفاعل الواحد .

(٥) قرر فيما سبق وحدة الفاعل ولكنه لم ينف وجود غيره ، أما في هذه ، فيقرر وحدة الوجود أي وحدة الوجود ، يقرر أن الدوات على كثرتها هي في الحقيقة ذات واحدة .

لا يرى إلا واحداً ، فلا يرى نفسه أيضاً ، وإذا لم ير نفسه ؛ لكونه مستغرقاً بالتوحيد ، كان فانياً عن نفسه في توحيده ، بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق « ثم يحدثنا الغزالي عن مقامات الموحدين في كل مرتبة ، فيصف صاحب المرتبة الرابعة من التوحيد بقوله : « والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد ، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير ، بل من حيث إنه واحد ، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد . فإن قلت . كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحداً ، وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة ، وهي كثيرة ؟ فكيف يكون الكثير واحداً ؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات^(١) ، وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب^(٢) ، فقد قال العارفون : إفشاء سر الربوبية كفر^(٣) » ثم يضرب لنا مثلاً عن شهوة الوحدة في الكثرة بقوله : « كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد .. فكذلك كل مافي الوجود من الخالق

(١) يكل المعرفة بأسمى مراتب التوحيد إلى علوم المكاشفات ، لما تلك العلوم ؟ إنها قطعاً شيء آخر غير الكتاب والسنة ، إنها أساطير الصوفية التي استمدوها من « أذواقهم ومواجيدهم » ثم سجلوها في كتبهم ، فكأن القرآن وسنة الرسول ليس فيهما ما يصل بالقلب إلى قدس الحق من التوحيد الخالص ، فتدبر تجمد الغزالي يهدف إلى صرف المسلمين عن هدى ربهم إلى خرافات الصوفية وضلالاتهم .

(٢) اقرأ بعدها قول الله تعالى « عاقرطنا في الكتاب من شيء » وأهم شيء هو توحيد الله في ربوبيته وإلهيته ، ولكن الغزالي يزعم أن حقيقة التوحيد الحق لا يجوز أن تسطر في كتاب ، وهذا معناه أنها ليست في كتاب الله ، وأنه لا يعرفها أحد إلا الصوفية أرباب الكشف !!

(٣) هذا معناه أنه هو وأمثاله من الصوفية يعرفون أسرار الربوبية ، غير أنهم يضمنون بها على الكتب ، وأن المسلمين جميعاً لا يعرفون حقيقة التوحيد !! ومعناه مرة أخرى : أن كتاب الله ليس فيه الحق من التوحيد !!

والخلق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار من الاعتبارات واحد ،
وباعتبارات أخرى سواء كثير ومثاله الإنسان ، وإن كان لا يطابق الغرض ،
ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحداً ، ويستبين
بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه ، وتؤمن إيمان تصديق^(١) ،
وإلى هذا أشار الحُسَيْن بن منصور الحلّاج^(٢) حيث رأى الخواص يدور في الأسفار
فقال : فيماذا أنت ؟ فقال : أدور في الأسفار ؛ لأصحح حالتي في التوكل ، فقال
الحسين : قد أنبت عمرك في عمران باطنك ، فأين الفناء في التوحيد ؟ فسكّن
الخواص^(٣) كان في تصحيح المقام الثالث ، فطالبه بالمقام الرابع^(٤) »

(١) بهذا المرء يستدل الغزالي على الوحدة بين الخلق والخالق ، ويعتزم علينا
الإيمان به ١١ كنا نحب أن يأتينا بآية من كتاب الله ، أو إثارة من فكر جميع
وبرهان عقلي . بيد أنه لجأ إلى الخيال السقيم يشبه الوحدة بين الله وعباده بالوحدة
بين الإنسان وأعضائه ١١

(٢) صلب سنة ٣٠٩ هـ لثبوت زندقته .

(٣) إبراهيم بن إسماعيل أبو إسحاق الخواص مات سنة ٢٩١ هـ .

(٤) كل النصوص التي ذكرتها من كتاب الإحياء للغزالي ج ٤ من ص ٢١٢
وما بعدها ط دار الكتب العربية . وعجيب أن يمجّد الغزالي الحلّاج ، وهو يعلم أنه
قائل هذه الأبيات :

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب
حتى لقد غاب عنه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

* * *

مزجت روحك في روحي كما تمزج الحرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسفى فإذا أنت أنا في كل حال
الطواسين للحلاج ص ١٣٠ ، ١٣٢ . عجيب أن يمجّد الغزالي صوفياً يزعم أن
الله آكل شارب ، يحب الحياة ويخاف الموت ، ويمحقه العدم ويقتله الحزن ، وتزل =

أرأيت إلى من صَنَمَتَه الصوفية باللقب الفخم الضخم ؛ لتفتن به المسلمين عن
هذى الله ؟ ! أرأيت إلى الغزالي يدين بوحدة الوجود ، أو الشهود ؟ ! سَمَّيَا بما شئت ،
فعند الكفر تلتقى الأسطورتان ، لا تقل : إن وحدة الوجود أنشودة من البداية ،
ووحدة الشهود أغرودة عند النهاية ، فكلتاها بدعة صوفية بيِّد أنها غارت بين
الاسمين ، وخالفت بين اللونين ، ولكن البصر البصير لا يخدعه اسم الشهد سمي
به السم الناقع !!

كلتاها زعاف الرقطاء ، غير أن واحدة منهما في كأس من زجاج ، والأخرى
في كأس من ذهب !!

ولقد فضح الغزالي سره حين تمثل في إعجاب بتوحيد الحلاج . وهذا وحده
كاف في إدانة الغزالي بالحلاجية ، ولقد علمت ماهي !!

رأى في الغزالي

ولقد فطن إلى حقيقة دين الغزالي المستشرق نيكلسون ، وإلى أنه النافث
لجرثومة الصوفية ، قال : « إن الغزالي أوسع المجال لبعض صوفية وحدة الوجود
أمثال ابن عربي وغير هؤلاء من طوائف الصوفية الذين كانوا إخوانا في ذلك
الدين الحر بكل ما لكلمة الدين الحر من معنى ^(١) » ولقد كنا نحب أن يفطن إلى
ذلك بعض من يعجلون الغزالي ، كما فطن إليه ذلك المستشرق للمسيحي ^(٢) !!

= به الشهوات ، لأنه عين خلقه !! ألم يجد الغزالي من المؤمنين من يتمثل به في
بلوغ أسمي مراتب التوحيد ؟ ألم يعطفه توحيد أبي بكر وعمر ، فينصرف عنهما إلى
تمجيد زندقة الحلاج ؟ .

- (١) ص ١٠٤ « في التصوف الإسلامي » ترجمة الدكتور عفيفي .
- (٢) سبقه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه ، فكشف كشفاً
صريحاً مؤيداً بالنصوص القاطعة عن صوفية الغزالي وإن كان لم يستشهد بتلك
النصوص التي نقلتها من الإحياء فيما قرأت لشيخ الإسلام .

ويقول جولدمزير : « وابن عربي الذي أشرنا من قبل إلى تأثره بالفزالي يخضع تفسيره الذي نحافيه منحي التأويل إخضاعاً تاماً لوجهة النظر التي أخذ بها الفزالي^(١) » ويقول : « خلص الفزالي الصوفية من عزلتها التي ألغها عليها ، وأقذفها من انفصالها عن الديانة الرسمية ، وجعل منها عنصراً مألوفاً في الحياة الدينية ، وفي الإسلام ، ورغب في الاستمالة بالأراء والتعاليم المتعلقة بالتصوف ، لكي ينفث في المظاهر الدينية الجامدة « كذا » . قوة روحية^(٢) » ويقول : « إن الفزالي رفع من شأن الآراء الصوفية ، وجعلها من العوامل الفعالة في الحياة الدينية في الإسلام^(٣) » وهكذا لم يعمل الفزالي للإسلام بل للصوفية ، وبعد أن كان المسلمون على حذر من سمها ، وفي انفصال تام عنها حملهم بسحر بيانه على أن يمتشقوا أساطيرها . ويقول كارل بكر « ولقد سادت روح « الغنوص » فرق صدر الإسلام كلها ، ثم سادت التصوف الذي كان يعد في البدء بدعة خارجة عن الدين ، ولكنه أصبح بفضل الفزالي خالياً من السم معترفاً به من أهل السنة^(٤) » هذا هو خطر الفزالي !! صور التصوف للمسلمين رحيقاً خالياً من السم ، فترشقوه ، ففتك بهم رأى في خطر وحدة الوجود

يقول « نيكلسون » : « إن الإسلام يفقد كل معناه ، ويصبح اسماً على غير معنى ، لو أن عقيدة التوحيد المبرر عنها بـ « لا إله إلا الله » أصبح المراد بها : لا موجود على الحقيقة إلا الله . وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجردة قضاء تام على كل معالم الدين المنزل ، ونحو هذه المعالم نحو « كاملا »

- (١) ص ٢٥٩ مذاهب التفسير لجولد زير .
- (٢) ص ١٥٩ العقيدة والشريعة لجولد زير .
- (٣) ص ١٦١ نفس المصدر .
- (٤) ص ١٠ التراث اليوناني ترجمة الدكتور بدوي .

حقيقة ساطعة ، يقرها مسيحي ، ويكفر بها شيوخ كبار يزعمون أنهم أحبار الدين وأئمة !! وهل المقام الرابع للتوحيد في دين الغزالي إلا مقام القائلين « لا موجود إلا الله » ؟ بل إنها لتسيحة الصوفية في العشايا والأبكار !! وإني لعل بينة من أنى بهذا الحق الذى أشهد به ، أثير نائرة الكبار من الشيوخ ، فكتاب « الإحياء » قرآنهم الأول . وبما يعرف الغزالي فيه ، يؤولون كتاب الله ، ويمحرفون آياته . وفي وجه الحق من هدى الله يرفعون ضلالة الأساطير من « الإحياء » وخرافة الأوهام من « المشكاة » !!

ولكنى أصرخ بالحق في وجوه الثائرين : رُوِيَ دَكَم !! فما نُؤَلَّه من دون الله أحداً ، وما تتخذ كتاباً يهديننا غير كتابه ، ولا قدوة غير رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نسجد لصنم ، ولا نتمق بطاغوت ، وإن يكن هو الغزالي ، أو كتبه^(١) !!

دَنَدَنَةُ الغزالي بوحدة الوجود

يقول : « العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة ، اتفقوا على أنهم لم يَرَوْا في الوجود إلا الواحد الحق ، ولسكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علميا^(٢) ومنهم من صار له ذوقا وحالا^(٣) ، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية ، واستغرقوا بالفَرْدَانِيَّة الحضة ، فلم يبق عندهم إلا الله ، فسكروا سكرًا ، وقع دونه سلطان

(١) يحاول السبكي في كتابه طبقات الشافعية تبرئة ساحة الغزالي بزعمه أنه اشتغل في أخريات أيامه بالكتاب والسنة ، ونحن نسأل الله أن يكون ذلك حقًا ، ولكن لابد من تحذير المسلمين جميعاً من تراث الغزالي ، فكل ماله من كتب في أيديهم تراث صوفي ، ولم يترك لنا في أخريات أيامه كتاباً يدل على أنه اشتغل بالكتاب والسنة .

(٢) أى وصل إليها عن طريق الدليل والبرهان .

(٣) أى وصل إليها عن طريق الكشف والإلهام .

عقولهم ، فقال بعضهم : أنا الحق ^(١) ! . وقال الآخر : سبحانه ! . ما أعظم شأنى ^(٢) !
وقال الآخر : ما فى الجبة إلا الله ^(٣) وكلام العشاق فى حال السكر ، يطوى ،
ولا يحكى ^(٤) ! . فلما خف عنهم سكرهم ، وردوا إلى سلطان العقل ، عرفوا أن
ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد ، بل يشبه الاتحاد ، مثل قول العاشق فى حال فرط العشق :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا نحن روحاً حللنا بدنا ^(٥)

وتسمى هذه الحالة بالإضافة إلى المستغرق فيها باسان المجاز : اتحاداً ، ولسان
الحقيقة توحيداً . ووراء هذه الحقائق أسرار لا يجوز الخوض فيها ^(٦) «توحيد من؟؟
أتوحيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أم توحيد البررة الأخيار من أصحابه ؟ أجبوا
ياضحايا الغزالي وسدنة الأصنام من كتبه ؟

(١) قائلها طيفور البسطامى .

(٢) قائلها البسطامى .

(٣) قائلها الحلاج .

(٤) يصف الغزالي هذه المجوسية الصوفية بأنها هتفات أرواح سكرت بعشق الله ،
ولم يجد الغزالي ما ينقد به هذه الصوفية - إن عددها تقدأ - سوى قوله : وكلام
العشاق يطوى ولا يحكى !! ولكن ما حكم الله ياغزالي ؟ لا يجب !! ، ولكنه حكم
من قبل بأن ذلك أسمى مراتب التوحيد !!

(٥) البيت للحلاج وانظر ص ٣٤ طواسين ، والبيت الذى بعده .

فإذا أبصرتنى ، أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

والغزالي يعرف أن ذلك للحلاج غير أنه يتستر على شيطان وجهه ، والحلاج
حاولى يؤمن بثنائية الحقيقة الإلهية ، فيزعم أن الإله : له وجهان ، أو طبيعتان هما :
اللاهوت والناسوت ، وقد حل الأول فى الآخر . فروح الإنسان هى لاهوت الحقيقة
الإلهية ، وبدنه ناسوته . فإذا كان الغزالي قد رفض القول بالاتحاد ، ودان بما
يشبهه ، فقد آمن بما هو أخص منه ، وهو الحلول . بدليل استشهاده بالبيت الذى عبر
به الحلاج عن حلوليته !!

(٦) ص ١٢٢ مشكاة الأنوار للغزالي ط ١٩٣٤ م

زَمَرَمَاتُ الْغَزَالِي بِالْوَحْدَةِ

وأَصْبَحَ إلى زمزمات الغزالي بأسطورة الوحدة : « السكل من نوره ، بل هو لا هُويَّةٌ ^(١) لغيره إلا بالجواز ، فإذا لا نور إلا هو ، وسائر الأنوار أنوارٌ من الوجه الذى تليه ، لا من ذاتها ، فَوَجْهٌ كُلِّ مُوَجَّهٍ إليه و مُوَلِّ شطره (أينما تَوَلَّوْا ، فَشَمَّ وجه الله) ، فإذا لا إله إلا هو ، فإن الإله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة ، والتأليه ، أعنى وجوه القلوب ، فإنها الأنوار والأرواح ، بل كما لا إله إلا هو ، فلا هو إلا هو ، فإن هو : عبارة عما إليه الإشارة ، وكيفما كان ، فلا إشارة إلا إليه ، بل كلما أشرت ، فهو بالحقيقة الإشارة إليه ^(٢) » . يفترى أن كل هوية فى الوجود ، هى عين هوية الله سبحانه ، أى حقيقته . ولذا لا يمكن أن تقع إشارة ما إلا عليه . فإن أشرت إلى صنم ، أو ميت ، فكلنا إشارتيك واقعة على رب الغزالي ، ولم لا ؟ وماهية الصنم أو حقيقته هى عين ماهية الرب الغزالي .

تلك هى الأسطورة التى ابتدعها الغزالي ، ووصى بها كهنة الصوفية من بعده ! وإليك هينة الموبدان بخرافة الوحدة مرة أخرى : « لا إله إلا الله توحيد العوام ! ولا هو إلا هو توحيد الخواص ^(٣) ! لأن ذلك أعم ، وهذا أخص

(١) الهوية عند الصوفية هى : الحقيقة الباطنة للذات الإلهية ، أو هى الذات قبل التعيين فى مادة ، يزعم بهذا أن كل ماتحقق من إثبات الوجود ، فباطنها هوية الله ! (٢) ص ١٢٤ مشكاة الأنوار للغزالي . وتلك هى الطامة الغزالية ؛ إذ يزعم أنك مهما أشرت إلى شيء ما ، فأشارتك فى الحقيقة واقعة على الله ؛ لأنه عين ذلك الشيء المشار إليه !!

(٣) يزعم أن الإيمان بما توجه كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » هو توحيد العوام !! لأنه ثبت لله وحده الربوبية والإلهية ، وينفيهما عن غيره . ويثبت بالتالى وجود خلاق وخلق ، وفى هذا ، أى فى إثبات وجودين ، أو موجودين يفاير أحدهما الآخر ثنائية تناقض صرافة الوحدة ، وهذا شرك عند الصوفية وكاهنهم . ولذا يهت « لا إله إلا الله » بأنها توحيد العوام . يهتها بذلك ، وهى توحيد الرسل جميعاً !! =

وأشمل وأحق وأدق ، وأدخل بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة .
ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية ، فليس وراء ذلك مرقاة إذ الرق
لا يتصور إلا بكثرة ، فإنه نوع إضافة يستدعي مأمته الارتقاء ، وما إليه الارتقاء ،
وإذا ارتفعت الكثرة ، حققت الوحدة ، وبطلت الإضافة ، وطاحت الإشارة ،
فلم يبق علو ، ولا سفل ^(١) ، ولا نازل ، ولا مرتفع ، فاستحال الترقى ، واستحال
العروج ، فليس وراء الأعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ، ولا مع انتفاء الكثرة
هروج ، فإن كان ثم تغيير من حال ، فالنزول إلى السماء الدنيا ، أغنى بالإشراق
من علو إلى أسفل ، لأن الأعلى - وإن لم يكن له أعلى - فله أسفل ، وهو من
العلم الذي هو كنهه للمكنون الذي لا يعلمه إلا العلماء بالله ، فإذا نطقوا به ، لم
ينكره إلا أهل النيرة بالله ^(٢) .

--- أما توحيد الخواص عنده ، فكلمته «لا هو إلا هو» لأنها تثبت وجوداً واحداً ،
وتنفي الغيرية والكثرة والتعدد ، تثبت موجوداً واحداً تنوعت مظاهره ، فسميت
خلقاً ، وتنفي المغايرة بين من نسبهم الخلق وبين من نسبه الخلاق ١١ وتثبت أن
وجود الأول عين وجود الثاني ، فكما أنه لا وجود إلا وجوده ، فكذلك لا ذات
إلا ذاته ، أما تلك الكثرة الوهمية في الدوات ، فيؤمن بها عى القلوب ١١ هذا
دين الغزالي .

(١) استعمل نفس هذا التعبير العطار الصوفي في تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٢١٦
(٢) ص ١٢٥ المصدر السابق ، وأقول : إن الله سبحانه أخبر أنه استوى على
عرشه ، وأن الملائكة تعرج إليه ، وأن العمل الصالح يرفعه إليه ولكن الغزالي أبي
إلا أن يرفع في وجه الحق وفي حرمه أصنامة هو ، فزعم استحالة العروج ، ونفاه نقياً
باقاً ، لكيلا يتناقض مع ما يدين به من الوحدة المحضة ، فالقول بعروج أحد إلى الله
إثبات للتعدد أو للكثرة أو للغيرية ، إذ يستلزم وجود من منه العروج ووجود من
إليه العروج ، وهذه ثنائية تنقض أو تناقض الوحدة التي يؤمن بها الغزالي ، وحدة
الوجود ، فإذا قيل بعروج ما ، فالقول به مجازي محض ، إذ العروج ، هو من اللات
الإلهية نفسها بنفسها إلى نفسها ، فالذي منه العروج عين من إليه العروج ، وإذا =

ثم يتابع الغزالي الحديث عن الله ، فيقول : « له نزول إلى سماء الدنيا وأن ذلك هو نزوله إلى استعمال الحواس ، وتحريك الأعضاء ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « صرت سمعه ... الحديث » فهو السامع والباصر والناطق إذن لا غيره ^(١) » والجملة الأخيرة وحدها صريحة في الكشف عن إيمان الغزالي بالوحدة بين الحق والخلق . إذ يقرر أن كل سامع وباصر وناطق هو الله ! وما إخال مسلما يلح إيماءة من الحق في تلك الأوهام ، ولا شعاعة من التوحيد في تلك الأسماج الغزالية ، وإنما يحس بِيَحْمُومِ الوحدة الصوفية ، يطغى بسواده هنا ، وهناك ، ويخفق الأنفاس حتى تحتضر ! ولقد شعر الغزالي بما في مفترياته من شطط متجانف لإثم ، فحاف على باطله أن يقذف عليه بالحق أهله ، فوصف المنكرين لأساطيره بأنهم : أهل غرة ! وَمَنْ أهل الغرة ؟ إنهم الذين يدينون دين الحق من القرآن ، ويكفرون بأساطير الغزالي ! ليكن يا كاهن الصوفية ! فما أنت الذي نعرف منه فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة — كما سميت كتابا لك — وإنما نعرف ذلك من كتاب الله الذي يدينك ، ويحكم عليك بما يصق عابديك وكهان دينك ^(٢) !

== ما قيل : نازل أو صاعد ، فالنازل هو الصاعد إذ هما ذات واحدة ، والنزول عين الصعود ، إذ هما وصفان متحدان في الحقيقة ؛ مختلفان بالاعتبار ، توصف بهما ذات واحدة في حال واحدة في آن واحد هي الذات الإلهية . فالملائكة الذين يعرجون إلى الله (٧٠ : ٤ تعرج الملائكة والروح إليه) هم عين الذات الإلهية في أسماء آخر لها . والعمل الصالح الذي يرفعه الله إليه ، هو عين الذات الإلهية في وصف آخر لها ، وإلا قلت بالكثرة والتعدد ، وبأن الله غير الخلق !! هذا دين الغزالي فتدبره ، وثمت يلقاك ابن عربي بما تعرفه منه ، ولكن باسم جديد ، وزى ساحر ، ولقب كبير خادع .

(١) ص ١٢٥ المصدر السابق .

(٢) لا تعجب حين ترى الغزالي يجنح في دهاء إلى السلفية في بعض ما كتب ، فللغزالي وجوه عدة كان يرأى بها صنوف الناس في عصره ، فهو أشعري . لأن نظام الملك صاحب المدرسة النظامية أراد على ذلك ، وهو عدو للفلسفة ، لأن الجماهير ==

أصنام صغيرة

إله ابن عامر البصرى^(١)

ولكيلا ترتاب في أن ما ذكرته لك هو دين الصوفية جميعاً من سلفهم إلى
خلفهم ومعاصريهم . أذكر لك دين بعض أصنامهم الصغيرة ، فاسمع إلى ابن عامر
في تأنيته التي عارض بها تأنية ابن الفارض ، وزنا وقافية ، ولطخها بنفس الزندقة
الفارضية !

تجلى لى المحبوب من كل وجهة فشاهدته في كل معنى وصورة
وخاطبني منى بكشف سرائر تعالت عن الأغيار^(٢) لطفاً، وجلت
فقال : أتدرى من أنا ؟ قلت : أنت يا

منادى أنا ؛ إذ كنت أنت حقيقى

بهذا بدأ ابن عامر قصيدته ، فكان صريح الزندقة فيها !

نظرت، فلم أنصّر سوى تحض وحدة بغير شريك ، قد تغطت بكثرة
تكثر الأشياء، والكل واحد صفات وذات ضمناً في هوية

ويظل الصوفى يهوى حتى يبلغ القرار السحيق من وحدة الوجود .

== على تلك المداوة ، وهو متكلم ، ولكنه يترأى بعداوته للكلاميين اتقاء غضب
الحنابلة ، أما هو في كتبه « المضمون بها على غير أهلها » فصوفى إشراقى من قمة
رأسه إلى أخمص قدميه ، وفي كتبه الأخرى تجده أشعرياً تارة ، وسلفياً مشوباً
بأشعرية تارة أخرى . وهكذا كان يلقى كل فريق بالوجه الذى يعرف أنهم يحبونه ،
لايهمه أكان وجه حق ، أم وجه باطل !!

(١) عامر بن عامر أبو الفضل عز الدين توفى غالباً في أواخر القرن الثامن
الهجرى .

(٢) قول المسلم : تعالى الله عن شريك . أما قول الصوفى : تعالى الله عن الأغيار
أى ما ثم غير له ، إذ هو عين كل شيء !!

فأنت أنا لا ، بل : أنا أنت^(١) . وحدة
مُنَزَّهَةٌ عن كل غير وشركة^(٢)
إله الصدر القونوى^(٣)

تقرأ في كتابه « مراتب الوجود » : « فالإنسان هو الحق ، وهو الذات ،
وهو الصفات ، وهو العرش ، وهو الكرسي ، وهو اللوح ، وهو القلم ، وهو الملك ،
وهو الجن ، وهو السموات وكواكبها ، وهو الأرضون وما فيها ، وهو العالم
الدنياوى ، وهو العالم الآخرى ، وهو الوجود ، وما حواه ، وهو الحق^(٤) ، وهو
الخلق ، وهو القديم ، وهو الحادث^(٥) » وإخال أنى أنتقص من فكرك ،
إن حاولت أنا أن أدلك على خطايا الوثنية فى بداء القونوى .

إله النابلسى^(٦)

يقول معقبا على قوله تعالى : (٤٨ : ١٠) إن الذين يبايعونك ، إنما يبايعون
الله (يقول : « أخبر تعالى أن نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم هو الله تعالى وتقدس
ويعبته بيعة الله ، ويده التى مدت للبيعة هى يد الله » ويفسر قول الله لموسى :

(١) يقول لربه : أنا أنت وأنت أنا ، وإبليس فى عتو جحوده وكفره قال لربه :
« ١٥ : ٣٦ رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون » فلم يكفر اللعين كفر الصوفية ، إذ أقر
بربوية الله . أما هم ، فيبتهون ربوية الله بأنها عبودية شائنة .

(٢) تائية ابن عامر بتحقيق الشيخ المغربى ط دمشق سنة ١٩٤٨ م

(٣) محمد بن إسحاق توفى سنة ٦٧٣ هـ

(٤) أذكرك بأن الصوفية يعنون بالحق الله سبحانه ، أو هو الحقيقة الإلهية قبل
تجليها فى صور خلقية .

(٥) من كتاب مراتب الوجود مخطوط بالظاهرية بدمشق رقم ٥٨٩٥ عام
« نقلا عن الإنسان الكامل ص ١١٥ للدكتور بدوى » .

(٦) عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى توفى سنة ١١٤٣ هـ

(٢٠ : ١٣ وأنا اخترتك) بقوله : « بأن تكون أنا ، وأكون أنا أنت ، فاستمع لما يوحى إليك منى ، وهذا نظير حديث الإنسان الغافل لنفسه ، يحدثها ويحدثه » .
ويفسر قوله سبحانه لموسى (٢٠ : ٣٩) وألقيت عليك محبة منى ، ولتصنع على عيني) بقوله : « أى ذاتى فأظهر بك ، وتغيب أنت ، وتظهر أنت ، وأغيب أنا ، وما هما اثنان ، بل عين واحدة ^(١) » وما ألس من بهتان مُسِفٍ فى فجور الزور ، وقحة الكذب ؛ كهتان النابلسى يزعم أن الصوفية تعدد بالكتاب والسنة فى إيمانهم بوحدة الوجود ؛ إذ يقول « إن عمدتنا وعدتنا هو التمسك بالقرآن العظيم وسنة نبيه الكريم فى معرفتنا بر بنا وإطلاق ما أطلقه على نفسه فى كلامه القديم ، وما أطلقه عليه نبيه البر الرحيم ^(٢) » لم يقنع بالكفر السفيه وحده ، فأضاف إليه بهتاناً دنيئاً ؛ إذ يزعم أن كتاب الله هو عدته فى التمسك بوحدة الوجود ، ويقينى أنك لو قرأت الفقرة الأخيرة ، وأنت غافل عن عقيدة النابلسى ، لأيقنت أنه مؤمن فاض بنور الحق قلبه ، وهكذا كل صوفى يلبس لكل حال لبوسها ، ويعطيك جانباً منه يرضيك ، حتى إذا سكنت إليه ختلك ، ففتلك !

(١) عن رسالة اسمها « حكم شطح الولي » للنابلسى مخطوطة بالظاهرية بدمشق رقم ٤٠٨ . نقلا عن كتاب « شطحات الصوفية ص ١٥٣ للدكتور بدوى »

(٢) نفس المصدر وبمثل هذا الرياء يخدع الصوفية المسلمين عن دينهم ، إذ يلونون الباطل بلون من الحق ، ليمكروا به ، وحق ما يقول جولد زيهر : « كان التصوف خصوصاً هو الذى عفى بتصور كثير من الأفكار الإفلاطونية المحدثثة والغنوصية فى صورة إسلامية ، فمن دوائر التصوف صدر الكثير من الأحاديث الموضوعة التى قصد بها إلى تبرير قواعد التصوف » ويقول : « كل تيار فكري فى مجرى التاريخ الإسلامى زاوّل الاتجاه إلى تصحيح نفسه على النص المقدس واتخاذ هذا النص سنداً له على مواقفته للإسلام ومطابقته لما جاء به الرسول ، وهذا وحده كان يستطيع أن يدعى لنفسه مقاماً وسط هذا النظام الدينى وأن يحتفظ بهذا المقام » انظر ص ٢١٨ التراث اليونانى لبدوى و ص ٣ مذاهب التفسير لجولد زيهر .

بل هكذا كل نحلة تثير على كتاب الله حرب أضغانها ، فهي لا تستطعن بتكذيب الله في وحيه ، وإنما تزعم - لتفتن الناس عن دينهم الحق - أنها تقدسه ولكنها - وهي مقنعة بالأهداف بريائها الخاتل - تضع لألفاظ القرآن معاني ما أنزل الله بها من سلطان ، وليست لها صلة ما بألفاظها ، اللهم إلا حين تزعم أن الكفر معناه الإيمان ، وأن الباطل هو روح الحق ! ولهذا تجمد تكذيبها لله شروا حيث أنواع التكذيب ، وما البهائية في تحنث كفرها أو القاديانية في مكر دعوتها إلا دليل صدق على ما أقول . فكلتاها تفتري أنها تؤمن بكتاب الله ورسوله ! وكلتاها عدو ألد الخصام لله ، ورسوله ، ولكتبه .

إله ابن بشيش^(١)

للورد الذي افتراه ابن بشيش سحرُ الأمل ، استهلَّ بعد يأس في مشاعر الصوفية ، ورقة البشائر تأسو الدموع وجراح الأحزان ، إذ يروونه - على اختلاف طرائقهم - وحيا ينفخ قداسة وربانية ، وصلاة ينشع بها سجد الملائك ، وتساييح ترتلها الحور في خاتل الفردوس !

وإليك هذا الورد الذي يضرع به الصوفية في معابد الأصنام كلما قَبِلَ السَّحَرُ جبينَ الليل ! « اللهم صل على مَنْ مِنْهُ انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق » همسات تغير خافتة بأسطورة الحقيقة الحمديدية الصوفية ، بيد أن هذه الهمسات تلو رويداً رويداً حتى تحول صريحاً وخفياً في قوله : « ولا شيء إلا وهو به منوط ؛ إذ لولا الواسطة ، لذهب كما قيل المتوسط ، اللهم إنه سرُّك الجامع الدالُّ عليك ، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك » ثم تُجَنِّهُ لَهْفَتُهُ ، فيهرول مجنون الخطى إلى هتك الستار عن معتقده ، فيضرع إلى الله بهذه الصوفية الملحدة « وَزُجَّ بِي فِي بَحَارِ الْأَحْدِيَةِ^(٢) وَأَنْشَأَنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ ،

(١) عبد السلام بن بشيش أو مشيش من كبار شيوخ الشاذلية .

(٢) الأحدية « هي مجلى الذات ليس للأسماء ، ولا للصفات ، ولا لشيء من

وأغرقني في عين بحر الوحدة ، حتى لا أرى ، ولا أسمع ، ولا أجد ، ولا أحس إلا بها . »

أرأيت إلى الصوفية تحت غلازل السَّحَرِ الْوَزْدِيَّةِ ، والليل ساجي السكون لا تسمع فيه سوى رفيف أجنحة الرُّؤْي ، وهمسات الأحلام ، والسكون في فيض الجمال الغامر ، والبهاء الساحر يثير في القلب المؤمن أزكى مشاعر الإيمان والحب للخلاق البديع ، فيسجد لله في عبودية خالصة . في هذه الجلوات الروحية ، وفي تلك المجالى حيث يتألق نور الجمال ، ويهمس الليل بنجوى الوداع في سمع الفجر يضرع الصوفية إلى الله أن ينشلهم من أحوال التوحيد ؟؟
إله الدمرداش^(١)

يقول :

لقد كنتُ دهرًا قبل أن يُكشَفَ النِّطَاقُ
إِخْلُكْ أُنَى ذَاكَرٍ لَكَ شَاكَرٍ
فَلَمَّا أَضَاءَ اللَّيْلُ أَصْبَحْتُ شَاهِدًا
بَأَنَّكَ مَذْكُورٌ وَأَنَّكَ ذَاكَرٌ^(٢)
حتى هذه الزعنفة التائهة تزعم أن الغطاء كُشِفَ عنها فرأت أنها هي الله ! !
واسمع إليها تقول :

== مؤثراتها فيه ظهور ، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقيقية والخلقية ، وليس لتجلى الأحدية في الأكوان مظهر أتم منك إذا استغرقت في ذاتك ، ونسيت اعتباراتك ، وهو أول تنزلات الذات من ظلمة العماء إلى نور المجالى ، وهذه الأحدية في لسان العموم هي الكثرة المتنوعة « هذه هي الأحدية عند الصوفية انظر ص ٣٠ ج ١ الإنسان الكامل للجيلي .

(١) هو محمد الدمرداش المحدثى توفي سنة ٩٢٩ هـ

(٢) ص ١٦ القول الفريد للدمرداش ط ١٣٤٨ هـ

هو الواحد الموجود في الكل وحده

سوى أنه في الوهم سُمِّيَ بالشَّوى (١)

والكل هنا تسم الشئنية المطلقة في عمومها وشمولها ، فأنتم إذن عنده من شيء يدركه الحس ، أو يتخيله الوهم ، أو تغليش به الغريزة إلا وهو عين الله ذاتاً وصفة ! ! غير أن الوهم هو الذي حال بين العقول وبين إدراك هذه الحقيقة ، فظننت أن هذه الكائنات المحسَّنة ، وتلك الصور الذهنية شيء آخر غير الله ! ولذا يقول : « فلا وجود سوى الله ، والغير وهم وخيال » (٢) .

إله ابن عجيبة (٣)

وهذا الذي تجرَّع الفاطمية الخبيثة ينقل في شرحه لحكم بن عطاء الله هذه الأبيات :

<u>أَرَبُّ ، وَعَبْدٌ ، وَنَفْيٌ ضِدٌّ ؟</u>	<u>قلت له : ليس ذاك عندي</u>
<u>فقال : ما عندكم ؟ . فقلنا</u>	<u>وجودٌ فَقَدْ ، وَقَدْ بَخَدِ</u>
<u>توحيد حَقٍّ بترك حَقٍّ</u>	<u>وليس حَقٌّ سِوَايَ وَحْدِي</u>

ويشرحها بقوله : « ومعناها الإنكار على من أثبت الفرق ، بأن جعل للعبودية محلاً مستقلاً منفصلاً عن أسرار معاني الربوبية ، قائماً بنفسه ، ولا شك أن العبودية تضاد أوصاف الربوبية على هذا الفرق ، وأنت تقول في توحيد الحق : لا ضد له ، فقد نقضت كلامك . ولذلك قال : ونفى ضد ؟ ! فالواو بمعنى : مع ، وهو داخل في الإنكار . أي : أيوجد رب . وعبد مستقبل ، مع نفي الضد

(١) ص ١٤ المصدر السابق .

(٢) ص ١٤ المصدر السابق .

(٣) أحمد بن عجيبة الإدريسي الفاسي نسبة إلى فاس بالمغرب توفي في منتصف القرن الثالث عشر الهجري .

لرؤية ، والعبودية تضاداً أوصاف الرؤية ١٩ والحق أن الحق تعالى تجلى بمظاهر
الجمع في قوالب الفرق ، ظهر بعظمة الرؤية في إظهار قوالب العبودية ، فلا شيء ،
معه ^(١) « يريد الفاطمي الخليل أن يقول : نحن نؤمن بأن الرؤية لا ضد لها ،
فإذا آمننا بوجود عبودية تغاير الرؤية في الذات والصفات . فقد تناقضنا ونقضنا
ماقلناه ، فالذي ينبغي الإيمان به هو الوحدة المطلقة ، هو أن العبد عينُ الرب حتى
لا تناقض قولنا : إن الرب لا ضدَّ له ! ! ^(٢) .

وحسبك هذا من ذلك العِلج الفاطمي .

إله حسن رضوان ^(٣)

يقول في منظومته الكبرى « روض القلوب » .

فليس في الوجود شيء يشهد سواء ، فالأشياء به توحد
والكثرة الموجودة الموهومة في ذاتها بوحدة معدومة
والحق في الأشياء جميعاً ظاهراً وسيراً قامت به المظاهر
وكل ذرة من الذرات تنبي بأن الكل عين الذات
فوحدة الوجود لا تفارق شيئاً ، ولكن يستفاد الفارق
فبالحدوث والفناء بوصف إذن ، ولا يضر إذ يعرف ^(٤)
ثم يبشر سالك الطريق الصوفي بقوله :

ولا يزال نوره يزيد حتى لديه يكمل التوحيد

(١) ص ٢٠٩ وما بعدها إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة .

(٢) يقول جولد زهر : « عمد الصوفية إلى إقحام آرائهم في القرآن والحديث
بطريق التأويل ، وهكذا ورنوا الإسلام تركة فيلون » ص ١٤٠ العقيدة والشرعية

(٣) توفي سنة ١٣١٠ هـ أي منذ نصف وستين عاماً ١١

(٤) ص ٢٦٩ روض القلوب المستطاب ط ١٣٢٢ هـ

وسر وحدة الوجود ينكشف لعينه ، ومنه ذوقاً يرتشف
فَتَضَمُّجُ الكثرة المشهودة له بنور الوحدة المقصودة
فلا يرى بعينه الموحدة في الكون شيئاً غير ذات واحدة^(١)

من بواكير الزندقة

وأصبح بإسماحة الشيخ إلى فحيح الزندقة ينفث سمها الأول طيفور البسطامى
أبو يزيد : « خرجت من الله إلى الله ، حتى صاح منى في : يا من أنا أنت^(٢) »
وإليه « سبحانى ما أعظم أنى^(٣) » . !

أرأيت إلى الأصنام الصغيرة . تدين بدين أمها الكبيرة ؟ ! .

تأليه الحيوان النجس

هأنذا شرقت وغربت ، وياسرت ، ويامنت مع الصوفية أحباراً وكهاناً ،
قدامى ومحدثين ، ونقلت عن سلفهم ، وسجلت ماضيهم وحاضرهم ، نقلت
ما يدنون به في أمانة لم يمنح بها عن قدسها غل ولا حقد ولا غضب ، نقلت
هذا كله ؛ ليؤمن من لا يزال على فكره وقلبه غشاوة من سحر الصوفية ، أن
الصوفية - قديماً وحديثاً في النصرانية ، وفي اليهودية ، وفي دين من خدعوك
بأنهم مسلمون - تؤمن بأن هذا الكون كله ، حتى جيفه ورّمه وخنازيره ،
وكلابه ماهو إلا حقيقة الرب الأعظم « هوية وإنية » . ولذا ينقل محمد بهاء الدين
عن زعيم صوفى قوله :

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة^(٤)

(١) ص ١١٥ المصدر السابق .

(٢) ص ١٦٠ ج ١ تذكرة الأولياء

(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٤) الفحات الأقدسية شرح الصلوات الإدريسية ط ١٣١٤ هـ

وناقل هذا صوفي يتمثل بهذا البيت الصوفي في روعة الحب الخشاع ،
ليكشف لك عن روحانية الجمال الصوفي ١ .

هذه هي الصوفية في كتابها ، فماذا ترى ؟ تؤمن بأن الله هو عين خلقه ، وبأن
الماخور عر بدت فيه الأبالسة ، عين المسجد تَبَتَّتْ فيه الرسل ١ . وأن الوئانية
السامرية عين التوحيد الحق ، وأن الحج إلى مَبَسْكِ اليهود ، أو « كَرْمَل »^(١)
البهائية عين الحج إلى بيت الله . وما والله رميت الصوفية بفرية ، بل بما يدينون
به ، ويدعون إليه ، ويحبون أن يُعَرَّفُوا به ، فما رأى سماحة الشيخ الكبير^(٢) .

نور من القسرآن

وإشفاقاً على الصوفية أن يجدوا مشقة في إِبْصَارِ الحق المتأثلي ، أذكرهم

(١) حيث ثوت رمة الهالك ميرزا حسين على القلب بهاء الله ١١

(٢) قبل رأى الشيخ تنقل آراء بعض المستشرقين فيما جاء به الإسلام من
التوحيد ، فهذا غُستاف لوبون يقول - وهو يتحدث عن وحدة الوجود - : « إن
الإسلام يختلف عن النصرانية ، ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسى ،
فالإله الواحد الذى دعا إليه الإسلام مهيم على كل شيء ، ولا تخف به اللائكة
والقديسون وغيرهم ، وللإسلام وحده كل الفخار ، بأنه أول دين أدخل التوحيد
الحض ، والإسلام وإدراكه سهل خال مما نراه في الأديان الأخرى ، ويأباه الذوق
السليم من المتناقضات والعوامض ، ولا شيء أكثر وضوحاً ، وأقل غموضاً من
أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد ، وبمساواة جميع الناس أمام الله » ص ١٥٨
حضارة العرب ترجمة عادل زعير ، ويقول سيدىو : « من شأن مبدأ التوحيد الجليل
الذى انتشر بين قوم وثنيين أن يضرر الحمية في النفس المتمحمة العالية ، ويسود هذا
المبدأ القرآن وإليه يعود إبداعه ، ويدعو هذا التوحيد الحض جازماً تجاه علم اللاهوت
الذى تورطت فيه الفرق النصرانية ، بعد أن زاد عددها بفعل البدع » ص ٨٨ تاريخ
العرب العام لسيدىو ترجمة زعير ثم يقول فى ص ٨٩ من الكتاب : « ومحمد إذ كان
رسول الخالق بلغ أن الله لا ولد له ، وإن إله الكون واحد ، وأن الله مصدر كل
قوة ، وأن إلى الله مرد من لم يحيوا دعوته ، ويود محمد أن يجتذب الناس إلى عبادة
خالق كل شيء بغير واسطة » .

يهدى الله من كتابه الحق ؛ ليعرف حقيقة النور مَنْ يخط في تيه الظلام ،
ويدرك الحق من دَوَّخه الباطل ، وينعم بالتوحيد من شقى بالشرك ، ولعل
الصوفي الضليل يتخذ من التذكير بآيات الله مُنْجَاةً له ، فيجعلها حَكَمًا يصدع
بالحق والعدالة في شأن الصوفية .

يقول رب العالمين (١٩ : ٩٢ - ٩٤) إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا ، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ ، وَعَدَّهُمْ عَدًّا ، وَكَلَّمَهُمْ آتِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (فرداً)
(١٠ : ٢-٤) إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ، ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ،
فَاعْبُدُوهُ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ، وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ، إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ،
ثُمَّ يَعِيدُهُ) .

يقول سبحانه : إِنَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَتَقُولُ الصُّوفِيَّةُ : لَا ، بَلْ
هُوَ عَيْنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا فِيهِنَّ مِنْ دَابَّةٍ ! وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ : إِنَّهُ يَدَبِّرُ
الْأَمْرَ ، فَتَصْرُخُ الصُّوفِيَّةُ : مَيِّتٌ وَبُهْتَانٌ ، فَتَحْنُ الَّذِينَ يَدَبِّرُونَ الْأَمْرَ لَهُ ! وَيَقُولُ
اللَّهُ : ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ، فَاعْبُدُوهُ ، فَيُضِجُ كُلَّ طَاغُوتٍ صُوفِيٍّ . لَا : بَلْ أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا ! وَيَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ : إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ، فَتَزْعُمُ الصُّوفِيَّةُ : إِنَّ مَعْنَى الرَّجُوعِ
هُنَا أَنْ تَعُودَ الذَّاتُ الْمُتَكَثِّرَةُ إِلَى وَحْدَتِهَا ، فَتَعُودُ حَقًّا ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ خَلْقًا ! .

(٣٨ - ٣) إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصاً له الدين ،
ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه ^(١) أولياء ، مانعبد ^(٢)هم إلا ليقربونا
إلى الله زُلْفَى ، إِنْ اللَّهُ يُحْكَمُ بَيْنَهُمْ فَيَاْهُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ
كَاذِبٌ كَفَّارٌ ^(٣) ، لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ، لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ،

-
- (١) يقولون : أما نحن ، فتتخذهم معه !! وهل الشرك إلا هذا ؟
(٢) يقولون : أما نحن فنندعوهم !! وهل الدعاء إلا العبادة ، أو مبع العبادة ؟
(٣) وتزعم الصوفية أن الكاذب الكفار هو الرب الأكبر في صورة كاذب كفار

هو الله الواحد القهار ، خلق السموات والأرض بالحق ، يُكَوِّرُ الليل على النهار ، ويكَوِّرُ النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر ، كلٌّ يجري لأجلٍ مُّسَمًّى ، ألا هو العزيز الغفار ، خلقكم من نفس واحدة ، ثم جعل منها زوجها ، وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ، يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظلمات ثلاث^(١) ، ذلكم الله ربكم له الملك^(٢) ، لا إله إلا هو ، فأنى تصرفون ؟ » .

ويقول عز من قائل : (٤٢ : ١٠ ، ١١ وما اختلفتم فيه من شيء ، فحكمه إلى الله^(٣)) ذلكم الله ربى عليه توكلت ، وإليه أنيب . فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً^(٤) ومن الأنعام أزواجاً ، يذروكم فيه ، ليس كمثل شيء^(٥) وهو السميع البصير^(٦)) .

(قل : هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد^(٧)) .

(١) وتزعم الصوفية أن ربها هو ذلك الخلق المتطور في ظلمات ثلاث « السماء ، الأرضية ، والواحدية » .

(٢) وتزعم الجبلى أن له الملك في الدارين وتزعم معه كذلك الأجبار !!

(٣) وتقول الصوفية بل حكمه إلى كتب ابن عربي أو الغزالي أو ابن الفارض ، ويقول غيرهم بل : إلى كتب المذاهب الأربعة .

(٤) وتزعم الصوفية أن الله هو الذى جعل نفسه أزواجاً ، فبدا حقاً في صورة خلق ، أو إلهاً في صورة عبد !!

(٥) وتقول الصوفية كما ذكرتك : بل هو عين كل شيء .

(٦) وتقول الصوفية على لسان ابن عربي والغزالي وغيرهما : بل هو عين كل صميم ، وعين كل بصير .

(٧) وتقول الصوفية : بل كل شيء هو له كفو إذ كل شيء في الوجود هو الذات الإلهية .

فأين أين من هذا التوحيد المشرق بالحق الأعظم . تلك الأساطير المجوسية التي ينعتق بها ابن عربي ، وينعبد ابن الفارض ، وينبج الجيلي ، وتعوى الصوفية ؟ ! .

واهاً لشيخ الصوفية الكبير ، أيقار على الصوفية من مسلم يدعوهم إلى الإنابة إلى الله ، ولا يغار على المسلمين بما تجنيه الصوفية عليهم ، حتى لتكاد تزهُقُ ما بقي فيهم من أُرَماقٍ شاحبة واهنة ؟ ! .

أيقار على تلك الأساطير ، فيشكو إلى النيابة مسلماً ، يحذر المسلمين من التردّي فيها ؛ ثم لا يغار على الإسلام تكديره كهنة الصوفية ، وتألو - وعلى نابها الأزرق تتلمّظُ الجرائم - أنها مثاليّة الطهر والحب ومعين الروحانية في الإسلام ؟ ! .

جُنُبن النفاق

ولقد ناقشت أحد أتباعكم « الغلابة » ، فاعترف بالفصوص ، وأنها حق جليل ، وبالطبقات ، وأنها سجلُّ كرامات مقدسة ، فجئت بالمسكين صوب المذايح وكنت أحاضر في مكان كريم ، يصخب عليه « الدراويش » في عيد وثني يحتفل فيه الصوفية بمولد ألوتن الزينبي - وبرا الله زينب رضى الله عنها من بهتان الصوفية - ورجوت الدراويش الثائر أن يتلو على الحشود من كرامات الصوفية المسجلة في طبقات الشعراني ، فما إن قرأ كرامة سيده « على وحيش » ، ورأى الجريمة الباغية ، حتى ضرب الأرض بالكتاب صارخاً مُرتاعاً : هذا مدسوس ^(١) ! .

(١) يقص الشعراني في طبقاته كرامات سيده على وحيش معقباً على ذكر كل كرامة بقوله : رضى الله عنه : « كان الشيخ رضى الله عنه يقيم عندنا في خان بنات الخطا !! وكان كل من خرج « أى بعد اقتراف الجريمة الباغية » يقول له : قف ، حتى أشفع فيك ، قبل أن تخرج ، فيشفع فيه !! وكان إذا رأى شيخ بلد ، أو غيره ، ينزله من على الحمار ، ويقول له : أمسك لى رأسها حتى أفعل فيها ، فإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع يمشی خطوة ، وإن سمح حصل له خجل عظيم والناس يبرون =

فقلت للمسكين المفجوع في معبوده ! : حنانيك ، وهل يمكن أن يكفر الصوفية بهذا الكتاب ؟! ، أو يعترفون بأنه مدسوس ؟! فأجاب الدرويش - والحقد في عينيه جمرات تتوهج ، وفي بدنه رعدة غصبي - : إن من يدين بهذا ، فهو كافر ! ومن لا يعترف بأنه مدسوس ، فهو كافر ! ثم فر مذعور الرياء ! وهكذا بإسماحة الشيخ ، كلما خشى صوفى افتضاح معبود له ، قال : مدسوس ! حتى إذا خلا إلى شيطانه ، قال : ينفذ الشيخ ما اطلع عليه من قدر الله المغيب ! فعمله طاعة ، لامعصية ! .

وليس هذا شأن الصغار منكم ، بل هو أيضاً شأن أبحاركم الكبار . فقد زعم لي مثل ذلك الزعم شيخ التيجانية في مصر حين صدمته بهتان ابن عربي أمام دراويشه ، وأمام أناس يحرص على أن يوقروه ، ويعظموه ! .

ولقد قلت لذلك الصوفى الصغير ، كما قلته من بعد اشيخه الكبير : سل الصوفية ، وشيخهم الأكبر ، أن يكفروا بتلك الكتب ، فإن فعلوا . كان الخير الذى تظلم النفس إلى معينه ، وكفى الله المؤمنين القتال ! .

فهل تستطيع بإسماحة الشيخ أن تصنع باسم الله شيئاً ، كهذا ؟ أيمكن أن تصدر بياناً تعترف فيه بالحق غير هيب ، ولا وجل ، فتقول - مثلاً - فيه : « لما فى الفصوص والطبقات و ، ... و ... من مخالفة صريحة لدين الحق ، فإننا نأمر أتباعنا ، أن يكفروا بتلك الكتب ؟! » .

أم يمكن - مثلاً آخر - أن تقول : « إن كتاب الفصوص ، أو الطبقات ، أو ... أو ... مدسوس على من نسب إليه ، لأن فيه ، وفيما هو مثله كفر ! » ؟ ليتك بإسماحة الشيخ تقدمها إلى الله صالحة ! .

: عليه « س ١٣٥ ج ٢ الطبقات ط صبيح . جريمة فسق منكرة تروى بألفاظ فاسقة وأسلوب فاسق . وإذا أبى صاحب الدابة إلا صيانة عرضها من وحيش عطبه وحيش ! ومع هذا يقول الشعرانى عن وحيش : « رضى الله عنه » !

إيمان الصوفية بكتبهم

إن الصوفية هنا ، وهناك ، وفي كل مكان يتربصون فيه بالإسلام ، يؤمنون بكتبهم إيماناً عنيداً طاغياً يأمر منهم في قبضته القاهرة عواطف القلوب ، ومشاعر النفوس وسبعحات الخواطر ، وتأملات الفكر ، ويدنسون بكل حرف فيها رمزاً إلى أسطورة ، وبكل كلمة تُفشي خرافة . فما تناوحت إحساساتهم بالحب إلا لها ، وما فتئت بالقلوب أخطبوطهم إلا بها ، وما قتلت عنا كبهم ذباب النفوس إلا بلعابها السام ! .

بيد أنهم حين يلقون المؤمنين ، يقولون رياء ونخادة : مدسوس ! .
حتى إذا خلوا إلى شياطينهم ، قالوا : نفتن المؤمنين ! .
والا ، فإنني أدوي بصيحة الحق ، تتحدى الصوفية وطواغيتها أن يجرؤ واحد منهم على القول : إن تلك الكتب مدسوسة ! .
أو يستنكر ماتطفح به من كفر ، وليأتنا بأثارة من علم ، أو ظن تدل على أنها دعيّة النسب إلى من افتروها ! .
نعم أدوي بصيحة الحق : إن تلك الكتب ليست بمدسوسة ، ويشهد بذلك التاريخ الحق ، وتواتر النقل الصحيح ، ولكن هبوا كذلك ، فما ينفعكم ، وأنتم بها تدينون ، وتؤمنون إيمان عابد الخمر بالذن والكأس والعريضة ! .
مدسوسة ! إنها الترس الأخير ، يلوذ به من ينأى منكم تحت صدمة الحق الصاعقة ! وشهادة زور تُفترى ؛ لينجو بها المجرم من عقاب جريمته ! .

زعمهم أن كتبهم أسرار ورموز

وآخرون من أسارى الصوفية يزعمون أن تلك الكتب أسرار ورموز ، لا يفقهها إلا أولئك الذين أباح لهم الغيب الخفي مكنونه ، وقدس أسرارهم ، أو الذين هتك الله عنهم الحجاب الأعظم ، فحزوا تحت عرشه سجداً يسعون وحيه ،

ويسجلونه رموزاً^(١) في شعرهم ونثرهم ! .

من صفات القرآن يهؤلاء أنه « بيان للناس » ومن الناس عالمون ، وجاهلون ومنهم أميون وكاتبون قارئون ، ولكن الله جعله بياناً لم جميعاً ، ميسراً للذكر ؛ ليعبد كل امرئ ربه على بصيرة .

بيد أني سأتمحدر إلى فرية أولئك ، فأزعم أن كتب الصوفية رموز مُقنعة بالخفاء ، وأسرار ملثمة بسحر الغيب !!
ولكني أسألك ، كيف يُعبد الله برمز مقنع بالإبهام ، وصر مستغرق في الغموض يحمل من الكفر وجهاً ظاهراً ؟!

أيتحى لامرئ أن يعبد ربه بشيء أطبق عليه الجهل به ، وبغير ماشرعه الله في كتابه ، وأوحاه إلى رسوله ؟!

وأسألك - ولا تغضب إذا ألحقت في تساؤلي - : أنفقهمون يا كهنة الصوفية دلائل تلك الرموز ، أم لا تفقهونها ؟ فإن تسكن الأولى ، فأينوا لأتباعكم ؛ لتطمئن قلوبهم بالمعرفة ، ولتزداد في تقدم إنصافا ، وإن تسكن الأخرى ، فإنها دين البيناء تردد مالاتى .

أما مع الحق ، فأقول : لقد قرأت لابن عربي ، ولابن الفارض ، وغيرهما جُلَّ ما كتبوا ، وما شرح به تلاميذهم تلك الكتب ، فلم أجد في كل ما قرأت رمزا مستوراً ، ولا سراً خفياً ، بل دلائل صريحة تكشف في جلاء صريح عن حقيقة معتقد الصوفية !!

(١) أما الدكتور فيليب حق ، فيقول : « ودين محمد عملي صريح ، وقلما يشير إلى هدف عال يصعب نواله ، ويكاد أن يكون خلواً من العقد اللاهوتية ، وليس فيه أثر للأسرار الرمزية المقدسة ، أو مراتب الكهنوت ، وما رتبته أصول الرسامة والتكريس والحلافة الرسولية » « كلها مناصب دينية في المسيحية » ص ١٧٨ ج ١ تاريخ العرب العام .

ترى أى رمز فى قول ابن عربى : « العارف من يرى الله فى كل شىء ، بل يراه عين كل شىء » ؟! إن ابن عربى خشى أن يتوهم أتباعه حتى « الظرفية » المجازية فى كلمة « فى » أو الحلولية الخلاجية ، وفيها ثنائىية تناقض الوحدة ، خشى ابن عربى ذلك ، فأطاح الوهم بيقينه الجازم ؛ ليؤمن الصوفية بوحدة الوجود إيماناً لاتنال منه شائبة وهم ، ليؤمنوا بأن الله هو عين كل شىء ، وأن كل شىء هو الله ! ومن الأشياء القبيح المُنْتِن ، والعرض الذبيح ، والجريمة يشخب منها الدم البرىء !! أفى ذلك رمز ؟ أم بيان صريح وقح الجرأة ، سفيه الزندقة ؟!

إن الحق يَبَيِّنُ بإسماحة الشيخ ، فاهتف به الله ، وانصره الله ، وإلا فالجزاء شديد بين يدى الله (٢ : ١٦٦) إذ تَبَرَّأ الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا ، ورَأَوْا العذاب ، وَتَقَطَّعَتْ بِهِم الأسباب)

الفصل الثالث

دين الصوفية فى الرسول

« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ، ووالده ، والناس أجمعين »^(١) هذا قول سيد الخلق ، خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . ولقد بلوت مما ذكرتك به دين الصوفية ، فهل لحت فيه حتى لحمة حيرى من حق حائر ، أو نفحة ولهى من خير شرود ؟! هل لحت منه بارقة خائية من حب لله ، أو لرسوله صلى الله عليه وسلم^(٢) ؟ يقينك ، ويقين كل من يتلى الصوفية يحزم

(١) البخارى وأحمد وابن ماجه عن أنس .

(٢) ما أروع تلك الكلمة التى قهر بها الحق حمدونا القصار الصوفى ، فدمغ بها الصوفية حين سئل : ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟ فقال : « لأنهم تكلموا : ... »

بأنها ترفع فوق الكتاب المنزّل آية خرافة يهرف بها درويش مأفونٌ تمرور .

أطوار الوجود الصوفية

تدين الصوفية بأن الوجود الإلهي له أطوار ، أو مراتب ، أو تنزّلات ، أو تعيّنات أو نسب ، أو إضافات ، فكلها ذات مدلول خرافي واحد !!

وأولى تلك المراتب «العماء» والوجود الإلهي في هذا الطور لا يوصف بوصف ، ولا يُسمّى باسم ، ولا يُعرّف بِحدٍّ ولا برسم . أو كما يقول الكشمخاني : « اعلم أن حقيقة الذات الإلهية من حيث هي ، امتدادها - أعنى مدة بقائها - غير مضبوط لأنها من حيث هي كذلك لا وصف لها ، ولا رسم ، فهي العما ، إذ لا يمكن

معرفة بوجه من الوجوه ، ما لم تتعّين بصفة . وأول هذه التعيّنات علمها بذاتها ، فهذه الصفة تنزل لها من الحضرة الإلهية الذاتية التي لانعت لها إلى الحضرة الواحدية التي هي حضرة الأسماء والصفات ، وتُسمّى : الحضرة الإلهية^(١) » نقلت

لك النص بتمامه ، ليستيقن قلبك بأننا ننصف الصوفية ، فلا نسمّهم إلا بما يحبون أن يُعرّفوا به . وقد يسمى الرب الصوفي في تلك المرتبة بالوجود المطلق ، بيد أن النابلسي في غلو التجريد الذي ينتهي به إلى العدم المطلق ، ينزه الوجود في تلك المرتبة حتى عن الإطلاق ، لأن وصفه بالمطلق قيّد ، أو صفة له ، فيستلزم أن يكون المطلق مقيداً ، والمقيّد مطلقاً^(٢) ، فيتوترّ التناقض بين وصفه ، ويستلزم أن

تكون له صفة ، وهو مجرد كل التجريد في ذلك الطور عن الاسم والصفة !! ولقد أراد هذا «العماء» أو الوجود المطلق أن يتعّين في صورة ؛ ليُعرّف

- لعن الإسلام . ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن تكلم لعن النفس ، وطلب

الدنيا وقبول الخلق » هذا قول زعيم صوفي في القرن الثالث الهجري لما بالك بما

بمنه ؟ انظر ص ١٢٥ طبقات الصوفية للسامى

(١) ص ٩٣ جامع الأصول للكشمخاني .

(٢) رغم هذا ، فهو واقع في التناقض ، لأن الوصف بالسلب ، أى عدم

الإطلاق ، قيد أيضاً للوجود ، كالوصف بالإيجاب !!

وليعرف نفسه^(١) !! فتعَيَّنَ في صورة « الحقيقة المحمدية » ، فكانت هي التعَيَّنَ الأول للذات الإلهية ، أو الفَتَقَ بعد الرُّتْقِ ، أو مَعَبَرَ الوجود من الإطلاق إلى التقييد ، أو من العماء إلى الأحدية ثم الواحدية !!

الحقيقة المحمدية

يعرفها الصوفية بقولهم : « هي الذات مع التعَيَّن الأول ، ولها الأسماء الحسنى وهي اسم الله الأعظم »^(٢) فحمد الصوفية ليس بشراً ، ولا رسولا ، وإنما هو الذات الإلهية في أسمى مراتبها !!

ويقول الدمرداشي : « حقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها ، وهي المسماة بحضرة الجمع ، وبأحدية الجمع ، وبها تتم الدائرة ، وهي أول مرتبة تعيَّنت في غيب الذات ، وهي الحقيقة المحمدية^(٣) »
ويقول الكمشخاني : « صَوْرُ الحق هو محمد ؛ لتحقيقه بالحقيقة الأحدية والواحدية^(٤) » ، فحمد عندهم هو الاسم الأعظم ، فما الاسم الأعظم ؟ إنه « الجامع لجميع الأسماء ، أو هو اسم الذات الإلهية من حيث هي أي المطلقة^(٥) » !!
ومحمد هو الأحدية ! فما هي ؟ إنها « مجلى الذات الإلهية ، ليس للأسماء ، ولا للصفات ، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور ، فهي اسم لصِرافَةِ الذات

(١) هذه علة وضع الحديث الصوفي « كنت كنزاً مخفياً ، فأردت أن أعرف ، خلقت الخلق ، فبي عرفوني » ويفسر الصوفية « فبي » بكلمة « محمد » لأنها تساويها في العدد في حساب الجمل !!

(٢) انظر تحت المادة جامع الأصول في الأولياء للكمشخاني والتعريفات للجرجاني

(٣) ص ٧ رساله في معرفة الحقائق لحمد الدمرداشي .

(٤) ص ١٠٧ جامع الأصول للكمشخاني

(٥) ص ٩٢ المصدر السابق .

المَجَرَّة عن الاعتبار الحَقِيقَةِ (١) وَالْمُتَلَقِّية (٢) .

ومحمد هو الواحدية ، فما هي عندهم ؟ إنها « عبارة عن تجلّي ظهور الذات فيها صفة ، والصفة فيها ذات » (٣) والفرق بين الأحدية والواحدية : « أن الأحدية لا يظهر فيها شيء من الأسماء والصفات ، أما الواحدية فتظهر فيها الأسماء والصفات » (٤) وبهذا يتجلى لك أن الصوفية تعتقد في محمد أنه هو الله سبحانه ذاتاً وصفة ، وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وأنه هو الوجود المطلق ، والوجود المقيّد ، أنه كان ولا شيء قبله ، أو معه ، ثم تعيّن في صور مادية سُمّي في واحدة منها بجماد ، وفي أخرى بحيوان ، وهكذا حتى اندرج تحت اسمه كل مسمّى ، وصدقت ماهيّته على كل ماهيّة !

من هدى الله

ذاك هو محمد الصوفية ، أما محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، فقد جلا لنا ربّه وخالفه ، ومن اصطفاه رحمة للعالمين . جلا لنا حقيقته في قوله الحكم (١٨ : ١١٠) قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنمّا إلهم إله واحد .

نرى هل يصدق على كل بشرى أنه هو ذات الله ، واسمه الأعظم ؟ إن الدين الصوفى يستلزم هذه الزندقة ، بل يستلزم إطلاق تلك الصفات والأسماء على فرعون وأبي جهل - وغيرهما من طواغيت الكفر - فيصف كلّاً منهم بأنه : هو الوجود الإلهي في تعينه الأول ؛ إذ كلهم بشر ! .

ونحن نؤمن - كما هدى القرآن والسنة - بأن أول خلق الله هو القلم أو العرش فخلق أسطورة الحقيقة الحمديدية الصوفية ؟ ! ونعلم بالتواتر القطعى أن عبد الله

(١) أى لا توصف بأنها حق ، أو خلق في تلك المرتبة .

(٢ ، ٣ ، ٤) عن جامع الأصول تحت مادتي الأحدية والواحدية وعن الإنسان

الكامل للجبلى ج ١ ص ٣٠

ابن عبد المطلب تزوج بآمنة بنت وهب ، وأنهما أنجبا طفلاً سمي محمداً ، وأنه نشأ
نشأة الخير والطهر والشرف والكرامة ، وضىء الطفولة ، نقى الصبا ، طهور
الشباب ، فلم يشب نقاء صباه ربيّة ، ولم تهف بقدر شبابيه نزغة هوى ،
ولا تزعة صَبَوَة ، فكانت دنياه كلها معبداً يطيب أصاله وعشاياه وأسحاره
بذكر الله وحده .

ونعلم أنه جدّ في الحياة راعى غم ، ثم تاجر ، فكان في حاله المثل الأعلى
في الجدّ القوى الصالح ، والأمانة التي تعتصم بالتقوى ، والحكمة الحكيمة في كل
ما يُصَرَّف به شئون دنياه ، والرعاية التي تقدس الحق والواجب لكل ما تحل من
أمانة ، وأنه كان في كل أطوار حياته الكامل في الأدب والخلق ، وحكمة العقل
وسمو العاطفة ، ونباعة الفكر ، وقوة الإرادة ومضاء العزيمة ، وجلال الشرف ،
وعزة الكرامة ، ونبل المروءة ، وكرم الإيثار والنجدة ، وسماحة النفس ، فلم يغمر
قلبه إلا حب الله ، ولم تنزع به الإرادة إلا إلى الخير ، ولا العاطفة إلا إلى السمو ،
ولا الفكر إلا فيما ينال به رضا الله . جواداً مستمخاً في سخائه وبرّه ، محسناً
كل الإحسان في كل ما أنعم الله به عليه ، فلم يغضب إلا للحق ، ولم يجبن
إلا عن الذنب ، ولم يطمع إلا فيما هو عند الله ، ثم اصطفاه ربه خاتماً للنبيين ،
لجأه في الله حق جهاده ، وبلغ كل ما نُزِّل إليه من ربه ، وشهد الله له بذلك ،
ثم قبضه الله إليه بعد أن صارت كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ،
فصلوات الله وسلامه عليه .

هذا قبس نستهدى به من حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، قل لى عن الحقيقة
المحمدية ، تلك الأسطورة الصوفية الموهلة في تيه القدم والعدم : من أبوها ؟ من
أمها ؟ ومِمَّ خلقت ؟ وَلِمَنْ أُرْسِلَتْ ؟ .

شأن محمد

وتزعم الصوفية أن شأن محمد هو شأن الله !! اسمع إلى صوفى يقول : « شأن

محمد في جميع تصرفاته شأن الله ، فما في الوجود إلا محمد » ويقول : « لا يُدْرِي
لحقيقته غاية ، ولا يُعْلَم لها نهاية ، فهو من الغيب الذي نؤمن به » ويقول : « ولما
كانت بشريته صلى الله عليه وسلم نوراً محضاً ، كانت فضلاته مقدسة طاهرة ،
ولم يكن لجسمه الشريف ظل كالأجسام الكثيفة ، وهذا النور الحمدي ، هو
المتعني بروح الله المنفوخ في آدم ، فروح الله نور محمد ^(١) »

المهاجر من مكة

يقول ابن عربي : « اللهم أفيضْ صِلَةَ صلواتك وسلامة تسليماتك على أول
التَّعَيِّنَاتِ المفاضة من العماء الربَّاني ^(٢) ، وآخر التَّزَيُّلاتِ المضافة إلى النوع
الإنساني ، المهاجر من مكة - كان الله ^(٣) ، ولم يكن معه شيء ثانٍ - إلى المدينة ، وهو
الآن على ما عليه كان ، تُحْصِي عوالم الحضرات الخمس ^(٤) في وجوده ، سرُّ التَّوْحِيدِ في
كل شيء سارية ، الجامع بين العبودية والربوبية الشامل للإمكانية والوجودية ^(٥) »
أرأيت إلى قطب الصوفية الأَكْبَر في غَمَى إلحاده الأَكْبَر ، يفتري أن محمداً هو

(١) هذه النصوص عن كتاب النفحات الأقدسية للبطارح ص ٩ ، ١١ ، ١٣
(٢) العماء عند الصوفية « هو الحضرة الأحدية ، وهذه تتمين بالتعين الأول
لأنها محل الكثرة وظهور الحقائق والنسب الأسمائية » جامع الأصول مادة العين .
(٣) نصب لفظ الجلالة باعتباره خبراً لكان ، فيكون معنى الجملة « المهاجر من
مكة كان هو الله » .

(٤) يجعلها القاشاني ثلاثاً فقط « الفردية وهي حالة وجود الذات الإلهية في عين
الجمع حيث كانت ؛ ولم يكن معها شيء ثان ، الثانية حضرة الوترية وهي حال بتمامها
بعد فناء كل شيء في مقام الجمع ، الثالثة حضرة المعية وهي حالة وجودها مع كل شيء
في عالم التفرقة ، والأولى ماوردت الصفات منها ، والثانية ماصدرت إليها ، والثالثة
ماوردت إليها ثم صدرت عنها » كشف الوجوه الغر ص ١٣٣
(٥) ص ٢ مجموعة الأحزاب ط استامبول سنة ١٢٩٨ هـ

الله ، وتأمل دهاء مكره ، فيما يعبر به عن كفره ، في قوله : « المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثمان إلى المدينة » إنك حين تقرأ تلك الجملة دون تدبر ستظن أن فيها خللا ، وأن جملة « كان الله ، ولم يكن معه شيء ثمان » لا صلة لها بما قبلها ، ولا بما بعدها ، وأعترف أني خُدِعتُ ، فظننت أن هذه الجملة مقحمة ، وحررت في إدراك هدف ابن عربي من وضع تلك الجملة التي تبين عن حق كريم بين باطل عربي وآخر لثيم ! بيد أني عدت إلى النص أتأمله ، وفي فكري دين ابن عربي ، وثممت بدالي هدفه في وضوح وجلاء ، وتبين لي أن الجملة ليست مقحمة ، وإنما هي لحمة دينه وسداه ، فلننعد إلى الجملة نرتبها كما تحتم قواعد اللغة الصحيحة « المهاجر من مكة إلى المدينة كان الله ، ولم يكن معه شيء ثمان » مازدنا شيئا على قوله ، ولا نقصنا منه ، وكل ما فعلناه هو وضع قوله : « إلى المدينة » موضعه ، بعد أن نأى به ابن عربي عنه ؛ ليمكر به ، ويلتوى على القراء فهمه ! بهذا يبدو لك جليا أن ابن عربي يفترى أن المهاجر من مكة إلى المدينة لم يكن هو محمداً رسول الله ، وإنما كان هو الله متجليا في صورة اسمه فيها « محمد » ولا ريب في أنك تعرف أن صاحب الرسول في الهجرة كان أبا بكر غير أن ابن عربي يقول : « ولم يكن معه شيء ثمان » يعني أن أبا بكر هو الآخر لم يكن إلا الله متعينا في صورة اسمه فيها : « أبو بكر » .

ومات محمد صلى الله عليه وسلم ، ومات من بعده أبو بكر ! فأى إله هذا الذي يتجرع غصة الموت مرتين ؟ بل ما ذلك الإله الذي يموت ويمحي في كل لحظة آلاف المرات ؟ ! .

لقد دانت الصوفية بأن الرب الأكبر هو عين خلقه ! وفي كل لحظة يعبر بها الوجود تغنى حياة ، وتنبتق حياة ، فيالصوفية ! يعبدون رباً يموت آلاف المرات ، ويولد آلاف المرات في آنٍ واحد ! .

ومحمد الصوفية له مظهران ، أو اعتباران ، فهو عهد أو خلق باعتبار ظاهره ،

وهو رب أو حق باعتبار باطنه ، ولهذا يصفه ابن عربي - باعتبار ظاهره - بأن له العبودية ويصفه - باعتبار باطنه - بأنه له الربوبية ١ . يصفه بأن له الإمكانية باعتبار ناسوته ، وبأن له الوجوبية ، باعتبار لاهوته ١ .

والنابلسي في شرحه لصلاة ابن بشيش يقول : « ما صلى على محمد إلا محمد ، لأن صلاة العبيد عليه ، صدرت منهم بأمره من صورة اسمه ^(١) » .

كرّة من الحق على الباطل

أما محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم ، فيهدينا الله إلى حقيقته بقوله : (٣ : ١٤٤ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أَفَإِنْ مَاتَ ، أَوْ قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ؟) . في قوله سبحانه « قد خلت من قبله الرسل » حجة من الحق تزهق الباطل الصوفي كله .

وأما اعتقاد المسلمين في نبيهم الحق ، فهو أنه صلى الله عليه وسلم « بشر مثلنا يوحى إليه » فالقرآن - وهو كلام الله وهداه ورحمته - يفرض عليهم الإيمان بذلك ، فلا مناص من الإخبات له بالقلب والفكر والشعور ، ويزيدنا القرآن هدى ؛ إذ يقرر أن بشرية الرسول الأعظم مثل بشرتنا ، في أسلوب من القول مشرق الإعجاز في بلاغة البيان وفصاحته ، في أسلوب يفرض على الفكر الإيمان بمعناه البين دون أن يشبهه معناه الحق حتى على الأمل الجاهل ، وذلك في قوله (١٨ : ١١٠ قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما ألهمكم إله واحد) كلام هو الحق والحكمة والهدى في أسلوب جليّ جليّ محكم محكم ، لا يأذن حتى لخاطرة واهية من ظن أن تقتحم عليك قدس يقينك ، أو أن تحوم خفية حوله أو تفسد عليك شيئاً ما من فهمك لمعنى الآية . ومن تدبر « بشر مثلكم » رأى أشعة الهدى الإلهي الأعظم تغمر حوله الوجود كله ، وتهديك إلى الحق الذي

يجب أن تؤمن به . ألا تراها تجعل بشرتنا هي المقياس الذي به نقيس بشرية رسول الله الكريم ، حتى لا يفتننا حب هذه البشرية الطهور ، فنظنها خلقاً آخر ، أو نوعاً من البشرية يفاير في حقيقته بشرتنا ، فلا ندرك كنهها ، ولا شيئاً من خصائصها ؛ لأنها لم تتحقق إلا في فرد واحد ؟ لقد كان يكفي في الدلالة على المعنى أن يقال : « قل : أنا بشر » أو « أتم بشر مثلي » ولكنه سبحانه - وهو الحكيم العليم الخبير - شاء أن يعرفنا بشرية محمد صلى الله عليه وسلم بما نعرفه نحن من خصائص هذه البشرية التي فطرنا عليها ، وبما نبتأيه من قيمها ومقوماتها ، وبما نعالج من غرائزها وعواطفها ^(١) ، وبما نعلمه - عن الله - من حقيقة بدنها . وغاية منتهاها ، وبما تتجاوب به مع رؤاد الوجود من حب أو كراهية . ولذا طعم صلى الله عليه وسلم ، وشرب ، وتزوج ، ونجّل خير البنين . وذاق الشيع والجوع والمرض ، ومست قلبه الأحزان ، وذرفت عيناه الدموع ، وجاشت نفسه برحمة البكاء ، وغير ذلك مما قضاه الله على البشرية من أقدار في هذه الحياة ، ثم جاءه صلى الله عليه وسلم ملك الموت الذي وُكِّل بنا .

غير أن بشريته صلى الله عليه وسلم آمنت حق الإيمان بما هداها الله إليه ، وأنعم عليها به ، فأدت حق الله كاملاً من الحق والشكر ، وحلّت فوق قة السموات الإنساني الأعظم ، فكانت وحدها هي النجم الأرفع الأسمى ، وتألّقت بعبوديتها الخالصة فوق أعلى أفق للتوحيد الخالص ، فما زلت بها عاطفة لإنهم ، ولا هفت بها غريزة إلى ذنب ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم اتخذ الله وحده ربّاً له ، وجعل رضاه غايته والدعوة إليه هدف كفاحه وجهاده . والغاية العظمى لدنياه ، والفلك الأعظم الذي تدور فيه حياته .

ثم تدبر ما حكم الله به على المشركين الذين قالوا : (٢٥ : ٧) ما لهذا الرسول

(١) غرائز البشرية الصالحة وعواطفها نفس غرائز البشرية الطالحة وعواطفها في الفطرة والفرق أن صاحب الأولى وجهها وجه الخير ، ووجهها الآخر وجه الشر

يَا كُلَّ الطَّعَامِ وَيَتَشَى فِي الْأَسْوَاقِ) إِنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ حَكَمَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ ضَلُّوا
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ! لَتَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الَّذِي اسْتَنَكَرَهُ الْمُشْرِكُونَ لَيْسَ إِلَّا قَدْرُ اللَّهِ
الْعَدْلِ الْحَكِيمِ الَّذِي قَضَاهُ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ ، وَقَسَطًا مِنْ أَقْسَاطِهَا فِي الْوُجُودِ . وَأَنَّهُ
لَا يَمِيسُ مَقَامَ النَّبُوَّةِ بِأَثَارَةٍ مِنْ ضِعْفَةٍ ، إِذِ النَّبِيُّ - قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ - بَشَرٌ ، وَالْبَشَرُ
يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمَشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ! .

وَتَدْبِرُ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ جَمِيعًا (٢١ : ٩) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) (٢٥ : ٢٠) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ
لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ ، وَيَمَشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) تَدْبِرُ هَذِهِ الْآيَاتُ ؛ لِتَرُدَّ بِهَا فَرِيَّةَ الْوُثْنِيَّةِ
الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَجْمَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الْخَالِدَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَّ
فَضْلَاتِهِ كَانَتْ مَقْدَسَةً طَاهِرَةً وَإِشْعَاءً مِنْ أَضْوَاءِ الرَّبَّانِيَّةِ ! .

لِمَاذَا - إِذَنْ - كَانَ يَتَوَضَّأُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَتِيمِمُ ، وَيَغْتَسِلُ ؟ .

وَتَدْبِرُ خُطَابَ اللَّهِ لَنَبِيِّهِ (٣٩ : ٣٠ ، ٣١ إِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)
ذِكْرَ مَوْتِنَا عَقِبَ ذِكْرِ مَوْتِهِ ؛ لِنَهْتَدِيَ إِلَى أَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي قُضِيَ عَلَيْنَا هُوَ عَيْنُ
الْمَوْتِ الَّذِي قُضِيَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! وَرَغْمَ هَذَا - عَلَى مَا فِيهِ مِنْ وَضَحٍ
وَجَلَاءٍ - وَجَدَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ مَوْتَ مُحَمَّدٍ مَعْنَاهُ الْحَيَاةُ السَّرْمَدِيَّةُ ، وَجِدَ مَنْ يَضَعُ
لِلْفِظِ نَقِيضَ مَعْنَاهُ ، أَوْ يَضَعُ لِلْفِظِ إِسْغَافَ الشَّهْوَةِ مِنْ هَوَاهُ ! .

يَقُولُ الصُّوفِيَّةُ : « إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْضُرُ كُلَّ مَجْلِسٍ ، أَوْ مَكَانٍ أَرَادَ
بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ ، وَأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ ، وَيَسِيرُ حَيْثُ شَاءَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَفِي الْمَلَكُوتِ ،
وَهُوَ بِهِيئَتُهُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ وَقَاتِهِ ، لَمْ يَتَبَدَّلْ مِنْهُ شَيْءٌ » ^(١) .

وَتَدْبِرُ تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي يَعَاتِبُ اللَّهُ فِيهَا سُبْحَانَهُ نَبِيِّهِ : (١٧ : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥)
وَأَنَّ كَادُوا لَا يُقْنِنُوكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ؛ لَتَفَتَّرَى عَلَيْنَا غَيْرَهُ ، وَإِذَا

(١) من ٢١٩ ج ١ كتاب رِمَاحِ حَزْبِ الرَّحِيمِ لِعَمْرِ بْنِ سَعِيدٍ الْقَوْنِيِّ ط ١٣٤٥

م ٦ - هَذِهِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ

لَا تَتَّخِذْكَ خَلِيلًا ، وَلَوْلَا أَنْ تُبَتِّتَكَ ، لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ، إِذَا
لَاذِقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا .

وَعِيدٌ جَلِيلٌ الْكَبْرِيَاءِ ، أَحَدِيْ الْقَمَرِ وَالْجَبُوتِ ، أَفْتَدِرْكَ مِنْهُ وَعِيدَ رَبِّ
لِمْسَلِهِ ، أَوْ لِنَفْسِهِ ، أَمْ وَعِيدٌ قَادِرٌ قَهَارٌ مُتَعَالٍ لَهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لِأَشْرَفِ عِبَادِهِ ، وَخَاتَمِ رُسُلِهِ ١٩ ! أَفَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ رَبًّا يَشْرِكُ اللَّهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ
- كَزَعَمِ الصُّوفِيَّةِ - أَوْ كَانَ يَبْتَلِيهِ اللَّهُ بِمَثَلِ ذَلِكَ الْوَعِيدِ الَّذِي يَغْمُرُ النَّفْسَ خَشْيَةً
وَرَهْبَةً ، وَيَقْمَرُ عِبُودِيَّتَهَا قَهْرَ الرِّضَى وَالْحُبِّ عَلَى أَنْ تُخَيِّتَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَعَلَى الْأَ
تَتَعَدَّى حُدُودَهُ قَيْدَ لَحْظَةٍ ، أَوْ خَاطِرَةٍ ٢١ .

وَهَلْ أَشَدُّ عَلَى نَفْسِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَقُوعَهُ اللَّهُ بِفَقْدَانِ النَّصِيرِ ، وَبِعَذَابِ
يَتَجَرَّعُهُ ضَعْفَ الْحَيَاةِ ، وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ٢٢ .

أَفَى قَضَايَا الْعَقْلِ - وَدِينِكُمْ يُؤْمِنُ بِرُبُوبِيَّةِ مُحَمَّدٍ - أَنْ يَقُوعَ الرَّبُّ نَفْسَهُ ،
وَيَنْذَرَهَا بِعَذَابِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ تَصْلَاهُ ضَعْفَيْنِ ، وَبِالْوَحْدَةِ الْعَلْمَاءُ تَقْتُلُ فِي النَّفْسِ
الشُّعُورَ بِالْحَيَاةِ ٢٣ .

أَشْرَفُ صِفَاتِ الرَّسُولِ فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهِ

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِفُ رَسُولَهُ بِأَشْرَفِ الصِّفَاتِ - وَهِيَ الْعِبُودِيَّةُ - فِي أَشْرَفِ
مَقَامَاتِهِ ، وَأَخْلَدَهَا ذِكْرًا ، وَأَجْلَاهَا أَثَرًا وَغَايَةً (١٧ : ١ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ
لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) يَصِفُهُ رَبُّهُ بِالْعِبُودِيَّةِ الصَّرْفَةِ الْخَالِصَةِ
وَحْدَهَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي اسْتَشْرَفَ فِيهَا قِمَّةَ السَّمَوَاتِ الْأَعْظَمِ ، وَتَأَلَّقَتْ أَعْيَادُهُ
الْخُلُودِ الذِّكْرِيَّاتِ . آهَ لَوْ قِيلَ : « أَسْرَى بِمُحَمَّدٍ » فَحَسْبُ ، إِذَنْ لَرَأَى الصُّوفِيَّةُ
يُثْبِرُونَ مَا يَفْتَنُونَ بِهِ مِنْ شَبَهَاتٍ لَا تَجِدُ مِنَ اللَّفْظِ النُّورَ الْقَوِي الَّذِي يَبْدُودُهَا ،
إِذَنْ لَآتَوْا أَنْ مُحَمَّدًا لَمْ يَكُنْ بَشَرًا ، وَلَا عِبْدًا ، وَإِنَّمَا كَانَ رُوحًا إِلَهِيًّا سُخِّرَتْ
لِقُدْرَتِهِ الْآفَاقُ ، وَعُجِبَتْ لِقَهْرِهِ مُتَوْنُ الْفَضَاءِ ، فَجَاءَتْ كَلِمَةُ « عِبْدُهُ » فِي الْآيَةِ حِجَابًا

الحق المتلاثلة التي تبید الظنون ، وتبدد كل شبهة تختلس الفتنة للعقول بأوهامها .
جاءت برهاناً ربّانياً - لا ينقض أبداً - على أن محمداً صلى الله عليه وسلم ،
ما كان إلا بشراً يُوحى إليه ، حتى في تلك الليلة التي وقف فيها دون عرش ربه
الأعظم ، يقبس من نور الله وهده ، فما بالك به في كل أصائل عمره وعشاياه ١٩ .
ويصفه سبحانه بالعبودية في مقام الدعوة إليه (٧٢ : ١٨) وأنه لما قام عبد الله
يدعوه ، كادوا يكونون عليه لبداً) وتدبر إضافة « عبد » إلى « الله » ليغمّر
يقين الحق قلبك ، فلا يشتبه عليك الفرق الجليل العظيم الكبير بين عبودية محمد
وربوبية ربه وألوهيته ، ولا تفتنك مجوسية الصوفية تبهت الحق بزعمها أن محمداً
هو الله !!

ويصفه سبحانه بالعبودية في مقام هو الفَيَصَل الحق الأكبر بين كون محمد
دعياً ، وكونه نبياً ، ذلك هو مقام التحدّي بالمعجزة العظمى ، معجزة القرآن
(٢٣ : ٢) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله) .
والرسول نفسه يضع لنا على الطريق صَوَى ومنازل ؛ حتى لا نحمده عنه ،
فنهلك ، ويرشدنا إلى الحق ؛ حتى لا تزيع بنا غلواء الشاعرية في الحب ، فيقول
صلى الله عليه وسلم : « لا تطروني ، كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ، إنما أنا
عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » ويدوِّي صوته الأخاذ الرائع بصيحة الحق ،
يعظ بها ذلك الصحابي الذي جرفه غلواء الحب ، فقال لنبه : « أنت سيدنا ! »
فصاح به ؛ ليصمت ، ثم أرسلها تعبر الأجيال والأحقاب والدهور عظة شافية
هادية « إنما السيد الله تبارك وتعالى ^(١) » فما إن تهاست تحت قبة الفلك
الأصداء الراحشة الخافتة الواهنة المذعورة من قولة الصحابي ، حتى تجاوب الوجود
كله بدوِّي الصيحة الهادية من الرسول ، تحول بين الأخرى وبين أن تطمئن

(١) عن حديث رواه النسائي بسند جيد .

في سمع ، أو تهز وترأ من قلب ، وما زالت قلوب المؤمنين تتجاوب بعظمة محمد العظيم في حب وإجلال . فصلى الله عليه وسلم .

وفي الصلاة - وهي شعيرة الحب العابد - علمنا الرسول عن أمر ربه أن نشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، ولكن الصوفية تأبى إلا أن تدين بأن ذلك الحق باطل وخطيئة ، فتكذب الله ورسوله ، وتقول : لا بل محمد هو الرب الأعظم !

وفي حديث الشفاعة يقص علينا الرسول صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام - وقد ناشده الخلق أن يستأذن ربه في أن يشفع لهم عيسى عنده - يقول : « اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » ولكن الصوفية تأبى إلا اتهام عيسى بالحق على محمد ، وجحود فضله ، فتقول : لا ، بل هو رب نعبده ، ونضرع إليه أن يهب لنا ما يملكه الله وحده ، فيهتف الصوفية حتى بصكوا سمع الصخر - إن كان له سمع - : « الشفاعة يا محمد !

تدبر ما ذكرتك به من آيات الله ؛ لتؤمن أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، لم يبلغ ما بلغ من عظمة وكمال وسمو إلا بإخلاص الدين لله وحده ، وأنه كان بشراً يوحى إليه ، لا الله ، ولا شريكه كما تفترى الصوفية !

آراء المستشرقين^(١)

ومما يلوع النفس بالحسرة ، والقلب بالأسى أن يدرك المستشرقون - على عداوتهم للإسلام - هذا الحق ، ويظل الصوفية - ومنهم أحبار كبار يختالون أنهم أئمة الإسلام - مصرين في جحود أصم على عداوة ذلك الحق . يقول نيكلسون : « إذا بحثنا في شخصية محمد ، في ضوء ماورد عنه في القرآن من آيات ، وما أثر عنه

من الحديث في الصدر الأول ، وجدنا الفرق شاسعاً بين الصورة التي صُوِّرَ بها في

(١) لا أذكر رأى هؤلاء احتجاجاً به ، وإنما هو لبيان أن هذا الحق ، قد أدركه هؤلاء المستشرقون على عداوتهم ، فقرروه . على حين يعاديه الصوفية ويكفرون به .

ذلك العهد ، وبين الصورة التي صَوَّرَ بها الصوفية أولياءهم ، أو تلك الصورة التي صور بها الشيعة إمامهم المعصوم . وظهر من المقارنة أن صورة شخصية الرسول لا تفضّل عند الموازنة صورة الولي الصوفي ، أو صورة الإمام الشيعي ، إن لم تكن دونهما ، ذلك أن الولي الصوفي والإمام المعصوم ، قد وصفا بجميع الصفات الإلهية ، بينما وصف الرسول في القرآن بأنه بشرفيه كل ما للبشر من صفات ، وأنه ينزل عليه الوحي من ربه بين آن وآخر ، ولكنه لا يتلقاه مباشرة عن الله ، بل بواسطة الملك ، وأنه لم ير الله قط ، أو يطلع على أسرارهِ ، وأنه لا يتنبأ بالغيب ، ولا يفعل المعجزات ، أو خوارق العادات ، بل هو عبد من عباد الله ورسول من رسله ^(١) »

ثم يتحدث الرجل عن محمد عند الصوفية ، فيقول : « فحمد إذن ليس المصدر الذي يستمد منه جميع الأنبياء والأولياء علمهم بالله ، فحسب ، بل هو الحقيقة الإلهية السارية في الوجود بأسره ، كما أنه العلة الأولى في خلق كل ما هو مخلوق ، والعقل الكلي الذي يصل ما بين الوجود المطلق « الله » وبين عالم الطبيعة ، وليس العالم إلا صورة الحقيقة الحمديّة ، كما أن الحقيقة الحمديّة ليست إلا صورة الله ^(٢) »

ويقول جولدز بهر : « إن صورة النبي كما صورتها السنة ، قد أصابها التعديل والتحوير ، لكي تتلاءم مع تقديس الأولياء ، حتى نجم عن ذلك أن العقائد الشعبية ، وضعت صورة للنبي تتعارض تماماً مع البيانات البشرية التي صَوَّرَ بها القرآنُ والسنة مؤسس الإسلام الأول ^(٣) » .

ويقول هنريش بكر : « من الثابت أن الغنوص قد أثّر في إيجاد هذه الصورة

(١) ص ١٥٨ في التصوف الإسلامي ترجمة الدكتور عفيفي .

(٢) ص ١٦٠ المصدر السابق .

(٣) ص ٢٣٤ العقيدة والشرعة لجولد زيهير .

التي صورتها العصور الوسطى الإسلامية المتأخرة لمحمد، وكان سبباً في إيجاد ما يشبه عبادة محمد، وهذه العبادة، وتلك الصورة مخالفتان لما كان عليه الإسلام الأول كل المخالفة، أما أولياء الله في الإسلام، ففي مقابل الأرواح القدسية في الهلينية « هم الكائنات الروحية الوسيطة بين الذات الإلهية وبين المادة عند الغنوصية » حتى أن محمداً - وهو نموذجهم الأعلى - ينتهى بأن يصبح هو العقل الموجود منذ الأزل، وأن يكون الرحيم المخلص القدير، وعن طريق هذا المذهب، انقلبت فكرة الوحي التي كانت موجودة في الإسلام الأول إلى ضدها^(٢).

ويقول فيليب حتى : « والعقيدة الثانية في باب الإيمان هي أن محمداً رسول الله، وخاتم النبيين، وفي علم الإلهيات القرآني ليس محمد إلا بشراً لم يتم الله على يده من العجائب غير إعجاز القرآن، إلا أن التقاليد والأساطير التي اصطنعتها العامة، من بعد، نسجت حول هامة الرسول حالة من النور الإلهي^(٣) » وهكذا يدرك يهود ومسيحيون حقائق من الإسلام يتعاضى عنها أحبار الصوفية، لقد تجرد أولئك المستشرقون قليلاً من التجرد، ولكنهم فهموا كثيراً من القهم الصائب، فوصفوا الحق ببعض صفاته، ولولا أنك على بينة من عقائدهم الأسطورية الباطلة، لظننتهم في قولهم هذا مسلمين يتعبدون في الحاربي في نور من القرآن ! .

أو يرضيك أن يصدع بذلك الحق، قوم لم تلن قلوبهم لدين الحق، وأن يسجد الصوفيون للباطل، يعبدون خرافاته، ويمجدون أساطيره، ويزعمون أنهم أئمة الدين وأعلامه ١٩ .

لقد تزعمت ياسماحة الشيخ هذه الجماعة التي دَوَّخها الباطل، فهَلَّا ذَكَّرتهم

(٢) ص ١٢ التراث اليوناني ترجمة الدكتور بدوي .

(٣) ص ١٧٧ ج ١ تاريخ العرب العام لفيليب حتى .

يهدي الله ، وجاهدتهم ؛ لتحملهم عليه ، فيؤمنوا به ، وتختب له قلوبهم !؟ .

كل شيء من نور محمد

بهذا يدين الصوفية ، وفيه يتنزلون ، ولقد عبر الدباغ عن هذه الأسطورة
إذ يقول : « اعلم أن أنوار المسكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأرضين
وجنات وحجب ، وما فوقها ، وما تحتها إذا جمعت كلها ، وجدت بعضاً من نور
النبي ، وأن مجموع نوره ، لو وضع على العرش ، لذاب ، ولو وضع على الحجب
السبعين التي فوق العرش ، لتهاقت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ، ووضع ذلك
النور العظيم عليها ، لتهاقت ، وتساقطت ^(١) » .

ويقول تيجاني : « لما خلق النور الحمدي ، جمع في هذا النور الحمدي جميع
أرواح الأنبياء والأولياء جميعاً جمعاً أحدياً ، قبل التفصيل في الوجود العيني ، وذلك
في مرتبة العقل الأول ^(٢) » .

ويقول الحلواني في قصيدته « المستجيرة » يخاطب رسول الله .
أنشاك نوراً ساطعاً قبل الورى فرداً لفرد ، والبرية في العدم
ثم استمد جميع مخلوقاته من نورك السامى ، فيا عظم الكرم
فلذا إليك الخلق تنزع كلهم في هذه الدنيا ، وفي اليوم الأهم
وإذا دهتهم كربة فرجتها حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم
جُدلى ، فإن خزائن الرحمن في يدك اليمين، وأنت أكرم من قسم ^(٣)

والله تعالى يقول : (٢٣ : ١٢) ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ،
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) ، ومحمد صلى الله عليه وسلم إنسان . وإلا فليأتوا

(١) ص ٨٤ ج ٢ الإبريز .

(٢) ص ١٤ ج الرماح لعمر بن سعيد .

(٣) ص ١٤ وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني .

له بصفة أخرى ! والرسول نفسه صلى الله عليه وسلم يقول : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »^(١) .

تحدث الرسول عن النور ، وعن خلق منه ، فلم يذكر عن نفسه أنه خلق من نور ، كما ذكر عن الملائكة ، وتحدث عن آدم الأب الأول للبشرية ، وعن خلقه ، وأنه خلق مما ذكر الله في القرآن ، يعني من طين لازب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ابن آدم ! ، فلن تنتسب الحقيقة المحمدية الصوفية ١٩ .

وفي كتاب الله آية واحدة تذكر وحدها كل ما يفيض إليه الصوفية من نصب أقاموها لهذه الأسطورة ، تلك هي قوله سبحانه لنبيه (: ٣ : ١٢٨) ليس لك من الأمر شيء) وكلمة شيء أوسع كلمة في العربية دلالة على العموم والشمول ، حتى أطلقها بعضهم على الموجود والمعدوم ، بل يعم ابن عربي دلالتها ، حتى يجعلها تناول الصور الذهنية ! وفوق هذا جاءت كلمة « شيء » نكرة في سياق النفي فزاد عمومها وشمولها .

وتدبر قوله سبحانه : (٤٦ : ٩ قل : ما كنت بدعاً من الرسل ، وما أدري ما يُفعل بي ، ولا بكم ، إن أتبع إلا ما يوحى إلي ، وما أنا إلا نذير مبين) .

فهل يدين الصوفية في الرسل جميعاً بما يدينون به في محمد ، إذ ليس هو « بدعاً من الرسل » ١٩

وتدبر قوله سبحانه لنبيه : (٧٢ : ٢١ ، ٢٢ قل : إني لأملك لكم ضرراً ، ولا رشداً ، قل : إني أن يجبرني من الله أحد ، وإن أجد من دونه مُلتَحداً) . هذا هو هدى القرآن ، فمقارن بينه ، وبين ما افترته الصوفية من إفك حول النور المحمدي الذي خلق منه كل شيء ١١ . وثمّت توقن أنه ليس في الإمكان

(١) مسلم وأحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها .

— حتى في النادر المعجز منه — إيجاد نسب ما بين ما هدى الله إليه و به من الحق ،
و بين ما ضل به الصوفية ، وأضلوا خلقاً كثيراً .

تدبر قول الله تجدد الهدى في إشرافه ، والحق في جلاله والحكمة في نورها
الإلهي ، وتأمل إفاك الصوفية ، تجده قبيحاً من الكفر المتقيح !!

أ كان محمد يعرف القرآن قبل نزوله ؟

مما تأفكه الصوفية أن جبريل عجب حين رأى محمداً يتلو القرآن قبل أن
يُعلمه إياه !! فسأل جبريلُ ، فأجابه النبي : ارفع الستر مرةً حين يُلقَى إليك
الوحيُ ، ففعل جبريلُ ، فرأى محمداً هو الذي يوحى إليه ، فصاح مُسَبِّحاً : منك ،
وإليك يا محمد !!

وما زال يهذى بهذه الأسطورة في الرحاب الفساح من الأزهر رجل لاعمل
له سوى إثارة الحرب مُؤرَّثة الأحقاد على الكتاب والسنة !!

ويتناقل هذه الأسطورة صوفي عن صوفي في كل حمأة وثنية ، أو حانة
صوفية . ولم لا ؟ وقد فتح بهذه الفرية أفغوان الصوفية الأكبر ابن عربي ؛ إذ يقول
مفسراً قول الله سبحانه (٢٠ : ١١٤) وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ
وَحْيُهُ) : « اعلم أن رسول الله أُعْطِيَ الْقُرْآنَ مُجْمَلًا قَبْلَ جَبْرِيلَ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلِ
الآيَاتِ وَالسُّورِ ، فَعَبَّلَ لَهُ : لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ الَّذِي عِنْدَكَ قَبْلَ جَبْرِيلَ ، فَتُلْقِيَهُ عَلَى
الْأُمَّةِ مُجْمَلًا ، فَلَا يَفْهَمُهُ أَحَدٌ عِنْدَكَ لَعَدَمِ تَفْصِيلِهِ (١) » .

رَدُّ هَذِهِ الْفَرِيَةِ

و بطلان هذه الفرية بدهي يحكم به مَنْ في قلبه بارقة من إيمان ، بيد أن
غشاوة الصوفية على بصائر مُعْتَنِقِيهَا حالت بينها وبين إدراك الحقيقة الإيمانية

(١) ص ٦ الكبريت الأحمر للشعراني على هامش اليواقيت والجواهر

الأولى ، وهى أن رب الوجود هو الله وحده لا شريك له ، فلم لا تحول بينها وبين إدراك بطلان تلك الفرية ؟ لهذا نذكرك بهدى الله سبحانه : (٥٣ : ٧-٥) علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ؛ وهو بالأفق الأعلى) . آيات بينات تهديك إلى أن الذى علم رسول الله القرآن هو جبريل ، وإلى أنه صلى الله عليه وسلم : لم يكن على علم بشيء مأمنه قبل أن ينزل جبريل به عليه . (٢٥ : ٣٢ ، ٣٣ . وقال الذين كفروا : لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبتت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل ، إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) .

ويقول ابن عربى أنه نزل عليه جملة واحدة ، فقوله قول الكافرين !! ومن قوله سبحانه (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) نؤمن بأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يعلم بآية ما من كتاب ربه إلا فى ليلة القدر ، ففى علم الرسول القرآن مجمل ؟ أقبل ليلة القدر ، أم بعدها ؟ ومن علمه إياه مجمل ؟ أجبريل ، أم غيره ؟ اثبتوا بأثارة من علم ، إن كنتم صادقين . ويهب الله للحق برهاناً تنجاب به كل ريبة : (٥٢ : ٤٢) وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ، ولا الإيمان) أيهم الصوفية ، أم هى اللعاجة فى العناد ؟ (١٥ : ١٠ ، ١٦ . وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا : إئت بقرآن غير هذا ، أو بدله ، قل : ما يكون لى أن أبده من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى ، إني أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ، قل : لو شاء الله ما تلونه عليكم ولا أدراككم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله ، أفلا تعقلون ؟) .

وفرية الصوفية تناقض هذه الحجة الإلهية على صدق محمد .

أولا يذكر الصوفية أن رسول الله حين لجأه الوحى ، كان يقول - وجبريل

يغطه : « ما أنا بقارى » ؟ !

وأنه عاد إلى زوجه الطيبة الطهور فى خوف وقلق ، وأن هذه المؤمنة العظيمة

قالت له قَوْلَتَهَا التي طَلَبَهَا الإيمانُ بروحانيته « والله لا يخزيك الله أبدا »
أفكان يحدث هذا ، أو بعضه ، لو أنه صلى الله عليه وسلم ، كان على بينة
من القرآن ، قبل نزوله عليه ؟ لم قال : ما أنا بقارىء ؟ يكررها ثلاثاً ؟ لم عاد خائفاً
حتى زملوه ودَثَرُوهُ ؟ لم بثَّ ذات نفسه إلى زوجه خديجة ، ولم ذهب معها إلى
ورقة ابن نوفل ؟ كل هذا حدث منه صلى الله عليه وسلم حتى بعد نزول الوحي
عليه !! أهذه دلائل علم سابق بالقرآن ، و يقين جازم به قبل نزول جبريل عليه به
في ليلة القدر ؟ أم دلائل مشاعر نفس مؤمنة تقية ، لجأها من الله سبحانه ، ما لم
تسكن تدريبه من قبل ؟ !

واهاً للصوفية !! تبصر نور الشمس يتوهج ، فتقول بالظلام الدامس !!
كبعض الطير بعشيه النهار !!

ولقد كان أعداء الرسول يسألونه مُخْرِجِينَ مُتَعَنِّتِينَ ، يبتغون تكذيبه ،
والتجديف عليه ، فلم يكن يجيبهم بشئ - لأنه لا يعرف الجواب - مما سألوه عنه ،
إلا بعد أن ينزل جبريل عليه به . سألوه عن الروح ، وعن فتية الكهف ، وعن
ذى القرنين ، فقال صلى الله عليه وسلم : غدا أُجيبكم !! وأنساه حرصه النبيل على
إقامة الحجة عليهم وهدايتهم ، فلم يقل : إن شاء الله ، ففتر عنه الوحي حتى حَزَبَهُ
الأمرُ ، وبلغت به الشدة مبلغها ، ولم لا ؟ وعدُّهُ مُتَرَبِّصٌ به ، حريص على
تكذيبه ، وعلى أن يثير الشبهات حول رسالته ، ورغم هذا يفتر عنه الوحي !!
نم من الله عليه به ، فلم عن الله جواب ما سألوه عنه فقال الرسول صلى الله عليه
وسلم لجبريل : « لقد رَمَيْتَ عَلَىَّ ، حتى ظن المشركون كل ظن » فنزل قوله
تعالى : (١٩ : ٦٤) وما تنزل إلا بأمر ربك ^(١) أفكان يحدث هذا ، لو أن
رسول الله ، كان على بينة من القرآن قبل نزوله ؟ لماذا لم يجب من سألوه ؟ لأنه
لم يكن يعرف الجواب ، ولسكن ابن عربى يكفر بكل تلك الدلائل ، ويفترى

(١) انظر تفسير ابن كثير في هذه الآية .

أسطورته ، فَتَوُجُّ في الصوفية كالنار في الهشيم ، وتنتشر كالوباء الفتاك ، وتظل
دينا يكتبه الشعراني ويهرق به حمق الصوفية !!
وعذرنا في إطالة الرد على هذه القرية أنها دين قوم يحسبون على الإسلام ،
ومن أئمتهم ، وما زال عدوُّ ربه « فلان » ينعب بها حتى اليوم في رحاب الأزهر ،
يضج بها نعيه ، والمؤذن يقول : الله أكبر !!

تعالوا إلى كلمة سواء

فما رأى صاحب الساحة في تلك الوثنيات ؟ ألا يذكي في نفسك الحسرة ،
وفي أعماق قلبك السعير ، أن ترى الصوفية تبهت الحق بما لم يَبْهَتْهُ به إلحاد من
قبل ، وتجدد به جحوداً ، ليس كعناده عناد ، ولا كبغيه بغي . لا تدع رُعبَ
القلق يعصف بك ، فيقلب على السهد جنبك بحثاً عن كيد تأكيد لنا به ، بل
(٣ : ٦١) تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به
شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله .

نحب أن نحتكم إلى الكتاب والسنة . لا تقولوا : قال فلان ، فما أذكركم
إلا بقول الله . اذكروا ابن عباس حبر هذه الأمة ، وهو يقول لمن جادله بقول نسبه
إلى العمري : « يوشك أن ينزل الله عليكم ناراً من السماء ، فتحرقكم أ أقول
لكم : قال الله . وتقولون لى : قال أبو بكر ، وقال عمر ؟ » فاحذروا أن يقع بكم
ما أشفق منه ابن عباس على مجادليه ، واختر يا سماحة الشيخ للمحاجة أى مكان
تشاء ، ولن أقول لك قبلها : أنا المصيب ، وإنما أقول لك ما علمه الله لنبيه - وهو
الذى ملأ الله قلبه باليقين الثابت والهدى والحق - (٣٤ : ٢٤) وإنا ، أو إياناكم ،
لعلى هدى ، أو فى ضلال مبين) .

أما أن تشكوا منا إلى النيابة - ولها احترامها - فهو فرار جبان من صدمة الحق ،
ومجز ذليل في الدفاع عن رأى ، ولا ترتضى - رغم ما صنعت بنا - أن تَمَسَّكَ
ربهة من تلك النقائص ، وأنت العالم الكبير الذى تولى من قبل الخطير الكبير
من مناصب الأزهر ! .

الفصل الرابع

وحدة الأديان

آمنت الصوفية بأن الله سبحانه هو عين خلقه ، هذه الأسطورة - أسطورة وحدة الوجود - استلزمت عند الصوفية الإيمان بوحدة الأديان سواء منها ما نسبته عنكب الأوهام ، وافترته أساطير الخيال ، وفارت به الشهوات ، أو ما أوحاه الله إلى رسله ، ولهذا آمن الصوفية سلفهم وخلفهم بأن الإيمان والتوحيد عين الكفر والشرك ، وبأن الإسلام على هداه وقده ، عين الدين الجوسى فى ضلاله ورجسه

دين ابن عربى

وكمهدك بى أذكرك بما اختلفوه من إفك حول تلك الأسطورة ؛ ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة .

يقول ابن عربى :

عقد الملائق فى الإله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما عقده^(١)
ويقول :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن دينى إلى دينه دالى
لقد صار قلبي قابلا كل صورة قمرى لفرانجى ، ودير لرهبان
وبيت لأوثان ، وكمبة طائف والواح تورا ، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب ألى توجهت ركائبه ، فالدين دينى وإيمانى^(٢)
ويحذر ابن عربى أتباعه أن يؤمنوا بدين خاص ، ويكفروا بما سواه ، فيقول
« فإياك أن تتقيّد بمقد مخصوص ، وتكفر بما سواه ، فيفوتك خير كثير ، بل

(١) انظر شرح الفصوص لعبد الرحمن جاسى شرح الفصوص اليهودى .

(٢) ص ٣٩ ذخائر الأعلام شرح ترجمان الأشواق لابن عربى .

يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه ، فكن في نفسك « هَيُولَى »^(١) . لصور
المعتقدات كلها ، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عَقْد دون عَقْد ،
فالسكُّ مُصِيبٌ ، وكل مُصِيبٌ مأجورٌ ، وكل مأجورٌ سعيدٌ ، وكل سعيدٌ
مَرْضِيٌّ عنه^(٢) » .

وهذا الدين الأسطوري يستلزم حتماً نفي عذاب الآخرة ، فَرَبُّ الصوفية في
دينهم كل مشرك وكل موحد ، ويستحيل أن يعذب الرب نفسه ، ولهذا يقول
ابن عربي :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وما لَوَعِيد الحق^(٣) عينٌ تُعَايِنُ
وإن دخلوا دارَ الشقاء ، فإنهم على لَذَّةٍ فيها نعيمٌ مُبَايِن
نعيمُ جنان الخُلْدِ فالأمر واحد وبينهما عند التَّجَلِّي تبايُن
يُسَمَّى عَذَاباً من عذوبة طعمه وذلك له كالتقشر، والقشرُ مُصَائِنٌ^(٤)

وهكذا يوغل ابن عربي إينالاً سحيقاً في الغُلُو العجيب من التناقض ،
ويكده شيطانيته ؛ لتبتدع من البدع ما يقضى به على بقية الخير اليتيمة من إيمان
المسلمين ! لقد آمن بأن الرب عين العبد ، وأن الإيمان صِنُو الكفر حقيقة وغاية ،
فما الذي يمنعه من الإيمان بأن الوعد عين الوعيد ؟ وأن نعيم الجنة وكوثرها عين
عذاب السعير وغسلينها ؟ لم يمنعه شيء ، فصرح كما ترى به ! فأى قضاء على الدين

(١) الهيولى لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة ، وفي الاصطلاح الفلسفي هي
« مابه الشيء بالقوة » ، أو جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال
والانفصال » ، وقد استعملها ابن عربي هنا بمعنى القابل ، أى الذى تتطبع فيه صور
المعتقدات كلها ، وينفعل بها ، وتصدر عنه أفعاله طبقاً لمعتقداته المتنوعة .

(٢) ص ١٩١ وما بعدها فصوص الحكم بشرح بالى ط ١٣٠٩ هـ

(٣) يعنى بالوعد النعيم فى الآخرة ، ويعنى بالوعيد عذاب الآخرة . يريد من هذا
نفي العذاب مطلقاً فى الآخرة حتى للمشركين .

(٤) ص ٩٤ فصوص ج ١ بتحقيق الدكتور عفيفي .

والأخلاق ، أشد طغياناً من ذلك ، إذا كان العمل الصالح يستوى والعمل الخبيث ، وإذا كانت الفضيلة عين الرذيلة ، وإذا كان الخير قرين الشر ، وما مصير الإنسانية لو أنها آمنت بهذه الصوفية ؟ !

الحكم بنجاة فرعون

ولهذا يحكم ابن عربى بنجاة فرعون موسى ، يقول معقبا على قوله تعالى (قرة عينى ولك) : « فبه قرئت عينها بالكمال الذى حصل لها ، وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذى أعطاه الله عند الغرق ، فقبضه طاهراً مطهراً ، ليس فيه شئ من الخبث ^(١) » ويقول عن فرعون أيضاً : « فنجاه الله من عذاب الآخرة فى نفسه ، ونجى بدنه ، فقد عمته النجاة حساً ومعنى ^(٢) » .

واقراً ببقية ما افتراه فى « الفص الموسوى » من كتابه الفصوص ، فقيه يفضل فرعون على موسى ! .

دين الجليلي

الجليلى يؤمن بوحدة الوجود ، كما بينت لك ، وأنقل لك هنا نصاً يدينه ، ويكشف عن معتقده هذا ، وهو إيمانه بأن الله عين خلقه .

وما الخلق فى التمثال إلا كثلجة وأنت بها الماء الذى هو تابع
وما الثلج فى تحقيقه غير مائه وغيران فى حكم دعتة الشرائع ^(٣)
ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء ، والأمر واقع

(١) ص ٢٠١ المصدر السابق .

(٢) ص ٢١٢ المصدر السابق .

(٣) تأمل سخريته بالشرائع ، لا شئ سوى أنها تحكم بالمغايرة بين الخلق والخالق فى الذات والصفات . والجليلى يشبه الوحدة بين الله وخلقته بالوحدة بين الثلج والماء ، فكلاهما عين الآخر ، فالثلج ماء متجمد ، والماء ثلج ذائب ، فالمغايرة بينهما فى الاسم ، لا فى الحقيقة ، كذلك الله وخلقته ، إذ المغايرة بينهما فى الاسم فقط ، كالمغايرة بين الماء فى حال تججمده ، وبينه فى حال ذوبانه .

تَجَمَّعَتِ الأضدادُ في واحدٍ البها وفيه تلاشت، وهَوَّ عَنْهُن ساطع^(١)
ولإيمان الجبلى بوحدة الوجود ، آمن بوحدة الأديان .

وأسلمتُ نفسى حيث أسلمنى الهوى ومالِىَ عن حكم الحبيب تنازع
فَطَوَّرًا ترائى فى المساجد راكمها وإنى طوراً فى الكنائس راتع
إذا كنتُ فى حكم الشريعة عاصياً فإنى فى علم الحقيقة طائع^(٢)

ويقول مفسراً لا إله إلا الله : « يعنى الإلهية المعبودة ليست إلا أنا ،
فأنا الظاهر فى تلك الأوثان ، والأفلاك والطبائع ، وفى كل ما يعبدُه أهلُ كلِّ ملة
ونِحلة ، فما تلك الآلهة كلها إلا أنا ؛ ولهذا أثبت لهم لفظ الآلهة ، وتسميته لهم
بهذا اللفظ من جهة ما هم عليه فى الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية . . . إنه أراد
أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر ، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة ، وأنهم
ما عبدوا فى جميع ذلك إلا هو ، فقال : لا إله إلا أنا ، أى ما ثمَّ من يُطلق عليه
اسم الإله إلا وهو أنا . لا إله إلا أنا ، أى ما ثمَّ إلا أنا ، وكل ما أطلقوا عليه
اسم الإله ، فهو أنا^(٣) » .

هذه الوثنية الطاغية الجاحدة تُبشِّرُ بها الصوفية على أنها التوحيد الخالص ،
ورَفِيفُ الروحانية من قُدُسِ السماء !

إبليس عند الجبلى

وعجب يدهش منه العجب ، أن ترى الصوفية حَفِيَّةً دائماً بنقديس عدو الله ،
كفرعون ، وإبليس ، ثم تزعم للناس أن أقطابها أُحِبَّاءُ الله وأَوِدَّاءُه ، وأنهم

(١) ص ٣٣ ج ١ الإنسان الكامل للجبلى ط ١٢٩٣ هـ

(٢) ص ١٤٣ ج ١ إيقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عجيبة ط ١٣٣١ هـ

(٣) ص ٦٩ ج ١ الإنسان الكامل للجبلى ، وتراء يصوب عبادة الأصنام ،
وعبادة الأفلاك ، وعبادة الطبيعة ، لأن هذه الأشياء التى عبت ليست إلا ذات الله
متعينة فى تلك الصور ، ومسماة بتلك الأسماء !

مشارك أوهية وروبوية ، وأن لهم القدرة الخلاقة القهارة التي تُسخر الوجود كله لقبضتها الظلوم ! لقد سجد ابنُ عربي فرعونَ ، حتى فضله على موسى كليم الله ، وهاهو الجبلى يمجّد إبليس العدو الأول لله ولل البشرية !

يقص الله علينا إباء إبليس عن السجود لآدم ، وقوله : « أنا خير منه » فيقول الجبلى : « وهذا الجواب يدل على أنَّ إبليس من أعلم الخلق بأداب الحضرة ، وأعرفهم بالسؤال ، وما يقتضيه من الجواب » وقرأ بقية خطاياهِ في كتابه « الإنسان الكامل » ؛ لتراه في إعجابه الرائع بإبليس ، وتقديسه له ، وحكمه بأنه في الفردوس يوم القيامة ، يقول الجبلى ص ٤٢ ج ٢ من الإنسان الكامل « لا يُعلن إبليس أى لا يطرد عن الحضرة الإلهية إلا قبل يوم الدين ؛ لأجل ما يقتضيه أصله ، وهى الموانع الطبيعية التى تمنع الروح عن التحقق بالحقائق الإلهية ، وأما بعد ذلك فإن الطبائع تكون لها من جملة الكمالات فلا لعنة ، بل قرب محض ، حينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهي .. قيل إن إبليس لما لعن هاج وهام لشدة الفرح حتى ملأ العالم بنفسه ، فقيل له : أتصنع هكذا ، وقد طردت من الحضرة ؟ فقال : هى خلعة أفردنى الحبيب بها لا يلبسها ملكٌ مقرب ولا نبي مرسل » هذا نص الجبلى بلفظه !

دين ابن الفارض

يقول فى تائيته الكبرى :

ولى حانة الخمار عين طليعة	ففي مجلس الأذكاد سمع مطاليع
وإن حل بالإقرار بي، ففى حلتى	وباعتد الزنار ^(١) حكما سوى يدي
فأبار بالإبحيل هيكلى بيعة ^(٢)	وإن نار بالتزويل محراب مسجد
يناجى بها الأجبار فى كل ليلة	وأسفار توراة السليم لقومه

(١) ما يشده النصارى على أوساطهم .

(٢) معبد النصارى .

وإن خَرَّ للأحجار في البُبد^(١) عاكفٌ
وما زاغت الأبصارُ من كلِّ مِلَّةٍ
وما احتار من الشمس عن غِرَّة صَبَا^(٢)
وإن عبد النارَ المجوسُ، وما انطفأت
فما قصدوا غيري، وإن كان قصدهم
حانات النحر، ومواخير الخطايا، وصلوات^(٣) اليهود، وبيع النصارى
وهياكل المجوس والصابئة، وبيوت الأصنام، ومجالس الذكر، ومساجد الله،
كلها عند ابن الفارض ساح فساح يُعبد فيها الله عبادة يحبها ويرضاها^(٤)؛ لأنه
المعبود فيها والعابد !! وهذا المشرك العاكف على الأصنام يسجد لصخورها الصم،
وهذا الصابئ الساجد في معبد الكوكب، وهذا المجوسى يتبتل بضراعتة إلى
النار، وهذا اليهودى التائه يريق الدموع على مَبْكَاة، ويؤجج سعيه الحقد على
الله، كل هؤلاء عند ابن الفارض على بينة من الهدى والفرقان، فما هم في دينه
إلا الذات الإلهية متعينة في صور بشرية !!

(١) الصنم أو بيت الأصنام .

(٢) مال قلبه .

(٣) يشير إلى ما يقال من أن نار المجوس التى ظلت تشتمل ألف عام خمدت ليلة مولد النبي .

(٤) أمكنة عبادتهم .

(٥) يقول جولد زيهر : « مهما تظاهر الصوفيون بتقديرهم للاسلام ، فلغا بيتهم نزعة مشتركة إلى محو الحدود التى تفصل بين العقائد والأديان ، وعندما أن هذه العقائد كلها لها نفس القيمة النسبية إزاء الغاية المثلى التى ينبغى الوصول إليها » ص ١٥١ العقيدة والشريعة .

الفصل الخامس

شيوخ الصوفية وكراماتهم^(١)

عبادة الأحبار والتكهان

ما ألحقت الصوفية في شيء إلخافها في الدعوة إلى اتخاذ شيوخها أربابا من دون الله ، ففرضت على الدرويش أن يكون وطاء ذليلا لشيخه مُسْتَعْبَدَ الفكر سلب الإرادة كجثة الميت في يد الغاسل ، وجعلت هذه العبودية الممتنة أولى الدلائل على طاعة المريد لشيخه ، وعلى حبه له ، وعلى أنه يرقى معارج الوصول إلى حظائر القدس . اسمع إلى طيفور البسطامي يقول : « من لم يكن له أستاذ ، فإمامه الشيطان »^(٢) وإلى صاحب لطائف المنن يزعم : « من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الأتباع ، ويكشف له عن قلبه القناع ، فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له ، دعى لانسب له »^(٣) وإلى محمد عثمان يقرر آداب المريد مع شيخه : « ومشاهدتك له في كل حال وَرَدَ عليك أنه بواسطته إليك يا فتى ، ومنها أن تجلس جلوس الصلاة عنده ، وأن تغنى فيه ، وألا تجلس فوق سجادته ، وألا تتوضأ بإبريقه ولا تتكىء على عكازه ، واسمع ما قال بعض الأصفياء : من قال لشيخه : لم ألق إلا فلاح ، ولتكن محضره في قلبك وخيالك ، فإن غفلت عنه وقتاً ، فهذا من مقتك ، واجتهد في أن تنال مقام الفناء فيه ، فَيَنْتَهِي ترقى إلى مقام البقاء به »^(٤) وقد نظمها مصطفى البكري ، فقال :

(١) لا ينكر مسلم إكرام الله لأوليائه بما وعدهم به من أن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ونستطيع أن نعرف من القرآن ما يكرم الله به أوليائه فقد وصفهم الله بأنهم المؤمنون للثقون ، فاقروا في القرآن ما أعده الله للمؤمنين المتقين ، تعرف ما يكرمهم الله به ، ولكنك لن تجد فيه ما يزعمه الصوفية .

(٢) ص ١٤٧ كتاب الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية ط ١٩١٣ م

(٣) ص ١٤٦ المصدر السابق . (٤) الهبات المقتبسة لمحمد عثمان ط ١٩٣٩ م

وسلم الأمر له ، لا تعترض ، ولو بعصيان أتى أذى فُرض
وكن لديه مثل ميت فاني لدى مُفسِّل ؛ لمتسى داني
ولا تظاً له على سجادة ولا تتم له على وسادة^(١)
وقد سبقه الجليل بهذا .

وكنْ عنده كالميت عند مُفسِّل يُقلِّبه كيف يشاء ، وهو مطاوع^(٢)
ونحنم الصوفية على المريد ألا يعصى شيخه في أمر أو نهى ، وإن رآه يخالف
السنة المحمدية^(٣) ولكي يظل الدرويش تحت قبضة الشيخ يستذل كرامته ،
ويغصبه ماله وعرضه ، قررت الصوفية على لسان الشعرا أن من أشرك بشيخه
شيخاً آخر وقع في الشرك بالله^(٤) ، وأن من أخذ الطريق على غير شيخه ، كان
على غير دين^(٥) . وكتب الصوفية طائفة تمثل تلك المنكرات التي تهدر الكرامة
والقيم الإنسانية النبيلة ، وتجعل من الإنسان لقي طريق الذل والهوان والصغار ،
وموطناً مستعبداً لكل نعل نجسة باغية الوطء ، تنزو بالرجس الحقير ، وهذا سر
ما ترى عليه الصوفية من انشطارها شطرين ، شطر معبود ، وآخر عابد ، وسر
ما يروعك إذ تبصر شيخاً كبيراً يلحق نعل طفل صغير مازال يتعثر في خرواته ،
ويتلطح بنجاسة بوله !! لالشيء سوى أنه حفيد مولا شيخ الطريقة ، ففيه سره ،
وفيه رباً نيته^(٦) !! وسر مخالفة الصوفية جميعاً عن أمر الله ؛ لما يدينون به من أن

(١) بلغة المريد للبكري . (٢) منحة الأصحاب للطربي ص ٧٥

(٣) انظر ص ١٣١ قواعد الصوفية . (٤) ص ١٥٤ المصدر السابق .

(٥) ص ١٠٣ ج ٢ لطائف المنن وقد شاكلوا الإسماعيلية في ذلك إذ يزعمون
أن من أشرك مع إمامه سلطة أخرى أو ارتاب في وجوب الطاعة له ، كان كمن
أضاف للنبي نبياً آخر ، وكن شك في نبوته ، وبذا صار كمن وضع مع الله إلهاً آخر .
انظر ص ٢١٨ العقيدة والشرعية لجولده زهير .

(٦) نصبت مشيخة الطرق طفلاً سنة خمس سنوات شيخاً لسجادة كبرى في مصر
انظر ص ١٥٤ المجموعة الدمرداشية !!

نيوخمهم لا يهمسون بهمسة إلا عن وحى من الله ، فقلوبهم العروش التي
ستوى عليها برحانيته ، وسماوات كبريائه وجلاله وجماله ، وأقداس وحيه التي
فيض منها هداه !! يقول القشيري : « من صحب شيخا من الشيوخ ، ثم اعترض
بليه بقلبه ، فقد نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة !! على أن الشيوخ
الوا : حقوق الأستاذين لا توبة منها »^(١)

لماذا يتوسل الصوفية بالقبور

لن أجادلك هنا يا سماحة الشيخ في توسل الصوفية بالقبور ، وبالقبور^(٢) فإنه
هون ما تقتزف الصوفية وضحاياها من وثنية ، وأجبارها لا يترءون بالولاء الخاشع
أصنام القبور حبا في المقبور ، بل لما يجتمع لأوثان الموتى من ندور !!

آراء المستشرقين في التوسل

يقول جولدزيهر : « بقي كثير من عناصر الديانات السابقة للإسلام ،
استأنفت حياتها في المظاهر العديدة الخاصة بتقديس الأولياء . وفي الحق ليس من
شيء أشد خروجاً على السنة القديمة من هذا التقديس المبتدع المفسد لجوهر الإسلام
الماسخ لحقيقته ، وإن السنن الصادق الحريص على اتباع السنة لابد أن يعده
ن قبيل الشرك الذي يستثير كراهيته واشمئزازه » ويتحدث عن تقديس العامة
دُولياء ، فيقول : « وأضرحة الأولياء والأماكن المقدسة الأخرى هي موضع
بادتهم التي يرتبط بها أحياناً ما يظهروه العامة من تقديس وثني غليظ لبعض الآثار

(١) ص ١٥١ الرسالة للقشيري .

(٢) قال الجنيد عن قبر معروف السرخي : « قبر معروف تريق مجرب يستشفى
ويتبرك » انظر ترجمة معروف في الرسالة للقشيري والطبقات للسلمي ، وهكذا
بدأت الصوفية القبور منذ نشأتها !!

والمخلفات ، بل إن العامة تخص الأضرحة ذاتها بما لا يقل عن العبادة المحضة » ويتحدث عن الولي المحلى : « ويخشى الواحد منهم أن يحث في يمين حلف فيه باسم الولي أكثر مما يحمر خجلاً عندما يحلف بالله باطلاً^(١) » ويقول رونلدرسن : « بالرغم من التوحيد المصرح به في القرآن فإن الأمم الإسلامية ، لازالت تحتفظ بكثير من العادات الوثنية ؛ فإن من أهم الصفحات في الحياة الدينية للعوام في جميع الأمم الإسلامية ، هو تقديمهم لقبور الصالحين ، وفي هاتين القضيتين سائر العلماء المحدثون^(٢) اندفاع الرأي العام ، وقد أصبح لكل قوم أئمة محليون يزورون قبورهم وآثارهم ، فيفرح ذلك الإمام ، ويشفع لهم ، وينجيهم من الفقر والمرض^(٣) » وهكذا يدع الصوفية الفرصة سانحة لعدو الإسلام ، ليجدوا عليه بما يقتضيه الصوفية !! تأمل فيما قاله ، تجده صوفية مُصَوَّرة بكل خبيثاتها !!

لن أجادل في التوسل ، وفي أنه شرك أصم ، إذ التوسل خبث شرك آخر أشد خبثاً منه ، فالصوفية يعتقدون أن أولياءهم ليسوا بشرأ ، وإنما هم آلهة تخلق ما تشاء وتختار ، أوهم - كما نقلنا لك من قبل - ذات الله سبحانه وتعالى تجسدت مرة فكانت تيجانية ، وأخرى ، فكانت نقشبندية ، وأخرى فكانت رفاعية ، أو شاذلية ، أو بُرهامية !!

صوفي يخطب الجمعة عارياً

الشعراني كاهن الخطايا الصوفية ، يبشر بها ، ويكافح في سبيل الدعوة إليها ، وهجيب أن ترى الشعراني يعقب على ذكر كل اسم صوفي يتنزي جسده فاحشة

(١) النصوص السابقة عن ص ٢٣٤ ، ٢٣٢ العقيدة والشرعية .

(٢) التعميم خطأ ، فالمحدثون بحق يرون هذه البدعة من الشرك ، ولعله يقصد من وضعوا الأحاديث التي نسبت زوراً إلى رسول الله ، وترشح لقبول هذه البدعة .

(٣) ص ٢٦٦ عقيدة الشيعة .

بقوله : « رضى الله عنه » ! اسمع إلى الكاهن يبشر بهتك العورة كرامة ! « ومنهم الشيخ إبراهيم العريان ، كان يطلع المنبر ، ويخطبهم عريانا ، فيقول : السلطان ، ودمياط ، وباب اللوق ، بين الصورين ، وجامع بلالون ، الحمد لله رب العالمين ، فيحصل للناس بسط عظيم ^(١) »

أَمِنْ رَفِيفِ الروحانية بعبير تقديسية مَنْ الولى على حشد محشود بعورة مكشوفة ، وهذيان مخيول ؟!

تصور ، واجعل خيالك رحيماً رحيماً مُجنَّحاً بتهاويل الشاعرية ، حتى يمكن أن يتصور مشهد ولى يبارك المصلين بهتك عورته !!

تصور ذلك المعبود يصعد إلى المرقاة الأخيرة من المنبر فى يوم جمعة ، حتى إذا أنعم الشهود فيه الأبصار ، وحدِّقوا إليه بالأفكار ، ورَنَوْا إليه بالقلوب ، ابتغاء ترشُّف العظة الهادية . حتى إذا هوَّمت عليه النواظر ، وطافت به المشاعر ، وحوَّمت حوله الأحلامُ والعواطف ، هتكت الستر عن عورته فضلاً منه ونعمة ؟ ! ذلك المعبود على منبره ، فى جامع ، فى جمعته يجمع الناس حوله ؛ ليعظم عظة تصلهم بأسباب السماء ، فيسمعهم ذلك الهراء الخجول ، وهو مُنْهَتِكُ السوءة : « باب اللوق . الخ » .

تلك الصورة الوثنية التى يراها الخيال النسيح الذى قد يستشرف غيب الأبد ، وقفَّة الأزل فى تصوراته ، ويهب للمستحيل أحياناً وجوداً فى تهويماته - يراها أشد استعصاء عليه من تصور وجود المستحيل ، بيد أن الشعرانى يؤكد لنا أنها حقيقة صوفية ، فيدين بها ، ويبشر بها ، ويدعو الله أن يَغْمُرَ مُقْتَرِفَهَا برضاه ، ولا يأخذنك العجب ؛ فإنه صوفى ! .

إننا نعرف من كتاب الله أن الآدمية عوقبت على ذنبها الأول بكشف السوءة !

(٧ : ٢٢ فَدَلَاها بفُرور ، فلما ذاقا الشجرة ، بدت لهما سَوَاءُ أُتْهِمَا) .

فماذا يريد الشراني من دين ؟ .

صوفي يبهت البريء بذنبه

وَيَمْضِي الشراني في تَمْجِيدِ شَيْخِهِ العريان فيقول : « وَكَانَ يُخْرِجُ الرِّيحَ
بِحَضْرَةِ الْأَكْبَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : هَذِهِ ضَرْطَةُ فُلَانٍ ، وَيَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ ، فَيُخْبِلُ ذَلِكَ
الْكَبِيرَ مِنْهُ ^(١) » .

وَلَشَدَّ مَا يَشْدَخُ الْعَجَبَ رَأْسَهُ مِنَ الْعَجَبِ مِنْ صَوْفِي يَقْدَسُ الصَّوْفِيَّةُ
خَطَايَاهُ ، وَيَجْعَلُونَ مِنْ مَعْجَزَاتِ قُطْبَانِيَّتِهِ بَهْتُ الْبَرِيِّ بِذَنْبِ افْتَرَى هُوَ جَرِيرَتَهُ ،
أَوْ بِخَطِيئَةِ « ذَوْقِيَّةٍ » يَمْجُهَا حَتَّى ذُوقَ الْخُنْفَسَاءِ ! .

هَذَا مَعَ اسْتِحْلَالِ الْكَذْبِ الْمَفْضُوحِ الْعَرِيَانِ ، مَقْسَمًا بِاللَّهِ عَلَى صَدَقِهِ ! .
أَرَأَيْتَ إِلَى الصَّوْفِيَّةِ كَيْفَ تَعْبُدُ خَاطِئًا يَنْقُثُ مِثْلَ هَذِهِ الْيَحَامِيمِ الْمُنْتَنَةِ الْخَانَقَةِ
فِي مَجَالِسِ الْعُظَمَاءِ ، ثُمَّ لَا يَتَنَعَمُ فُسَادُ ذَوْقِهِ ، وَسُوءُ أَدَبِهِ مِنْ أَنْ يَقْذِفَ سُوَاهُ بِذَنْبِهِ ،
وَيَحْلِفُ بِاللَّهِ عَلَى صَدَقِ بَهْتَانِهِ !؟ .

الصوفي يُؤْجِرُ عَلَى كَشْفِ عَوْرَتِهِ

وَإِلَيْكَ مَا يَأْفِكُهُ الدِّبَاغُ : « إِنْ غَيْرَ الْوَلِيِّ إِذَا انْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ ، نَفَرَتْ مِنْهُ
الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ ، وَالْمُرَادُ بِالْعَوْرَةِ : الْعَوْرَةُ الْحَسِيَّةُ ، وَالْعَوْرَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ الَّتِي تَكُونُ
بِذِكْرِ الْمَجْنُونِ وَأَلْفَاظِ السَّفَةِ ، وَأَمَّا الْوَلِيُّ ، فَإِنَّهَا لَا تَنْفَرُ مِنْهُ ، إِذَا وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ
إِنَّمَا يَفْعَلُهُ لِعَرَضٍ صَحِيحٍ ، فَيَتْرَكُ سِتْرَ عَوْرَتِهِ لَمَّا هُوَ أَوَّلَى مِنْهُ ^(٢) » .

لَقَدْ جَعَلَهَا الشراني كَرَامَةً خَاصَةً بِالْعَرِيَانِ ، أَمَّا الدِّبَاغُ ، فَيَجْعَلُ مِنْ كَشْفِ
الْعَوْرَةِ دَسْتُورًا فِي الْوَلَايَةِ الصَّوْفِيَّةِ ! ، أَمَّا الْكَشْخَالِيُّ ، فَيُحَدِّثُنَا عَنْ أَنْوَاعِ الْأَوْلِيَاءِ

(١) نفس الصفحة والمصدر السابق .

(٢) ص ٤٣ ج ٢ الإبريز للدِّبَاغ ط ١٢٩٢ هـ

المتصرفين ، فيقول : « والرحمانيون وهم ثلاثة أيضاً ، وهم عند الوحي يجلسون عرايا ، ويسمعون الوحي ويفهمون المراد منه ^(١) » ! فتأمل الصوفية تزعم أن أولياءها يسمعون الوحي ! ومن هم ؟ سفهاء عراييد ، اتخذتهم الخطايا دعاة مجونها وسفهاء ! والسنة تعبر عن سوءاتها ! .

جرد يأسماحة الشيخ كتيبة من علمك ، وسلطان منصبك ؛ لتؤدب هؤلاء الأقطاب الذين يهتكون عوراتكم ، ولعل هذه العورات المتكشفة في فجور أجدر بأن تشكوها إلى النيابة ممن يدعوكم إلى سترها ، ورتق فتوقها المفتوحة ! .

تطور الصوفيين إلى وحوش وغيرها

يقول الشعراني عن الغمري : « ودخل عليه سيدى محمد بن شعيب ، فرآه جالساً في الهواء ، وله سبع عيون » ويقول . عن الشيخ أبو علي : « تدخل عليه تجده جندياً ، ثم تدخل عليه ، فتجده سبعاً ، ثم تدخل عليه فتجده فيلاً . وكان يقبض من الأرض ، ويناول الناس الذهب والفضة » ^(٢) .

ترى لو أن مسلماً قتل صوفياً وهو « فيل ، أو سبع » أتزمه الذية ، أم يلزمه القصاص ؟ يزعم الشعراني أن ذلك الشيخ المتطور إلى فيل وسبع قد قطعه بعض الناس بسيفهم ، وأخذوه في تليس ، ثم أصبحوا ، فوجدوا الشيخ حياً جالساً ^(٣) ! خطايا : ثم ذكر الشعراني من جرائم شيوخه ما يفسد الصبي على أمه الطهور بأسلوب تستحي حتى البغي أن تهمس به في حاتها المربدة ، فافراه ، تجد ثورة الخطيئة من جسد أوجعه الشبق ! .

(١) ص ١٣٣ جامع الأصول في الأولياء .

(٢) ص ٨٠ ، ٨١ ج ٢ الطبقات .

(٣) ص ٨٠ المصدر السابق

اقرأ ماسجله عن كرامات على وحيش وأبو خودة^(١) ، وغيرها ، ثم اذكر ما كان يقتضيه الجرمون من قوم لوط ، وبأية جريرة منكرة أخذهم الله أخذه رابية ! وثمت ترى الشراني يجعل من هذه الفاحشة الموبقة كرامة لساته هؤلاء ! معقبا على ذكر كل جريمة يقتضها فاسق منهم بقوله : رضى الله عنه ! ولا تعجب ، فذلك الجريمة دين الصوفية من قديم . قال يوسف بن الحسين الرازى : « نظرت في آفات الخلق ، فعرفت من أين أتوا ، ورأيت آفة الصوفية في صحبة الأحداث ، ومعاشرة الأضداد ، وأوراق اللسان^(٢) » . وإنه ليعترف بعدها بما يدينه بتلك الخطايا فيقول : « كل ما رأيت مني أفعله ، فافعلوه إلا صحبة الأحداث ، فإنه أفتن الفتن^(٣) » ويقول : « عاهدت ربى أكثر من مائة مرة ، ألا أحب حدثا ، ففسخها على حسن الحدود ، وقوام القدود ، وغنج العيون ، وما سألنى الله تعالى معهم عن معصية^(٤) » ويقص الخراز أنه رأى إبليس في النوم ، فقال له : « تركت لى فيكم لطيفة . قلت : ماهى ؟ قال : صحبة الأحداث ، قال أبو سعيد : وقل من يتخلص من هذا من الصوفية^(٥) » .

ولقد وبخ الله سبحانه قوم لوط بقوله : (٢٦ : ١٦٥) أتأتون الذكران من العالمين ؟ » ولعنهم ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ، فما بالك بالصوفية ، وقد اقترفت هذه الجريمة في صورة نكراء منكرة مسقة في الخزى والضة والخقارة ،

(١) ص ١٢٢ ، ١٣٢ ج ٢ طبقات ط صبيح ويقول الشراني عن أبى خودة : « وكان رضى الله عنه إذا رأى امرأة ، أو أمردا راوده عن نفسه ، وحسنى على مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره ، ولا يلتفت إلى الناس » .

(٢) ص ١٩٠ طبقات الصوفية للسلى . (٣) ص ١٨٩ نفس المصدر

(٤) ص ١٩١ نفس المصدر . (٥) ص ٢٣٢ نفس المصدر .

اقتترفتها مع الذكران ومع العجماوات من الدواب ! ؟ وأين ؟ على قارعة الطريق ، وعلى مشهد من كل رآح إلى السوق ، أو غاد منه ! ذلك ما ذكره الشعراني ، وجعله كرامة ربانية لأوليائه ، ويزيدها تفصيلا ، فيزعم أن « وحيشا » كان يرغم صاحب الدابة على أن يستذلها له عند اقتتراف الجريمة^(١) ! وينازعني الحياء ؛ لكيلا أسطر لك جرائم الصوفية بأسلوب الشعراني ، فخذ بكتابه ، وطالع فيه أية ترجمة لصوفي ، وثبت تطالعك الجريمة بوجهها الديم الصفيق الغليظ المنكر !.

رمة تتصرف في الوجود

يقول الشعراني : « إن شيعي أخذ على العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد البدوي ، وسأني إليه بيده ، فخرجت اليد الشريفة من القبر^(٢) ، وقبضت على يدي قال سيدي الشناوي : يكون خاطرك عليه ، واجعله تحت نظرك ، فسمعت سيدي أحمد يقول من القبر : نعم ! . ولما دخلت بزوجتي ، وهي بكر ، مكثت خمسة أشهر لم أقرب منها ، فجاء ، وأخذني ، وهي معي ، وفرش فرشاً فوق ركن قبته ، وطبخ لي حلوى ، ودعا الأحياء والأموات إليه ، وقال : أزل بكارتها هنا ، فكان الأمر تلك الليلة ، وتخلفت عن حضوري المولد ، وكان هناك بعض الأولياء ، فأخبرني أن سيدي أحمد البدوي كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ، ويقول : أبطأ عبد الوهاب ، ماجاء ! » ثم يزعم أن البدوي يدعو العرب والعجم

(١) طالعها في الطبقات ج ٢ ص ١٣٥ ط صبيح .

(٢) يذكر الصاوي في حاشيته على شرح الخريدة للدردير ، أن الرفاعي وقف

تجاه قبر الرسول ، وناجاه بهذين البيتين :

في حالة البعد روحى كنت أرسلها تقبل الأرض عني ، وهي نائبق

وهذه دولة الأشباح ، قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفق !!

قالوا : فخرجت اليد من القبر . ويظهر أن الشعراني أبى إلا أن تكون له وليده

البدوي تلك الكرامة !!

ويسوقهم إلى مولده ، وأنه أرى الشعراني كثيراً من الأحياء والأموات من الشيوخ والزمنى بأكفانهم يمشون ويضحفون معه يحضرون المولد^(١) ! ويقول عن الحريري : « قصدته في حاجة ، وأنا فوق سطوح مدرسة أم خوند بمصر ، فرأيتة خرج من قبره يمشى من دمياط . إلى أن صار بيني وبينه نحو خمسة أذرع ، فقال : عليك بالصبر ، ثم اختفى ! »^(٢) .

هنا يكاد الإنسان يفقد عقله ! إذ لا يتصور حتى بمن به مسكة ولمى من عقل أن يعرف ، ويخرف بمثل ذلك الخيال ولكن لا عجب ، فكل صوفي عدو للعقل فوق عداواته للشرع . كل صوفي يؤمن بأن « الذوق » وحده هو وسيلة المعرفة ، أما العقل عندهم ، فطاغوت أخرق ، وأما الشرع ، فمادية تنسب مخالفاتها في الصخر ، دون أن ترقى السماء بنظرة واحدة ! أو هو نوع من عبادة التاريخ الميت ؛ ولهذا تتباين عندهم قيم الأشياء ، تبعاً لتباين الأذواق ! وقد يرى الصوفي الباطل ، فيما يرى غيره فيه الحق ! ولا يضيرهم أن يتوتر التناقض بين ما يؤمن به صوفي ، ويكفر به آخر غيره ، فكلاهما في الدين الصوفي على حق . ولعل هذا سر فريتهم « من اعترض ، انطرد ! » إذ ربما حكمت بالشرع أو بالعقل على شيء ما بأنه باطل ، وهو في « ذوق^(٣) » شيخك حق ! فتعرض نفسك للطرد من حظيرته .

(١) اقرأ ترجمة السيد البدوي في طبقات الشعراني .

(٢) ج ٢ ص ١٥٤ المصدر السابق ويروون أن رجلاً قصد إلى ضريح صوفي مشتكيًا فدخله من القبر بعود الريحان خطاباً مكتوباً فيه بيت من الشعر لم يخف مداده « انظر ص ٣١٨ ج ٢ شرح الحكم لابن عجيبة .

(٣) يعرف القيصري الذوق بقوله : « ما يجده العالم على سبيل الوجدان والكشف لا البرهان والكسب ، ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد » ص ١٩٣ مطلع خصوص الكلم ، أو هو « أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق التتالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي » ص ١٠١ جامع الأصول للشمس خاني ، ويقول =

على هذا يحمل الشيوخ الدراويش ، ويستعبدونهم ، فما يفعل الشيخ من شيء ،
إلا ويوحى إلى درويشه أنه فعله عن أمر إلهي ، وإن يكن مافعله خطيئة خاطئة .
ولا يملك الدراويش إلا أن يؤمن ! ألا ترى الجنيد يجيب - حين سئل : أيزنى
العارف ؟ - بقوله : « نعم ! وكان أمر الله قدراً مقدوراً » ! حَقَّ لَوْنَه بباطل .
ذلك الجنيد ! زانٍ ويسميه عارقاً ! أى مؤمناً بلغ ذروة الإيمان ، لأنه رأى القضاء
في لوح الغيب فنقذه ^(١) ! .

والرسول يقول « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » .

تذكر الصوفية على العقل أنه وسيلة إلى المعرفة ، ويرهبها حنقاً منه أن يحكم
بالمنايرة بين الضدين ، أو بين النقيضين ، وتذكر على الشرع تفرقة بين الإيمان
والكفر ، أو الخير والشر ؛ إذ لا تؤمن بغير « الذوق » سماء وحى ، وقدس إلهام !
ولهذا كان من اصطلاحاتهم المشهورة : « من ذاق عرف » أى من جعل
« الذوق » وحده الوسيلة إلى المعرفة ، كان حقاً من العارفين بكنهه الحقائق الربانية !
أرأيت إلى الشعراني يؤكد أن سيده البدوي حَيٌّ رغم تعفن البلى في
رتمته !؟ ، وأنه يطبخ ويغسل ، ويدعو الأحياء والموتى إلى مولده !؟ أرأيت

== ابن عربي : « اعلم أن العلوم الدوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة
مع كونها ترجع إلى عين واحدة » ص ١٠٧ فصوص الحكم ط الحلبي ، ويعنى بالعين
الواحدة : الذات الإلهية !!

(١) يقول الدباغ : « إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصى ، وهو ليس
بعاص ، وإنما روحه حجت ذاته ، فظهرت في صورتها ، فإذا أخذت في المعصية
فليست بمعصية » ص ٤٣ ج ٢ الإبريز . ويقول : « يتصور في طور الولاية أن يقعد
الولي مع قوم يشربون الخمر ، وهو يشرب معهم ، فيظنون أنه شارب الخمر ، وإنما
تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت » ص ٤١ المصدر السابق .
وهكذا يقررون أن الرذيلة فضيلة .

إليه يؤكد أنه حين أخطر « الحريثي » في باله ، قام من قبره ، وهروا إلى مضر على قدميه من دمياط ؟ ! .

حجة من الحق

أسألك - وما تُضنّيني كثرة التساؤل - ألهذه الوثنية صلة بقرآن ، أو فكر ؟ هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وُورى في قبره ، فيعز على ابنته فاطمة أن يهيل أصحاب أيها العظيم التراب على وجهه الكريم ، فتقول ملتمعة القلب بالأسى والحزن : « أَوْ هَا أَنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَهِيلُوا التَّرَابَ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ » . ويحييها أنسُ بالحق ، يأسو في قلبها الحزين لوعة العاطفة ، ويُنجلي عنه رانَ الهموم . « لولا أننا أُمِرْنَا بذلك ، ما فعلناه » .

ترى لِمَ لَمْ يَفْصِلْ رسولُ الله بعد موته في الخصومة التي احتدمت بين وزيره الأول أبي بكر ، وبين ابنته الحبيبة فاطمة ؟ . وَلِمَ لَمْ يَحِلْ بين عائشة وبين يوم الجمل ؟ ولم لَمْ يُنْذِرْ عمرَ بالمكيدة التي دبرت له حتى قُتِلَ بها ؟ ولماذا لم يحل بين خنجر الجومسي وبين صدر عمر الفامر^(١) الإيمان ؟ ! . ولماذا لم يحم عثمان ذا النورين من قاتله ؟ ! وعلياً من السكين الخاتلة القاتلة ؟ !

وهذا ريمحنته سيد شباب الجنة الحسين رضى الله عنه يحيط به عدوه كالليأس الظلوم بالأمل الكريم ، وهاهو يرفع على يديه طفله في عمر الزهرة النديّة ، ثم يناشد عدوه حَسَوَةً من ماء يبل بها غليل عصفوره الظمآن ! . فلم ينل إلا سهماً غادراً ينفذ إلى صدر الصغير الرقيق ! .

فلماذا لم يمدد رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه بكأس من سلسبيل ؟

(١) أما الشعراني ، فيتحدث عن كرامة سيده الشريف المجدوب ، فيقول : « ولما طعن أصحاب التوبة سيدى علياً الخواص جاءه الشريف ، ورد عنه الطعنة »

أو ليمنع السهم الفادر عن هتك الشَّعَافِ من الطفل الصغير ، ومن قتل أبيه البطل
الأبيُّ الكريم ١٩ .

جواب ذلك كله : لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يملك شيئاً يدمم به ،
أرعيين ، إذ هو ميت ، ولم يُرَوَّ عنه في حديث صحيح أو ضعيف ، ولا في تاريخ
يعنى بالحقائق أو الأساطير ، أنه أمدَّ بشيء ، أو أعان بعونٍ ما ، بعد أن توفاه مَلَكُ
الموت الذى وَكَّلَ به .

فلو أن الله سبحانه أعطى خصائص الحياة الدنيا في القبر لميت يعين بها
الأحبة ، أو يدمم بقدرة منه ، لوهبها لحمد صلى الله عليه وسلم أ بيد أنك ترى
هذه الأحداث الجسم تدمم خيار الصحابة ، والبررة الرياحين من آل بيته ،
فلا نسع أنه صلى الله عليه وسلم أمدَّهم بشيء ؛ لأنه لا يقدر على ذلك ! .

أما البدوى رغم موته ، فينعم بالحياة الزاخرة القادرة في الدنيا ، ويهبها لمن
يشاء من الموتى ، ويقضى حوائج الخلق ، ويعطى اليهود ، ويكلم الطائفتين حول
صنمه ، وهو رمة غفنة ! .

ألا ترى الشعرانى يجب أن يؤكد لك أن هذا البدوى الأسطورى المجيب ،
أفضل وأكرم عند الله من سيد الخلق ١٩ .

صوفى يدبر الأمر

يقول الدباغ : « رأيت ولياً بلغ مقاماً عظيماً ، وهو أنه يشاهد المخلوقات
الناطقة والصامتة ، والوحوش ، والحشرات ، والسموات ، ونجومها ، والأرضين
وكررة العالم بأمرها تستمد منه ، ويسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة ، ويمد
كل واحد بما يحتاجه ، ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذلك ^(١) » .

(١) ص ٧٣ ج ٢ الإبريز للدباغ .

يُصِفُ عبداً بِصِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ !! ويقول أحمد التيجاني^(١) عن نفسه :
 « رُوحِي » رُوحه صلى الله عليه وسلم تمتد الرسل والأنبياء ، وروحي تمتد الأقطاب
 والعارفين من الأزل إلى الأبد^(٢) ، وإذا جمع الله تعالى خلقه في الموقف ينادي
 مناد بأعلى صوته يسمعه كل من في الموقف : يا أهل الحشر ، هذا إمامكم الذي
 كان مددكم منه ، كل ما فاض من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي . ومنى يتفرق على
 جميع الخلائق^(٣) » ويصفه تابع له بقوله : « إِذَا تَوَجَّهَ أَغْنَى وَأَقْنَى ، وَبَلَغَ الْمُنَى^(٤) »
 ويصفه آخر بقوله : « لَا يَتَلَقَّنَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فَيَضًا مِنْ حَضْرَةِ نَبِيِّ إِلَّا
 بِوَسْطِهِ^(٥) » وآخر بقوله « نفوذ بصيرته الربانية التي ظهر مقتضاها من إظهار
 مضمرات ، وإخبار بمغيبات ، وعلم بعواقب الحاجات ، وما يترتب عايتها من
 المصالح والآفات^(٦) » . ويقول البسطامي : « رَفَعَنِي « أَيْ اللَّه » فَأَقَامَنِي بَيْنَ
 يَدَيْهِ وَقَالَ لِي : يَا أَبَا يَزِيد : إِنْ خَلَقْتَ يَحْبُونَ أَنْ يَرْوِكَ ، فَقُلْتُ : رَبِّي بَوَحْدَانِيَّتِكَ
 وَأَلْبَسَنِي أَنَانِيَّتِكَ ، وَارْفَعَنِي إِلَى أَحَدِيَّتِكَ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَنِي خَلَقَكَ ، قَالُوا : رَأَيْنَاكَ
 لَتَكُونَ أَنْتَ ذَاكَ ، وَلَا أَكُونَ أَنَا هُنَاكَ^(٧) » . وَنَعْتُ « حِرَازِم » لِلتَّيجَانِي ، بِأَنَّهُ
 يُغْنِي وَيُقْنِي ، وَيَعْلَمُ الْغَيْبَ ، نَعْتُ لَهُ بِصِفَاتِ اللَّهِ . فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِفُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ :
 (٥٣ : ٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٧٢ : ٢٦) عَالَمُ الْغَيْبِ ، فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدٌ
 إِلَّا مِنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ ، فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصْدًا) .

الكلاب أولياء الصوفية

إن البشرية في الأغوار السحيقة من تاريخها المظلم ، وفي تيهها الوثني ، لم تؤله

(١) أحمد بن محمد أبو العباس ولد سنة ١١٥٠ هـ

(٢) نفس ما ادعاه لنفسه الطاغوت ميرزا حسين علي المللق بالبهاء !!

(٣) (٤ ، ٥ ، ٦) ص ٥ ج ٢ رماح حزب الرحيم وما بعدها ، ص ٣ جواهر

المعاني ص ٤٦ ، ٤٧ ج ١ لعل حرازم .

(٧) (٧) اللع للطوسي ص ٣٨٣ مطبعة بريل بليدن .

كلباً ، بيد أن الصوفية أرادت التجديد في صور الشرك ، وأن تبتدع أصناماً جديدة ، فألّفت مالم تؤلّه أخطأ الوثنيات في التاريخ .

نقلت لك عن التلمساني اعتقاده أن رمة الكلب ، هي ذات الرب الصوفي ! وعن محمد بهاء الدين مانقله عن مشائخه من تأليه الكلاب والخنازير ، فاسمع إلى الشعراني يحدثنا عن كرامات سيده العجمي .

« وقع بصره على كلب ، فانقادت إليه جميع الكلاب ، وصار الناس يُهرَّعون إليه في قضاء حوائجهم ، فلما مرض ذلك الكلب ، اجتمع حوله الكلاب يبكون ، فلما مات ، أظهروا البكاء والعيول ، وألهم الله تعالى بعض الناس ، فدفنوه ، فكانت الكلاب تزور قبره ، حتى ماتوا ، فهذه نظرة إلى كلب ، فعلت ما فعلت فكيف لو وقعت على إنسان^(١) ؟ » ويقص الشعراني عن هذا العجمي : إنه كان يخرج من خلوته ، فكل من وقع عليه نظره ، انقلبت عينه ذهباً خالصاً^(٢) !!

إفكٌ وحق

ترى يناخلك الرضى بإسماحة الشيخ عما افتراه الشعراني ؟ إني أصيح صيحة مدوية بالحق لعلها تهز ضميرك الديني ، وأسألك : أسألك ما تعلّمته في الأزهر ، حتى وصل بك إلى منصب القوامّة المقدسة عند الصوفية على دينهم ، هذا الدين الذي يفتري له كهنته وأخباره أنه ربيع الحياة الروحية الرَّفَّافُ بالخير والحب !! ومعين الهداية الفياض بالحق والحكمة !! وأقياس من النور الأزلي ، على أشعته يصل إلى هدفه الأبدُ والخلود !! ومجالى الفردوس حيث الحور مجلّوات الجمال ،

(١) ص ٦١ ج ٢ الطبقات ترجمة العجمي .

(٢) نفس المصدر السابق وهذا معناه أنه رجل شديد الخطورة على الإنسانية ، فكيف يكون ولياً من يكون سبياً في حرمان الناس من نعمة البصر ؟ كيف يكون ولياً وهو نكبة على المجتمع ؟

وحيث الملائك في سجود التساييح !! أما هذا الدين في نظر الحق ، فنفايات مَجَنِّها
مجوسية الفرس ، والهند ، وزندقة الغنوصيين ، وإلحاد الفلاسفة ، ووثنية الصابئة
وعبداء الأصنام ، إنه حمأة الشر والفساد من دين أولئك جميعاً ، بيد أن لطواغيته
أسماء إسلامية ، ففتنوك بهذا الشُّفِّ الرقيق ، فلم ترهم ، وهم يدسون السم لك في
الرحيق !! إنه أخس دين عُبد به الشيطان ، إذ أَقْتَنَ في افتراءِ بِدْعِهِ !! إنه السم
الزعاف يقسم لك : إنه سُلَافَةُ الخلود !! ، والأفعوان الحقود يزعم : أنه ملاك رحمة
وحبة !! والليالة السوداء في قبر المشرك تؤكد لك أنها وضاعة صبيح الجنة !!
والدمامة الشوهاء تترأى في الماخور الدنس بَرَزَّةً تَتَقَتَّلُ أنوثتها الطاغية !! إنه
الصوفية تزعم أنها إسلام !!

خزى صوفى

ولقد سجل هذا الخزى والعار مستشرق إنجليزى صاحب الصوفية في مصر
فأعطته العهد ثم مضى - بعد ابتلائهم - يسجل عليهم مخازيها ، ويرى بها
المصريين جميعاً في كتابه : « يزور المصريون الأضرحة معتقدين أنهم سينزلون
عليهم البركات ، وإما بقصد التماس البرء من مرض ، أو طلب النسل ، ويعتبر
المسلمون أولياءهم المتوفين شفعاء لهم عند الله ، ويقدمون لهم النذور ^(١) »

ويقول : « وقد جرت العادة أن يقوم المسلمون ^(٢) كما كان يفعل اليهود
بتجديد بناء قبور أوليائهم وتبييضها وزخرفتها وتغطية التركيبة أو التابوت أحياناً
بغطاء جديد ، وأكثر هؤلاء يفعلون ذلك رياء كما كان يفعل اليهود » ويقول
جوانز بهر وهو يتحدث عن بدعة الموالد : « وكان علماء المسلمين لا يزالون

(١) ص ١٦٧ وما بعدها كتاب « المصريون المحدثون » للمستشرق « لين » والمسلمون
أبرياء من هذا الشرك الذى يقترفه الصوفيون ، ويرى به الرجل جميع المسلمين .
(٢) يحمل على المسلمين أوزار الصوفية ، فما يفعل هذا مسلم . ولكنها الصوفية .

حتى القرن الثامن الهجري يعدونه « أى الاحتفال بمولد النبي » مخالفاً للسنة ، ونهت عنه غالبيتهم على اعتبار أنه بدعة مستحدثة فى الإسلام . . وتنطبق هذه الحالة أيضاً على أعياد دينية أخرى ، نشأت فى القرون المتأخرة ، واضطرت أن تجاهد ؛ لى يقرها العلماء بعد أن وصموها دهرأ طويلا : بأنها من البدع الدخيلة^(١) » ويقول جوتييه : « وتقديس الأولياء إلى درجة قد تقرب من العبادة الذى نراه انتشر بعد فى جميع الأقطار الإسلامية يشير فى الحقيقة إلى رد فعل من الأمم والشعوب التى فتحتها الإسلام ضد العقلية الإسلامية التى لاتسلم بوسطاء أو شفعاء لدى الله . إنه لم يثر ضد إجلال الأولياء والرسول إلى ما يقرب من العبادة أى ضد هذا التغيير الخطير فى العقلية الإسلامية الأولى إلا الطائفة الوهابية^(٢) »

لايسوءنا أن يسجل هذه المخازى أولئك المستشرقون ، ويحملونها على المسلمين جميعاً ، ولسكن الذى يجب أن نخزى به ، هو أن ندع هؤلاء الصوفية يفترون هذه الجرائر ، وينفثون سمومها ، فيكيد للإسلام بهاءدوه ، ويرمى المسلمين جميعاً بالحقاقة والغباوة وعبادة الأساطير ، ويقول فى كل كتاب : هذا هو الإسلام !! وهم يوقنون أنه دين الصوفية ، لادين الله ، ولكنهم عدو يهتبل الفرصة ؛ ليحقق بها عدوآله ، ربما أخذتنا العزة ضد هؤلاء المستشرقين وحدهم . بيد أن الواجب هو أن تأخذنا العزة بالحق ، فنجتث الصوفية من أصولها ، وكفاها أن جعلت عدو الإسلام يحمل كل خزى لها عليه !! ليس أولئك المستشرقون هم عدونا الأول ، وإنما عدونا من ملكهم هذا السلاح يقاتلوننا به . وليس غير الصوفية !!

(١) ص ٢٢٧ العقيدة والشرعة .

(٢) ص ١٥٨ المدخل تأليف جوتييه ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى ، أما الوهابية فسلكمة ابتدعها أعداء الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب مقابل نقد الحق للعصية المذهبية المقيمة .

أنواع الكرامات

يزعم المناوي أن للصوفيين أنواعاً من الكرامات .

« النوع الأول : إحياء الموتى ، وهو أعلاها ، فمن ذلك أن أبا عبيد اليسرى غزا ، ومعه دابة ، فماتت ، فسأل الله أن يحييها ، فقامت تنفض أذنيها ، وأن مفرجا الدماميني أحضر له فراخ مشوية فقال : طيري يا ذن الله تعالى ، فطارت . ووضع الكيلاني يده على عظم دجاجة أكلمها ، وقال لها : قومي يا ذن الله ، فقامت ، ومات لتلميذ أبي يوسف الدهماني ولد ، فجزع عليه ، فقال له الشيخ : قم يا ذن الله ، ققام ، وعاش طويلا ، وسقط من سطح الفارق طفل ، فمات فدعا الله ، فأحياه ^(١) »
نفس المعجزات التي من الله بها على إبراهيم وعيسى ، وعلى الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها !! ويقول الكلاباذي : « أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء ، كالمشي على الماء ، وكلام البهائم ، وطى الأرض ، وظهور الشيء في غير موضعه ^(٢) » وقد نظمها حسن رضوان .

وإن تجلّ جلّ شأنه على وليّه بقدرته تجمّلا
وشاهد الأشياء تحت قبضته وأنها تكونت عن قدرته
شهود غيب ، غير أنه ظهر عليه منه في الشهادة الأثر
ومن هنا أحوال أرباب الهمم كشيمهم فوق المياه بالقدم
أو الهواء ، أو على السحاب أو طى أو خبز من التراب
أو غير هذا من أمور خارقة لعادة ، والشرط أن توافقه ^(٣)

ومن هنا دانت الصوفية بأولياء لهم « التصرف العام والحكم الشامل العام

(١) ص ١١ الكواكب الدرية لعبد الرؤف المناوي ط ١٩٣٨ م

(٢) ص ٤٤ التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ط ١٩٣٣ م

(٣) ص ٢٣٩ روض القلوب المستطاب .

في جميع المملكة الإلهية ، وله بحسب ذلك الأمر والنهي والتقدير والتوبيخ والحمد والذم^(١) .

ويتحدث الكوهني عن معجزات سلامة الراضي : « حملت إحدى زوجات الإخوان ، وفي التاسع مات الجنين ، وبقي عشرة أيام ميتا بطن أمه ، وعند الوضع ذكر هذا الأنحُ شيخنا ، فقال : كذلك يافلان ؟ ! وبتامه تم الوضع طبيعيا كأن لم يكن هناك وليد مات منذ عشرة أيام . وأحد الإخوان كُفَّ بصره ، فذاكر حضرة الأستاذ ، فقال له : إن كتمت الأمر ، أبصرت ، فرضى بالشرط فسمح على عينه ، فأبصر ، وكان لبعض وجهاء بندر الجزيرة ابنة وحيدة أصابتها حمى ، وبعد شفائها ، خرس ، فلم تتكلم أبدا ، فعرضوها على الأطباء سنوات ، فلم تُشفَ ، فأحضرها لشيخنا ، ونظر إليها نظرة ، فسألها عن اسمها ، فنطقت به ، وذهب خرستها في الحال^(٢) . »

نفس المعجزات التي من الله بها على عيسى عليه السلام .
وهكذا تدين الصوفية بأن من أوليائها من يرى الأكمه والأبرص ويمحي اللوثي وكثير من هؤلاء الذين نسبت إليهم تلك القدر الإلهية طائفة تمرت على الله تمرد الشيطان ! .

الصوفية يملكون كلمة التكوين

تزعّم الصوفية أن شيوخها يقولون للشيء : كن ، فيكون ، فيتحدث أحدهم عن الولي الذي استخلفه الله ، فيقول : « إنه خليفة يملكه الله كلمة التكوين متى قال للشيء : كن ، كان من حينه^(٣) » .

(١) ص ٧٩ ج ٢ جواهر اللعاني لحرازم .

(٢) ص ٢٥٨ طبقات الشاذلية الكبرى للحسن بن محمد الكوهني القاسي ، وقد ألف كتابه في حياة شيخه « الذي مات من عهد قريب جدا » .

(٣) ص ٨ ج ٢ جواهر اللعاني لعل بن حرازم .

ويقول أبو السعود : « إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة ، وتركناه نظرفاً » ويعلق ابن عربى على هذا بقوله : « وأما نحن ، فما تركناه نظرفاً وإنما تركناه لكمال المعرفة »^(١) ترى ماذا كان يعمل الله ، وأبو السعود يتصرف في الوجود ؟ . هكذا يجعل الصوفية أولياءهم شركاء لله .

معجزات الرسل من قدرة الله

أما رسل الله ، فما كانت معجزاتهم طوع أيديهم ، كما تزعم الصوفية لشييوخها ، ولا بأمرهم ، وإنما كانت بيد الله وحده ، وبأمره ، يكرم بها نبيه متى شاء سبحانه ، لامتى شاء الرسول . ما ضرب موسى بعصاه الحجر ، أو البحر بأمره ، وما انقلب البحر بقدرته ، وإلا فقيم كان خوف موسى من أن يدركه فرعون وجنوده ، لو أنه كان حتى على ظن من قدرة عصاه على فلق البحر ؟ ! .

بل لماذا مسته رعدة الخوف حين ألقى السحرة حبالهم وعصيمهم ، حتى ثبتته الله بقوله : (٢٠ : ٦٨ لا تخف ، إنك أنت الأعلى) أهذه آية قدرة على صنع المعجزات ؟ أم هو العجز البشرى يضرع في صدق إلى قدرة الله المنتقدة ؟ . وما نزل جبريل بالقرآن على محمد بأمره ، أو إرادته ، بل بأمر الله وحده وإرادته (١٩ : ٦٢ وما تنزل إلا بأمر ربك) .

وتدبر ، يتجل لك الهدى بينا من قوله سبحانه : (٢١ : ٦٩ قلنا : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) ما قالها إبراهيم ، وإنما القائل لها - لأنه القادر عليها - رب إبراهيم . فأين من هذا زعم الصوفية ، أن شيوخها يُصَرِّفون أقدار الوجود بنزغات الهوى ، وعواء الشهوات ؟! ويقولون للشيء كن ، فيكون ؟! تعالى الله عما يافك الخراصون علواً كبيراً ! .

ثم ماذا يستفيد الخلق من دجاجة يردّها السكيلاني إلى الحياة ؟ ومن ذابة ،

(١) ص ١٢٩ ج ١ فصوص ط الحلبي .

يحيى اليسرى منها العظام ، وهى رميم ؟ ! ومن كرامات الحريش ووحيش يقترفان
بنى الجريمة على مدرجة الطريق ؟ ! .

إن الصوفية - كما رأيت - قد حكمت بأن معجزات أولى العزم من الرسل
طَوَّع الهوى من التَّبَلُّه الخَرْقُ المشعذين من أوليائها ! فإذا يمنع أدعياء الصوفية
من الزعم بأن الله سبحانه أوحى إليهم قرآنًا ، كما أوحى إلى محمد ^(١) ، مادامت
الصوفية تحكم بأن معجزات الرسل إثارة من قدرة المعتوهين ، ومقتضى الإثمه
والخطايا ؟ بل مادمتم يا كهنة الصوفية قد حكمتم بأن لأوليائكم حياة حياة الله ، وقدره
قهارة شاملة ، كقدرته ، فالله سبحانه ، يقول : (٣٦ : ٧٨ قال : من يحيى العظام ،
وهى رميم ؟ قل : يحيينها الذى أنشأها أول مرة) ولقد زعمتم أن إحياء العظام ، وهى
رميم من قدرة أوليائكم ؟ ولا ريب فى أن من يقدر على أن يهب لغيره الحياة ،
قادر على أن يهب الدبومة لنفسه ، والخلود الأبدى لحياة . وإلا ، فكيف يهب
لغيره ، مالا يهب ، أو يستطيع أن يهبه لنفسه ؟ ! رأيت إلى الصوفية ، كيف
يصفون الحقى الشاردين فى تيه الضلالة بما يوصف به الخلاق العلى الكبير وحده ؟
رجاء آخر

بودى أيها الصوفى - وإنه لود الإخلاص الصادق - أن ترفع على راحتك
كتاب الله ، ثم تتدبر بعض آياته بالفكر البصير ، والقلب الخشوع ، والنفس
المستعبدة ، ويقينى أنك حينئذ ، ستثور ثورة العاصفة على عاد ، تدمر أصنام
الصوفية وأوثانها ، وترجم باللعنات الغضاب طقوسها وكنوتها ! وستغمر نفسك
القلقة سكية الإيمان ، ويقين التوحيد .

إننا فى قرن حطم العلم فيه الذرة ، الجوهر الفرد الذى دان به الأشاعرة ركنًا

(١) ادعاه ربيب الصوفية ميرزا محمد على الملقب « بالباب » ومن بعده مسيلة
ميرزا حسين على الملقب بالبهاء . وادعاه غلام أحمد القاديانى !!

سادساً من أركان الإسلام ، فهل يمكن أن تعين - أعاننى الله وإياك - على تحطيم تلك الطواغيت الصماء ، تقف عقبة كثودا فى سبيل الوصول إلى الله ، وتنشر الخرافات العفنة والأخلاق العفنة ، وتجمع حول عفوتها ذباباً عفناً كثيراً ! .

سماع نطق الجمادات

يعدد ابن عربى أنواع الكرامات ، فيقول : « ومنها سماع نطق الجمادات على مراتب نطقها فى العوائد وخرقها^(١) » والله يقول : (١٧ : ٤٤) ولكن لا تفقهون تسبيحهم) فهل نصدق المفتى ؛ لنكذب الله سبحانه ؟ : « ومنها مكالمته للملأ الأعلى ومحادثته لهم^(٢) » .

ترى أكرم الصديق وعمر الملأ الأعلى ؟ بل أكله الرسل قبل البعثة ، أوفى غير أوقات الوحي ؟ ولكن من الرسل عند الصوفية ؟ إن أى زنديق صوفى أفضل عندهم من خاتم النبیین . ألا ترى البسطامى يفتى : « تالله ، إن لوأى أعظم من لواء محمد^(٣) » ويقول : « لأن ترانى مرة ، خير لك من أن ترى ربك ألف مرة^(٤) » .

صوفى يطوف بالملكوت

يخاطب صوفى ربه بقوله : « إن قوماً طلبوك ، فأعطيتهم طى الأرض ، والمشى على الهواء ، وكنوز الأرض ، فانقلبتم لهم الأعيان » ثم يتحدث عما أنعم

(١) ص ٧٥ مواقع النجوم لابن عربى ط ١٣٢٥ هـ

(٢) ص ٨١ المصدر السابق ، وقد أخذها ابن عربى عن أستاذه النزالى ،

وزاد هذا فقال : إن الولي يُنادى من سرادقات العز ، كما نودى موسى ١١

(٣) عن السهلبى والشعرانى فى لطائف المنن ، ص ١٢٥ ، نقلا عن شطحات

الصوفية للدكتور بدوى .

(٤) المصدر السابق .

عليه به ربه ، فيقول : « أدخلني في الفلك الأسفل ، فدورني في الملكوت السفلى ، فأراني الأرضين ، وما تحتها ، إلى الثرى ، ثم أدخلني في الفلك العلوى ، فطوف بي في السماوات ، وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ، ثم أوقفني بين يديه ، فقال لى : سألنى أى شىء رأيت حتى أهيه لك ، فقلت : ياسيدى مارأيت شيئاً أستحسنه ، فأسألك إياه ! »^(١) حتى عرش الله ، لم يستحسنه هذا الصوفى الوقح ، ومع ذلك يزعم أن الله قال له : « أنت عبدى حقاً ! » .
أترأه ، وهو يطوف بحوف الأرض ، لم ير « البترول » ، فيدل على مكانه قومه !؟ .

والبيوى^(٢) يزعم أنه رأى الشيخ دمرdash في السماء ، وأنه قال له : لا تخف في الدنيا ولا في الآخرة ، وأنه كان يرى النبي في الخلوة ، وأنه سمعه يقول لأبى بكر : اسمع بنا نطل على زاوية دمرdash ، وأنه دخل على السيد البدوى ، ورأى النبي عنده ، وأنه خشى أن يكون واحداً في رؤية النبي ، فرأى الدمرdash عند ضريحه يقول له : مد يدك إلى النبي فهو حاضر عندى^(٣) ! .

صوفى يضمن الجنة لمن يطعمه

يزعم طاغوت التيجانية الأول ما يأتى : « أخبرنى سيد الوجود يقظة ، لامناً : كل من أحسن إليك بخدمة ، أو غيرها ، وكل من أطعمك يدخلون الجنة ، بلا حساب ، ولا عقاب ، فسألته لكل من أحبنى ، ولكل من أحسن لى بشىء من مثقال ذرة ، ومن أطعمنى طعامه ، كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب وسألته لكل من أخذ عني ذكراً ، أن تُفقر لهم جميع ذنوبهم ، ماتقدم منها ، وما

(١) ص ١٠٣ قوت القلوب لأبى طالب السكى ط ١٣٥١ هـ

(٢) طى بن حجازى بن محمد البيوى توفى سنة ١١٨٣ هـ

(٣) ص ٣٢٠ ج ١ عجائب الآثار للجبرتى .

تأخر ، وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء ، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة ، وأن يكونوا كلهم معي في عليين في جوار النبي ، فقال لي صلى الله عليه وسلم : ضمنت لهم هذا ضمانة ، لاتنقطع ، حتى تجاورني ، أنت . بهم في عليين ! » ^(١) .

والله سبحانه يقول لمحمد : (٢٨ : ٥٦ إنك لا تهدي من أحببت) ويقول محمد صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة : « اعملي فإني لن أغني عنك من الله شيئاً » وتشهد امرأة جلييلة لصحابي عند موته بقولها : أشهد أن الله قد أكرمك ، فيقول لها رسول الله معاتباً ، يضع الصواب مكان الخطأ : « وما يدريك أن الله قد أكرمك ؟ وإني لأرجو له الخير والله إني لرسول الله ، ولكني لا أدري ما يفعل بي غداً ؟ ! » أما التيجاني ؟ لقد قرأت قوله ، فم تحسم عليه ؟ ، غير أني أضع إصبعك على قوله : « وكل من أطعمك » لأريك مبالغ حرص الصوفية على انتهاب أقوات الناس ؟ ! .

قلب الصوفي أوسع من عرش الله

يقول البسطامي : « لو أن العرش ، وما حواه مائة ألف مرة ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ، لما أحس به ، فقلب العبد الخصوصي بيت الله ، وموضع نظره ، ومعدن علومه ، وحضرة أسرار ، ومهبط ملائكته ، وخزانة أنواره ، وكعبته المقصودة ، وعرفاته المشهودة ^(٢) » .

الملكوت في بطن صوفي

والدبّاغ الفاطمي المهدف يقول : « إني أرى السموات السبع والأرضين

(١) ص ٩٧ وما بعدها ج ١ جواهر المعاني في فيض التيجاني لملي حرارم .

(٢) ص ١٢٠ ج ٢ فصوص الحكم لابن عربي ط الحلبي ، ص ١٤١ مواقع النجوم

السبع ، والعرش داخلة وسط ذاتي ، وكذا مافوق العرش من السبعين حجاباً^(١) »
كرامات شتى

واقراً في طبقات المناوي زعمه أن الصوفية يخاطبون الموتى ، وأن جده خاطب الشافعي رضي الله عنه في قبره ، وأن روح « ذا النون المصري »^(٢) كانت تُدبّر أجساماً عدة^(٣) ، وأن الخواص ، كانت تنزل عليه الموائد من السماء ، وأن الخضر كان يسقيه ، واقراً فيه تفضيل البسطامي^(٤) الأولياء على الأنبياء^(٥) وأن طارقاً طرق بابَه ، فقال البسطامي : من تطلب ؟ فقال : أبا يزيد ، فأجابه : مافي البيت غير الله^(٦) ، واقراً لالسلي زعمه أن داود والخضر ، لقيا إبراهيم بن آدم - وهو « بوذا » الصوفية - وخاطباه ، وأكلا معه ، وعلماه اسم الله الأعظم^(٧) .

الجنة والنار يُبَدَّ مَنْ ؟

يزعم الدسوقي أنهما بيديه ، فيفتري : « أنا بيدي أبواب النار أغلقتهما ، وبيدي جنة الفردوس فتحتها ، من زارني أسكنته جنة الفردوس ، وما كان ولي متصلاً بالله ، إلا وهو ينجي ربه ، كما كان موسى ينجي ربه »^(٨) .

معجزات الرسل بعض كرامات الصوفية

يفتري الدباغ هذا البهتان الجوسى ، فيقول : « كل ما أعطيه سليمان في ملكه

(١) ص ٧٣ ج ٢ الإبريز للدباغ

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم النوبى توفى سنة ٢٤٥ هـ

(٣) سيأتيك زعم الدباغ أن روح القطب تدير ٣٦٦ جسدا .

(٤) هو طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي توفى سنة ٣٦١ هـ

(٥) هذا دين الصوفية ، فابن عربى يقول :

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ، ودون الولي

(٦) اقراً كل هذا في الكواكب الدرية للمناوى في تراجم من ذكرت أسماءهم

(٧) ص ٣٠ ، ٣٤ الطبقات للسلي ، ص ٨ الرسالة للقشيري .

(٨) اقراً ترجمة الدسوقي في الطبقات للشعراني .

وما سخر لداود ، وما أكرم به عيسى ، أعطاه الله وزيادة لأهل التصرف من أمة النبي ، ومكنهم من القدرة على إبراء الأكف والأبرص . وإحياء الموتى ^(١) »

النَّشْلُ كرامة صوفية

وأبى الدباغ إلا أن يفضح أقطابهم بهذه الكرامة ، كرامة السرقة خلصة ، فيقول : « إن الولي صاحب التصرف ، يمد يده إلى جيب من شاء ، فيأخذ منه ماشاء من الدراهم ، وذو الجيب لا يشعر ^(٢) » والدباغ قطب صوفي معبود .
أأدلك على ردغة الوثنية في تلك الشَّرَكِيَّات ، أم تراها في غير حاجة إلى دلالة ؟ وكذلك الظلام ، وكذلك النَّتْن ، وكذلك اليَحْمُومُ الخائض .

الله - وتعالى علواً كبيراً - وعرشه وكرسيه ، ملكه وملكوته ، والعالم كله إنسه وجنه ، حيوانه وجماده ، حُلُوِيَّةٌ وسفلية . مشاعر الناس وخواطرهم وإرادتهم وعواطفهم وقلوبهم ونفوسهم . كل أولئك في دين الصوفية الآنم تحت قبضة طواغيتها ، وبطشهم ، وطُوعَ سعار غرائزهم الضارية ، وجنون شهواتهم المنهومة الآبقة .

القطب وأعوانه

أسطورة خرافية ، تنزع إلى تجريد الله من الربوبية والإلهية ، وتَحْلِمُهُمَا على وَهْمٍ باطل سُمِّيَ في الفلسفة : « العقل الأول » وفي المسيحية : « الكلمة » وفي الصوفية : « القطب » .

والقطب : هو أكل إنسان متمكن في مقام الفردية ، أو الواحد الذي هو موضع نظر الله في الأرض في كل زمان ، عليه تدور أحوال الخلق ، وهو يسرى في السكون ، وأعيانه الباطنة والظاهرة سرعان الروح في الجسد ، ويفيض روح

(١) ص ١٢ الإبريز للدباغ ج ٢

(٢) ص ١٤ المصدر السابق .

الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، وقد يسمى « الفوت » باعتبار النجاء الملهوف إليه ^(١) .

القطب القديم والقطب الحادث

والقطب عند الصوفية نوعان . أحدهما : حادث أو حسي ، وهو ماسبق الحديث عنه ، والآخر قديم ، أو معنوي ، وهو الحقيقة الحمدية . يقول القاشاني : « وهو - أى القطب - إما قطب بالنسبة إلى مافى عالم الشهادة من المخلوقات يستخاف بدلا منه عند موته من أقرب الأبدال منه ، أو قطب بالنسبة إلى جميع المخلوقات في عالم الغيب والشهادة ، ولا يستخاف بدلا من الأبدال ، ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق ، وهو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة لا يسبقه قطب ، ولا يخلفه آخر ، وهو الروح المصطفوى المخاطب بلولاك ، لما خلقت الكون ^(٢) » .

حقيقة القطبانية

يقول كاهن التيجانية الأكبر أحمد : « إن حقيقة القطبانية ، هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً ، حيثما كان الربُّ إلهاً ، كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل مَنْ له عليه ألوهية لله تعالى ، فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب ، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود ، فترى الكون كله أشباحاً

(١) انظر جامع الأصول للكشفاني والتعريفات للبرجاني تحت مادة « قطب »

(٢) ص ١٠٣ ج ٢ كشف الوجوه الغر للقاشاني ، وقد ادعى ابن القارض لنفسه

أنه القطب القديم وقطب الأقطاب

في دارت الأفلاك ، فاعجب لقطبها الـ محيط ، والقطب مركز نقطة ولا قطب قبل عن ثلاث خلفته وقطبيسة الأوتاد عن بدلية

لاحركة لها ، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً ، ثم تصرفه في مراتب الأولياء ، فلا تسكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه ، فهو المتصرف في جميعها ، وَالْمِمْدُ لأربابها ، به يُرْحَمُ الوجود ، وبه يبقى الوجود في بقاء الوجود درجة لكل العباد ، وجوده في الوجود حياة لروحه الكلية وتنفس نفسه يُمَدُّ الله به العلوية والسفلية . ذاته مرآة مجردة ، يشهد فيها كل قاصد مقصده ^(١) .

علم القطب

يتحدث تيجاني عنه بقوله : « وما أكرم الله به قطب الأقطاب ، أن يعلمه علم ما قبل وجود الكون ، وما وراءه ، وما لانهية له ، وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات ، وأن يخصه بأسرار دائرة الإحاطة ، وجميع فيوضه ، وما احتوى عليه ^(٢) » .

خصوصية القطب

« قطب الأقطاب في كل وقت لا تقع بينه وبين الرسول حجابية أصلاً ، وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب ، ومن حضرة الشهادة ، إلا وعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه ، لا يحتجب عنه في كل لحظة من اللحظات ^(٣) » وحسبك هذا من تلك الأسطورة ^(٤) التي ألهتها الصوفية ، وجملت منها رباً أكبر يُعْبَد ، وَيُحْشَى ، وَيُرْهَب ^(٥) .

(١) ص ٨١ وما بعدها جواهر المعاني .

(٢) ص ٧٩ ج ٢ المصدر السابق .

(٣) ص ٦٣ المصدر السابق .

(٤) كتبت عنه مقالاً ضافياً في مجلة الهدى النبوي

(٥) العجيب أن ابن الحاج - وله سابقة فضل في محاربة البدعة - يؤمن بهذه

الأسطورة ويقول عن القطب « إن الله تعالى يديره في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا =

أعوان القطب

أولاً: الإمامان ، وهما بمنزلة الوزيرين له ، أحدهما لعالم الملك ، والآخر لعالم الملكوت . ثانياً : الأوتاد الأربعة : وقيل هم ثلاثة ، كلما مات قطب الوقت أقيم مكانه واحد منهم ، وعلمهم فيض من قطب الأقطاب ، وإن ماتوا ، فسدت الأرض ثالثاً : الأبدال : والبذل حقيقة روحانية تجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن الذي رحل عنه وليه . وعددهم أربعون ، اثنان وعشرون منهم بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ! رابعاً : النجباء . وهم دون الأبدال ومسكنهم مصر ! وعلمهم أن يحملوا عن الخلق أنقاعهم وعددهم سبعون ! خامساً النقباء وعددهم ثلثمائة ، وقيل خمسمائة ، وهم الذين يستخرجون خبايا الأرض (١) .

تلك هي مملكة الأساطير التي ابتدعتها خرافات الصوفية الحقى ، وخیالاتهم المتخيلة (٢) ؛ ليستبدوا الخلق لما يشتهون ، وليجعلوا منهم أحلاماً رهبة منهم ، وخوف مذعور . تلك هي المملكة التي ابتدعتها أوهام الصوفية لإزاء ملكوت الله ؛ لينصوبوا بها من الأحياء أقواتهم وإيمانهم ، ومن اللوى أكفانهم ! ترى ماذا بقى لله وملائكته ورسله !؟ الله أكبر ، له الملك في الدنيا وفي الآخرة .

خاتم الأولياء

وكما جعل الله للنبيين خاتماً ، جعل الصوفية للأولياء خاتماً ، والعنكبوت الأول

تتـ كدوران الفلك في أفق السماء» انظر ص ٣٢٨ مشتمى الحارثي لمحمد بن الحضر الشنقيطي . وهكذا تمثل الصوفية بسمومها كل من يظن بها ظناً واحداً من خير !! (١) المصدر السابق ، ص ٩٣ جامع الأصول للكشخاني .

(٢) بل تزعم الصوفية أن كل صوفي يستطيع أن يكون قطباً يتصرف في الوجود . يقول أحدهم وهو يبيّن الصوفية بتيّجة سلوك الطريق « وصرت أنت قطب الوجود تدوره بيدك كيف شئت » ص ١١٤ ج ١ الفتوحات الإلهية ط ١٩١٣ م

الذى سال لعابه بهذه الأسطورة هو الحكيم الترمذى^(١) ، قال السلى : « نفوه من ترمذ ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب « ختم الولاية » ، وقال : إنه يقول : « إن الأولياء خاتماً ، كما أن للأنبياء خاتماً ، وأنه يفضل الولاية على النبوة^(٢) » ويقول ابن تيمية عنه : « فى كلامه من الخطأ ما يجب رده ، ومن أشنعها ما ذكره فى ختم الولاية ، مثل دعواه فيه أنه يكون فى المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبى بكر وعمر وغيرهما ، ومنها ما ادعاه من خاتم الأولياء الذى يكون فى آخر الزمان ، وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء ، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء^(٣) » .

وتوالى عناكب الصوفية على هذه الأسطورة ، حتى قتلت بها ذهاباً من الخلق كثيراً . قال ابن عربى - وهو يتحدث عن علم وحدة الوجود : « وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل ، وخاتم الأولياء ، وما يراه أحد من الأنبياء ، أو الرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولى الخاتم ، حتى إن الرسل لا يرونه - متى رأوه - إلا من مشكاة خاتم الأولياء ، فإن الرسالة والنبوة - أعنى نبوة التشريع - تنقطعان ، والولاية لا تنقطع أبداً ، فالمرسلون من كونهم أولياء ، لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء^(٤) »

تفضيل خاتم الأولياء على خاتم النبيين

زعم ابن عربى فى النص الذى نقلته عنه آنفاً أن الرسل لا يستمدون أشرف علومهم إلا من خاتم الأولياء ، وهذا يستلزم تفضيل الولى الخاتم على الرسل بعامة

(١) هو غير صاحب السنن ، فهو محمد بن على بن الحسن بن بشير أو « بشر » الترمذى الملقب بالحكيم عاش إلى حدود ٣٢٠ هـ

(٢) ص ١٧٠ ج ٢ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة طبع الهند .

(٣) ص ٧٩ وما بعدها رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين لشيخ الإسلام ابن تيمية

(٤) ص ٦٢ ج ١ فصوص الحكم ط الحلبي .

وعلى النبي الخاتم بخاتمة ، يقول ابن عربي : « ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللبن ، وقد كمل سوى موضع لبنة ، فكان صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة ، غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها إلا كما قال لبنة واحدة ، وأما خاتم الأولياء ، فلا بد له من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثله به رسول الله ، ويرى في الحائط موضع لبنتين ، فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين ، فيكمل الحائط . . كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه ؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه ، فإنه آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول » ويقول : « وفيما من يأخذه عن الله ، فيكون خليفة عن الله بعين ذلك الحكم ^(١) » فضل خاتم الأولياء بأمرين ، أولهما : أخذه عن الله مباشرة ، أما خاتم النبيين فيأخذ عن الله بواسطة الملك . الأمر الآخر : هو أنه على يديه تم الدين ، فابن عربي يشير بهرائه ذاك إلى الحديث الصحيح الذي مثل فيه رسول الله مابعث به هو والأنبياء من قبله بيت كانت تنقصه لبنة ، وأنه صلى الله عليه وسلم ، هو الذي جاء بتلك اللبنة ، يعنى أنه هو الذي أتم الله به على المسلمين دينهم .

ولكن ابن عربي يزعم أن الدين كان ناقصاً لبنتين ، فأتى محمد صلى الله عليه وسلم بواحدة ، وأتى خاتم الأولياء بهذه ، ولبنة أخرى ، فلم يكمل دين الله إلا على يد خاتم الأولياء أين هذا الإلفك من قول الحق جل وعلا : (٥ : ٣ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) ١٩ .

ادعاء كل شيخ أنه الخاتم

يقول ابن تيمية : « ثم إن هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة ، لاحقيقة لها ، وصار يدعيها لنفسه ، أو لشيوخه طوائف ، وقد ادعاه غير واحد ، ولم يدعها

(١) ص ٦٣ ، ١٦٣ المصدر السابق .

إلا مَنْ في كلامه من الباطل ، ما لم تقله اليهود ، ولا النصاري ، كما ادعاها صاحب
الفصوص^(١) » وحق ما يقول شيخ الإسلام - وعهدنا به الصدق والأمانة البالغة
في النقل - فابن عربي يزعم في الفتوحات المسكية أنه رأى رؤيا ، ثم يقول :
« ثم عبرت الرؤيا بانتهاء الولاية بي^(٢) » وادعتها التيجانية لشيخها أحمد . قال أحد
أتباعه « الفصل السادس والثلاثون في ذكر فضل شيخنا ، وبيان أنه خاتم
الأولياء ، وإمام الصديقين ، مُعِدُّ الأقطاب والأغواث . . . »^(٣)

لماذا فُضِّل خاتم الأولياء ؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثم صاحب الفصوص وأمثاله ، بنوا الأمر
على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبي يأخذ بواسطة الملك ؛ فلهذا صار خاتم
الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة^(٤) » وابن تيمية في فهمه الدقيق ، ووعيه
الكامل ، وأمانته التي تستعصي على التهم يقرر الحق في قوله ، فقد نقلت لك عن
ابن عربي ما يؤيد الحق الذي قرره ابن تيمية . وهاهو البسطامي يقول لأهل الشريعة :
« أخذتم عليكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت^(٥) »
ويقول : « خضنا بحراً ، وقف الأنبياء بساحله^(٦) » وقال ابن عربي : علماء
الرسوم - يعنى أهل الشريعة - يأخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة ، فيبعد
النسب ، والأولياء يأخذون عن الله ، ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة منه ،
وعناية سبقت لهم عند ربهم^(٧) » يعنى أن أتباع الشريعة الإسلامية ، إنما يأخذونها
عن أناس طواهم الموت ، أما الصوفية ، فلهن الصلات المباشرة مع الله ، يأخذون
عنه من غير واسطة ملك أو نبي أو رسول ، وبهذا كفروا بشريعة محمد ، ومهدوا
لأتباعهم الكفر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) ص ٦٣ وما بعدها رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين .

(٢، ٣) ص ١٥ ج ٢ ، ص ٥ رماح حزب الرحيم .

(٤) ص ٦٤ رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين .

(٥، ٧) ص ٢٤٦ السكواكب الدرية للمناوى .

(٦) ص ٦٣ ج ٢ جواهر اللعاني .

الديوان الصوفي

للصوفية أسطورة تزعم أن في الوجود ديواناً باطنياً ، يحكم فيه القطب الأكبر بما يشاء ، ويُصَرَّف - هو من ومعه من أقطاب صغار - أقدار الوجود . إنه عند الصوفية محكمة عليا يحاكم فيها الأقطاب أقدار الله ، دون أن تستطيع أية قدة إلهية تَسْتَحْكَمُ لها ، وقد وصف الدباغ هذا الديوان ، وفصل مهامه ، فلنترك له الحديث عن هذه الخرافة .

مكان الديوان وقضاته

يقول الدباغ : « الديوان يكون بغار حراء ، فيجلس النوث خارج الغار ^(١) ومكة خلف كتفه الأيمن ، والمدينة أمام ركبته اليسرى وأربعة أقطاب عن يمينه ، وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس ، وثلاثة أقطاب عن يساره ، واحد من

(١) سجل هذا على الصوفية الدرويش الصوفي الإنجليزي للمستشرق ادوارد لين ، فقال : « يعتقد أن سطح السكبة مركز القطب الرئيسي ، ويفضل مركزاً آخر بباب القاهرة المسمى : باب زويلة ، ويسمى العامة باب زويلة : « المتولى » ؛ لاعتقادهم أنه مركز هذا الكائن المجهول ، ومن وراء مصراعي الباب العظيم الذي لا يقفل أبداً فضاء صغير ، يقال : إنه مكان القطب ، ويدق المصابون بالصداع مسماراً في الباب لفك السحر ، كما أن المصابين بوجع الأسنان يخلعون سنّاً ، ويولجونها في أحد شقوق الباب ، وللقطب في مصر مراكز أخرى أقل شهرة ، أحدها في قبر السيد البدوي ، والآخر في مدينة المحلة ، ويعتقد أن القطب ينتقل من مكة إلى القاهرة أو من مكان إلى آخر في لحظة ، ويروي الكثير من المسلمين أن إلياس ويخلطه العامة بالحضر كان قطب زمانه ، وأنه بولى الأقطاب المتعاقبين ؛ إذ يقررون أنه لم يمِت . ويزعمون أنه شرب من عين الحياة ، ويكلف بعض الأولياء القيام ببعض الأعمال الشاقة ويقال لهم : أهلب الدرك » ص ١٦٣ المصريون المحدثون وقد جاء هذا الإنجليزي إلى مصر في القرن ١٩ ، وتصوف وأخذ العهد ثم راح يسجل الحزى الخرافي لا على الصوفيين بل على المصريين عامتهم ، فانظر جنابة الصوفية على مصر والإسلام ١١

كل مذهب من المذاهب الثلاثة ، والوكيل أمامه ، وبسمى : قاضى الديوان ومع
الوكيل يتكلم الغوث « والدباغ مغربى ، ولمذهب مالك السيطرة فى المغرب ، فكان
لا بد من هذه العصبية التى جعلت الدباغ يزعم أن أربعة الأقطاب كلهم مالكية !
ترى على أى مذهب كان أولئك الأقطاب قبل مالك ؟ ! ولو أن المتكلم كان
حنفياً ، لقال : إنهم حنفيون !

أهل التصريف

« والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث ، وكل واحد من الأقطاب
السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته ! » .

الذين يحضرون الديوان ولقبتهم

« ويحضره النساء وصفوفهن ثلاثة ، ويحضره بعض الكمل من الأموات ،
ويكونون فى الصفوف مع الأحياء ، والأموات حاضرون فى الديوان ينزلون إليه
من البرزخ يطيطرون طيرا ، بطيران الروح ، وتحضره الملائكة والجن ، وفى بعض
الأحيان يحضره النبي ، وكلامه مع الغوث ، وأما ساعة الديوان ، فهى الساعة التى
ولد فيها النبي ، والأنبياء يحضرونه فى ليلة واحدة ، هى ليلة القدر ، فيحضره فى
تلك الليلة الأنبياء والمرسلون ، ويحضره الملائكة الأعلى من الملائكة المقر بين ويحضره
سيد الوجود معه أزواجه الطاهرات ^(١) ، ولغة أهل الديوان هى السريانية ^(٢) ؛
لاختصارها ، ولأن الديوان يحضره الأرواح والملائكة ، والسريانية هى لغتهم .
والصغير من الأولياء يحضره بذاته ! » .

(١) هكذا فى وسط الرجال ؟ ! ومع عظم شأن ذلك الديوان ، فإن الدباغ يقول
عن نفسه : « إيش هذا الديوان ؟ والأولياء الذين يقيمونه كلهم فى صدرى ١١ وإنما
يقام الديوان فى صدرى والسموات والأرض بالنسبة إلى كالموزونة فى فلاة من
الأرض » ص ٨ ج ٢ الإبريز .

(٢) تدبر السكيد الحنفى للعربية لغة القرآن ١١

عدد أجساد القطب الكبير

« وأما القطب الكبير ، فلا تحجير عليه ، فإنه يدبر على رأسه ، فيحضره ، ولا يغيب عن داره ؛ لأن الكبير يقدر على التطور على ما شاء من الصور ، ولكال روحه ، تدبر له إن شاء ثلثمائة وستة وستين ذاتاً^(١) » .

تقاتل الأقطاب

« وقد يغيب الفوثن عن الديوان ، فلا يحضره ، فيحصل بين أولياء الله من أهل الديوان ما يوجب اختلافهم ، فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضاً^(٢) ، وإذا حضر سيد الوجود مع غيبة الفوثن ، فإنه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وفاطمة وتجلس فاطمة مع جماعة من النسوة اللاتي يحضرن الديوان » .

فيم يتصرف الأقطاب ؟

« وأهل الديوان إذا اجتمعوا فيه ، اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد ، فهم يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم المستقبل واللييلة التي تليه^(٣) ، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية ، والعلوية ، وحتى في الحجب السبعين ، فهم الذين يتصرفون فيه ، وفي أهله ، وفي خواطرم ، وما تهجس به ضمايرهم ، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف^(٤) ،

(١) أى بعدد أيام السنة الكبيسة !! فله في كل يوم إذن جسد جديد !!

(٢) يسفكون الدم ظلماً ، ومع هذا فهم أقطاب كبار يتصرفون في أقدار الوجود والله يقول : (٥ : ٣٣ من قتل نفساً بغير نفس ، أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً) .

(٣) والله يقول : (٣١ : ٣٤ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً) .

(٤) وصف الله نفسه بأنه عليم بذات الصدور ، وقد وصف الصوفية أقطابهم بهذا وأكثر منه ، فماذا تقول فيهم ؟

وإذا كان هذا في عالم الرقا الذى هو فوق الحجب السبعين التى هى فوق العرش ، فما بالك بغيره من العوالم ١٩ .

الاعتقاد الديوان فى غير الغار

« ويكون الديوان فى موضع آخر غير غار حراء مرة فى العام فى موضع يقال له : زاوية أسا / خارج أرض سوس ، بينها وبين أرض غرب السودان ، فيحضره أولياء السودان ، ويجتمعون فى غير هذين الموضعين السابقين ؛ لأن الأرض لا تطيقهم ^(١) » .

هذا هو الديوان الصوفى ، كما وصفه كاهن صوفى كبير نقلته بلفظه نفسه ، بل قل : هذه هى أسطورة الوثنية الخبولة الحقاء ^(٢) ، وكم للصوفية مثلها من أساطير !! قتلة سفاحون سفاحون للدماء ، ينعتهم الدباغ بأنهم يتصرفون فى أقدار الله وملكوته ١٩ فماذا بقى للرب الصوفى ، وهذا ملكه كله فى قبضة السفاكين ١٩ !

(١) انتهى مختصراً بلفظه من الإبريز للدباغ ج ٢ من ص ٢ إلى ص ٩ ط ١٢٩٢ هـ
(٢) دمغهم بهذا الخبال مستشرق مسيحي ، فقال : « وللاولياء حكومة باطنة يرون أن عليها يتوقف نظام العالم ، ورأس هذه الحكومة الأعلى يسمى : القطب ، وهو أرفع صوفية عصره ، وإليه رئاسة الاجتماعات التى يعقدها فى انتظام مجلس شورا الموقر ١١ وأعضاء هذا المجلس لا يعوقهم عن الحضور حواجز الزمان والمكان ، وإنما يأتون من أرجاء الأرض فى لحظة طرف ، يعبرون البحار والجبال والصحارى فى يسر بالغ ، ودون القطب درجات مختلفة من الأولياء ، وقد عدها المهجورى فى ترتيب تصاعدى كما يلى : الأخيار ال ٣٠٠ ، فالأبدال ال ٤٠ ، فالأبرار ال ٧ ، فالأوتاد ال ٤ ، فالنقاء ال ٣ ، وهؤلاء جميعاً يعرف الواحد منهم الآخر ، ولا يعمل الواحد منهم إلا برضى الباقين ، وعمل الأوتاد الطواف حول الأرض جميعاً فى كل ليلة ، فإن كان هناك مكان لم تقع أعينهم عليه ، بدت فيه فى اليوم الثانى شائبة نقص ، فيخبرون القطب حتى يجعل همه إلى ذلك المكان المشوب ، فيبرأ مما أصابه بفضل القطب » ص ١١٩ الصوفية فى الإسلام لنيكلسون ترجمة نور الدين شريعة .

بين الجاهلية وبين الصوفية

كانت الجاهلية في إسفافها الوثني أقل حماقة من الصوفية ، وتَدَبَّرْ ما قصه الله عن الجاهلية وشركها ، تجدهم كانوا يوحدون الله في ربوبيته توجيهاً حُرمت حتى من مثله قلوب الصوفية ، إن كانت لهم قلوب ! يقول تعالى : (٢٣ : ٨٤ - ٨٩ قل : لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ سَيَقُولُونَ : لِلَّهِ . قل : أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ ! قل : مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ؟ سَيَقُولُونَ : لِلَّهِ . قل : أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟ ! قل : مَنْ يَدُّهُ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ يُجِيرُ ، وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ ! سَيَقُولُونَ : لِلَّهِ . قل : فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ؟ ! » . هذا دين الجاهلية ولكن الله لعنهم لعناً كبيراً بشركهم ، لأنهم أشركوا بالله في إلهيته ، فتضرعوا إلى غيره بالدعاء .

أما الصوفية ، فتدين بالقتلة ، والجرمين ، وأوغاد الفاحشة أقطاباً يتصرفون في الوجود ، ويسيطرون بقهرهم على سنن الله الكونية ونواميس الوجود التي فطرها الله وحده ، وهو الذي يصرفها وحده ، ويتحكمون في أقدار الله ، فلا ينفذ منها إلا ما يشتهون ، فأى الشركين أظنى بغيًا ، وأخبت رجساً ؟ لقد وحدث الجاهلية الله في ربوبيته ، وأشركت به في ألوهيته ، أما الصوفية ، فنفتها عنه ، وأثبتتها للمفاليك الصعاليك ، بل انحدرت حتى نفت وجود الله الحق ، ونعتته بالعدم الصرف ، أفيمكن أن يقاس إلحاد الصوفية ، بشرك الجاهلية ؟ أم ترى هذا ليلاً غاسقاً ، وترى الإلحاد الصوفي دياجير تطنى ، وتتراكم ، وتطول ، حتى لا يعرف الأبد فيها بدايته ، أو منتهاه ؟ ! أجيئوا يا كهنة الصوفية ! ولكن ، لا : فحسبي أن الجواب مُسْفِر الصُّبْح ، وضئ البيان ، قوى الدلائل !

الفصل السادس

« التصوف العملي »

لقد افترضوا لك أن التصوف نوعان : نظري أو إشراقي ، والغاية منه معرفة الله « بالأذواق » واكتناه أسرار ربوبيته بالمواجيد ، فكانت نتيجته أن دان مؤتفكوه بالوحدة التامة بين الخلق والخالق ، والنوع الآخر منه هو العملي ، وهو قائم على الرياضات والمجاهدات أى على الذكر والزهد والعبادة . ومحاولة التفرقة بينهما ، كالتفرقة بين الخبز وريحه الممتن ، فالنظري من التصوف وليد العملي ؛ لأن النظرية وليدة التطبيق ! وقد بينا لك دين الإشراقيين ، فلنأتك بنبا الآخرين !

دعوى الزهد

زعمت الأوهام أن الصوفية برّ زهادة ، وقداسة روحانية . يعرجان بالروح إلى الملأ الأعلى ، فدعى إذن أسائل كل صوفى : أليس فى الإسلام ما تبلغ به النفس كمالها وسعادتها النصرة ، وما تتألق به الروح ، وتسمو إلى سماء الإيمان الحق ، والنورانية الصافية ، وما ينبغ به الفكر ، فيدرك الحق إدراكا لا يشوبه ريبٌ وهم ، ولا يريبه ظن ، وما يصفو به القلب ، فيفيض بالخير والرحمة والمحبة ؟ أحسبت الإسلام غير مجدٍ فى تزكية الإنسان والتسامى به ، حتى تفر منحدرًا إلى الصوفية ؟ إن فى إخلاص التوحيد ، وصدق الإيمان ، وطيب الإحسان فيما أنعم الله به لواحاة وريفة الظل ، فناء الخميل ، ثمرة النبع فى صحراء الحياة ، تتّرع من سلسلها العذب ما يجعل الحياة حوليك مجالى خير وسلام وصفاء ، ومجانبى نعيم روحى وسعادة نفسية . عبادتك الله كأنك تراه ، تجريدك لك من نوازغ الشر ونوازعه ، وتزكية لك مما يضل به الفكر ، أو تطيش الغريزة ، أو تزل العاطفة ، أو يخذم الشعور بحق الحياة الطيبة . إنها تطلقك فى رحاب الوجود جهاداً دائماً دائباً فى سبيل الحق ، وعملاً صالحاً

تنشد به رضا الله وحده ، وتحقيق الخير العام للإنسانية ، وتسييحاً وتقديساً لله وحده ، لا امتزاجاً ، أو اتحاداً ، كما تزعم الصوفية ! .
ذلك بعض مافى الإسلام ، فماذا فى الصوفية ؟! فيما ذكرت لك من قبل الجواب الصادق .

إن الزهد الذى تبشر به الصوفية - حين تريد اغتصاب اليتيم والمسكين^(١) - ليس من شعائر الإسلام ، ولا من شرعته فى شيء ، مهما حاولت الصوفية توشيته ؛ ليلبدو لضحاياها شعيرة دينية سامية ! .

فمعنى الزهد تحقير الشيء ، والتهوين من شأنه فى اللغة التى شرفها الله ، فنزل بها كتابه ، وبهذا المعنى وردت فى القرآن ، ولم ترد مادتها فيه إلا مرة واحدة . قال تعالى يقص شأن السيارة الذين باعوا يوسف : (١٢ : ٢٠) وشرؤه بشمن بنحس دراهم معدودة ، وكانوا فيه الزاهدين) تأمل هذه الكلمات « بنحس » و « دراهم » ومعدودة » ثم تأمل ورود كلمة « الزاهدين » بعدها ؛ لتدرك جيداً حقيقة معناها . فهو إذن - وهذا معناه - مما يمجته الله ورسوله ، ويبرأ منه كل مؤمن بالله ورحمته وحكمته ؛ إذ معناه تحقير نعم الله ، والتهوين من شأنها الأعظم .

إن فى الزهد الذى تزعمونه القضاء على الفرد ، وعلى قوى الجماعة الإسلامية ، فيه صرف للهمم عن الجِد والسعى فى سبيل الخير للفرد والجماعة . والاستعمار القديم والحديث يعمل لنشر هذه الخرافة فى الشرق وحمل أهله على الإيمان بها ؛ ليعيش أهله أذلاء النفس مهزولى القوى ، يرضون باللقمة الساغبة من فئات المستعمرين ؛ عالة على مستعبيدهم ، يجرعونهم المسكنة والصغار ! أشباحاً هزيلة ، وظلالاً كابية لِرُكَّام من الجيف !! وقد صدق الشرق فى أحقاب من تاريخه خرافة الاستعمار

(١) من أعجب ماترى . أن يدعو الشيوخ إلى الزهد . وهم يتكالبون على كل شيء خبيث ، بدعون سوامهم إلى الزهد ؛ ليكون لهم هم وحدهم كل شيء . أفلا يدنون أنفسهم إلى التقوى ؟!

الصوفي ، فهو من قمة المجد والقوة والحرية إلى حضيض المهانة والعبودية !
نبشوني ، ماذا يحدث لو اتخذ كل مسلم من الزهد الصوفي شريعة له ؟! سيكون
المسلمون - وقد حدث - فريسة هينة سهلة ، اكمل ناب باغية ، ومضغة محتقرة
يمجها كل مشفر ! وهذا هو هدف الاستعمار ، وريبته الصوفية التعسة ! في
الإسلام الذي أتم الله به على عباده النعمة ، وأكمل الدين ، كلمة لو أخذ بها
المسلمون ، لكانوا مع الله وحده قلوباً عابدة ، ومع إخوانهم قلوباً محبة تنزع دائماً
إلى الإيثار والفداء والتضحية : إنها « التقوى » تتقى الله ، فتطيعه طاعة قدسية ،
وتتبع رسوله . تتقى الله ، فلا تغضب مائيس لك . تتقى الله ، فتعمل لنفسك
مايزكيها ، ولنيرك مايسعده ، ويحفظ عليك وعليه الحياة (٨ : ١) فاتقوا الله ،
وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله (ولجلال هذه الشعيرة الإيمانية كان
لها من الله هذا الجزاء الأعظم) (٦٥ : ٢ ، ٤) ومن يتق الله ، يجعل له مخرجاً . . .
ومن يتق الله ، يجعل له من أمره يسراً) .

(٧ : ٣٥) فمن اتقى ، وأصلح ، فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون) .
(٧ : ٩٦) ولو أن أهل القرى آمنوا ، واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من
السماء والأرض) (٣ : ٧٦) بلى من أوفى بعهده ، واتقى ، فإن الله يحب المتقين)
(١٦ : ١٢٨) إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون) .
فلماذا رغبتهم عن « التقوى » إلى « الزهد » وهو تراث « الماوية » ؟ وقد هولتم
به ، كأنما هو وحده السبيل لهداية الإنسانية الحائرة ؟ ترى هل ترون في القرآن
للزهد ذكراً ، أو أجراً ؟ ! .

أصل الزهد الصوفي

أتدري عن اقتراف الصوفية دعوى الزهد الذي يحقر نعم الله ، ويعمل لتحطيم
كل مقومات الجماعة الإسلامية ؟ ! .

إنهم بَشَرُوا بفتنة غيَّة عن المجوسية المانوية التي آمنت بألوهية الخير والشر ،
و بأن هذين المتقابلين في قيم الأخلاق امتزجا بربها الأكبر امتزاجاً تاماً ، وأن
هذا الرب « المانوى »^(١) « الثنائى الطبيعة » ، لن يستطيع التخلص من الشر الذى
يقوم ذاته ، أو النجاة منه إلا بفناء العالم ، فوصى « مانى » مُسَيِّلَهُ هذا الدين
بالزهد وعدم الزواج ؛ لينحدر مسرعاً إلى هوة العدم . استمدته من « الغنوصية »^(٢)
التي زعمت أن غاية الإنسانية العظمى هي فى الاتحاد بالرب !! الرب « الغنوصى »
الذى صنعه الهوى ، وأمدته الأساطير بالوجود الأسطورى ! .

(١) نسبة إلى مانى بن فانك متنبئ فارسى ، وقد وصى أتباعه بالزهد المسرف
فى الغلو . وبعدم الزواج ؛ ليفنى العالم ، فيستطيع الرب التخلص من طبيعة الشر
الكامنة فيه . وعنه استمد الصوفية ذلك . يقول أبو طالب المكي مفترياً على رسول الله
هذين الحديثين : « إذا كان بعد المائتين ، أبيضت العزبة لأمتى » أى عدم الزواج .
وقال : « لأن يربى أحدكم جرو كلب ، خير من أن يربى ولدا » نفس الدين ،
ونفس الهدف المانوى ! انظر ص ١٥٠ ج ٤ قوت القلوب ط ١٣٥١ ، تجمد المانوية
الصرفة ، ويقول الجنيد : « أحب للبتيء ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، وإلا تغير
حاله ، التكسب وطلب الحديث والتزوج ، وأحب للصوفى ألا يقرأ ولا يكتب ؛ لأنه
أجمع لهم » إذا كان لا يتكسب وهو شباب ، فحق ؟ وإذا كان لا يطلب حديث
الرسول ، فماذا ؟ وإذا كان لا يتعلم ، فأى شيء يكون هو ؟ لو أننا نقفنا وصايا الجنيد
لم تبق للأمة الإسلامية باقية . انظر ص ١٣٥ ج ٣ المصدر السابق .

(٢) معناها الاصطلاحي إدراك الأسرار الربانية بواسطة الكشف ، والذي
أعطاه هذا المعنى طائفة من المفكرين ، عاشوا فى القرون الأربعة الأولى من ميلاد
المسيح ، ومنهم يهود ومسيحيون وثنيون . وأهم ما يدعون به هو الثنائية بين المادة
والدات الإلهية ، ومحاولة اجتياز الفاصل بينهما عن طريق سلسلة من الوسطاء ، والمادة
عندهم هي أصل الشر ، والسبب الذى من أجله انحطت طبيعة الإنسان ، ولكن
الإنسان يستطيع عن طريق الخلاص « أى الزهد » أن يعود إلى الدات الإلهية
والأصل الأول . انظر ص ٧٨ التراث اليونانى للدكتور بدوى .

هذا هو أساس الزهد الصوفي ، وهدفه ، عليه قام ، ويقوم ، وهو كما ترى غير التقوى الإسلامية . غيرها في كل شيء ، غيرها في المعنى والروح والنسب والغاية ، فغاية الزهد الصوفي تدمير الجماعة الإسلامية ^(١) ، وغاية التقوى سُمُو بالفرد ، وسمو بالجماعة ، وتشييدٌ لصروح العدالة والحب والإيثار والإخاء الكامل ، وبالرغم مما تأفك الصوفية من دعاوى الزهد ، فإننا نرى كهانها عدواً خصيماً للقناعة ، فتوجههم ضراوة الذئب إلى الفتك بالحلان الوديدة البريئة ، ويثيرهم الجشعُ إلى سلب ما على فم اليتيم .

وإلا فاهدني إلى جواب ما أسألك عنه . أَيُحَسَبُ قَانِعاً من يغصب قوت اليتيم ؛ ليتخيم به بطونا تشكو البطنة ؟ من يهتك عن أيّامى المسكنة ، وأرامل الفقر أستارهن ؟ ليَجعل منها للأصنام عمام ضخمة كالداهية ، منتفخة كبطون السُّحُتْ ، سوداء كحفد المشرك ، حمراء كالجريرة المسفوحة ، خضراء كالعشب السام ، يبيضاء كالصفوف ؟ من ينصب أفتات من الغارمين ، ثم يأكله ناراً من الربا الجائر ؟ من تحبُّ في الحرير ، ويدب بنعليه على الطنافس ، ويزعج الهامدين بأبواق سياراته ، وتضج حانات الليل من عربدته ^(٢) ، ودراويشُه من حوله

(١) يتحدث جولد زيهر عن أثر الزهد الصوفي في تغيير النظر إلى المثل العليا للمسلمين : « تغير النظر إلى المثل الأعلى للحياة الإسلامية ، فأصبح ينظر إليه من وجهة تخالف تلك التي أقرتها تعاليم المذاهب السنية ، وهكذا أثر الصوفيون على الجماهير الخاضعة لنفوذهم ، فقل إعجاب الناس بتلك السمة العسكرية لأبطال الإسلام — والشهداء الأقدمون ما كانوا إلا من فئة المجاهدين — فانصرفوا عنها ، ولولا وجوههم نحو صور الزهاد الشاحبة وأجسام العباد الهزيلة والرهبان المنقطعين في الصوامع ، بل إن الأبطال الأقدمين في عصور الإسلام الأولى الذين كانوا مثلاً يحتذى ، صار لزاماً عليهم أن يحصلوا على صفات البطولة الجديدة ، أي أنهم جردوا من سيوفهم ، وألبسوا أردية الصوف ١١ » ص ١٥٤ العقيدة والشرية .

(٢) قال أبو حمزة البغدادي ، مما يرأى ، ويخدع به عن حقيقة التصوف : « علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى ، ويدل بعد العز ، ويخفى بعد الشهرة =

يخبون في المآسى ، ويدبون على الفواجع ، ويقناتون بالنكبات ، ويتجرعون غصص
الدموع ، ويحتسون دم الجراح؟! ^(١)
أُبَحْسَبُ قناعة هذا النهم المُسْتَشْرِى بالحرام ، وذلك التكالُب الضارى على
سُحْتِ الأضرحة؟! انظر إلى مَنْ حَوَّلَ من كهانها ، وأرفى فيهم من يَمْسُه الزهد
حتى خطرة ذاهلة في مضغة حَيَرَى على شَفَتَيْ بَتِيمٍ محروم ، نالها بعد سَغَبٍ
يأس!!؟ ذلك هو الزهد الصوفى ، فما ذكرهم؟

الذكر الصوفى

في أعياد الوثنية التى يسمونها : موالد ، وفي معابد الأضرحة التى يسمونها :
مساجد ، وفي كهوف الدراويش ، وقد أتمحوا بطون الطواغيت بالسحت!!
في تلك الحُفَمَاتِ يقيم الصوفية حانات الرقص ، أو ما يسمونه : الذكر ، فيجلس
الشيخ بين صفيين من دراويش تعشقهم الرذيلة ، ودرويشات نفرت منهن الفضيلة
ثم يصفق بيديه اللامعتين من دسم الحرام إيداناً بيدى الذكر ، ثم يُخْرِجُ من
شفتيه ومنخره اسم الله مُلْحِداً فى حروفه وفى النطق به!! وغضون جبينه تهْمِزُ
الحياء وتَلْمِزُ التقوى ، ومُنْشِدُ القوم يطربهم بالغزل الداعر فى ليلى وسعاد ، أو
بالدُفُوف يدق عليها الشيطان ، وبالنايات تصفر فيها الشهوة ، ثم يهب الشيخ .

= علامة الصوفى الكاذب أن يستغنى بعد الفقر ، ويعز بعد الدل ، ويشتهر بعد
الحفاء « ص ٤ شرح الحكم لابن عجيبة وطبّق هذا على السادة الصوفية !!

(١) قال الأستاذ التابعى : « إننى أعرف شيخ طريقة اختار أحد بارات شارع
شريف مقرآله . ويقصد إليه فى البار المذكور أتباعه ومريدوه كلما أرادوا مقابلته
فى أمر ما ، ويخرج هو إليهم ويمد يده يلثمونها ، ورأى أمة الحُر تفوح من فمه ، وقطرات
الحُر على يده ، وبقايا « المزة » على صدره وذقنه وأكلامه . . . وبلتفت الشيخ إلى
أصدقائه الجالسين فى البار ويطلق نكتة ما . ويشترك معهم فى الضحك من عبط
المريدين والأتباع » صحيفة الأخبار ١١/٢/١٩٥٥ .

ويهب معه المريدون ، وَنَمَتَ يَمِيلُونَ يَمِنَّةً وَبَسْرَةً ، مُتَأَوِّدَةً أَعْطَاهُمْ تَأَوُّدَ
الراقصات يَلْمَحْنَ فِي أَيْدِي الرُّؤَادِ دِنَانِ الخمر وفتنة الذهب ، وما هي إلا لحظة ،
حتى تُجَنِّ هذه الأجسادُ بما فيها من رغبات مكبوتة ، مفصحة عن غليلها المحترق
بالتأوُّه الخنث ، والتمايل الخليع ، وبالأصوات المنكرة المبحوحة من عويل الخطيئة
والاستغاثة بزینب ، أو نفيسة . لا يريدون زينب الطاهرة ، ولا نفيسة العابدة .
وإنما يريدون بهما شيئاً آخر !! فَكُلُّهُ يُغْنِي عَلَى أَثْنَاءِ !! وهكذا يظلون في
اقتراف هذا الزور المُلْحَد ساعة ، أو ساعتين ^(١) ، كُلُّهُ يريد أن يثبت للعيون
الرائية في لفعة ، والزغاريد المغازلة في تَوَجُّعٍ مَشُوقٍ ، أنه حيوان قَوِيُّ الجسد !!
وبعد هذا يزعمون أنها كانت من ساعات التجلُّ !! ولكم من أُمِّ باعت قوتَ
يَتِيمِهَا ، وزوجَ سِتْرِ امْرَأَتِهِ ، ومدينٍ يَهْلِكُهُ الدِّينُ بَقِيَّةَ طَعَامِهِ فِي سَبِيلِ «شَيْشَة»
الشيخ ، و«حَشِيش» الشيخ ، و«أفيون» الدراويش . وهم يرقصون في
حانات الذكر !!

أتراني بالغت ؟ أم أني قصرت ؟ إخالك تنزع إلى اتهامى بالتقصير ، فكل
ذی بصرتهم عيناہ علی الصوفیة یعربدون فی حانات ذکرهم ، تقع عیناه علی
مشاعل الجوس ، تتوهج كَرَعَاتِ الفاجر !! وعلى الدفوف بأیدی فتية ، أسبلوا
شعورهم ، وقد لمسهم الشيطان بلهيبه ، فراحوا يتكسرون علی النغم الشُّرُودَ ،
ويهضرون غصونهم علی النظرات المتوهجة الرغبات ، وشيخُ الطريقة سعيد ؛
لأن شباك فتيته توقع في حبالها الهائمین ، هذا يحدث ، وتراه ، وتراه ، ولا نسمع
النكيرَ عليهم من أحد !! كأنما رذيلة القوم فضيلة مقدسة !!

ما هكذا ذكر الرسولُ ربه ، وما هكذا ذكر الصحابة من بعده ربهم ،

(١) يظل الراقص الصوفي يتخلع ساعة في حانة الذكر ، دون أن يحس بملل
حقى إذا وقف للصلاة « يخطط الصلوات الخمس » في خمس دقائق !! هذا لأن
الرقص الصوفي شهوة وخطيئة ، أما الصلاة فطهر وعبادة .

ماذكروه باسمه المفرد ، ولا ذكروه في ميل وتأؤد . ماذكروه بقيادة واحد منهم
ينطق بالاسم مصفقا ، وينطقون به وراءه . ماذكروه ، ولهم منشديغازل ليلي !!
ماذكروه وأصواتهم من ضجيجها تفزع الليل ، وتصك جنباته ، ماذكروه جزاء
مضنة لحم ، أو نفثة « شيشة » !! ماذكروه بالنايات والطبول والدفوف . ولكنهم
ذكروه ، كما علمهم رسوله ، أما من ذكر الله ذكر الصوفية فهم مشركو الجاهلية
(٨ : ٣٥ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)^(١) . وكفرة اليهودية
والمسيحية !!

ذكر الصوفية بدعة يهودية

جاء في الزمور التاسع والأربعين بعد المائة : « لِيَتَّبِعْ بَنُو صِهْيُونَ بِمَلِكِهِمْ
أَيْسَبَّحُوا اسْمَهُ بِرَقْصٍ ، بِدَفٍّ ، وَعُودٍ ، لِيُرْنَمُوا . . . هَلِّلُوا يَا سَبِّحُوا لِلَّهِ فِي
قُدْسِهِ ، سَبِّحُوهُ بِرَبَابٍ وَعُودٍ ، سَبِّحُوهُ بِدَفٍّ وَرَقْصٍ ، سَبِّحُوهُ بِأُوتَارٍ وَمَرْمَارٍ ،
سَبِّحُوهُ بِصُنُوجٍ مُهْتَافٍ »^(٢) .

وهكذا يذكر الصوفية !! وحسبك أن ترى حانة صوفية يذكرون بها ؛
لتشهد الصلة الوثيقة بين الذكر الصوفي ، والبدعة الجاهلية اليهودية !! ولكن الدباغ
يزعم : « أن الصوفية يهتزون يمينا وشمالا ؛ لأن الأقطاب رأوا الملائكة تفعل ذلك »
ص ٧٢ ج ٢ الإبريز .

الشيخ جاسوس القلب

يوجب الصوفية على الذكر « أن يستحضر شيخه ، وأن يستمد منه عند
الشروع فيه ، فيقول : مددك يا أستاذي ، وأن يرى أن استمداده منه ، عينُ
استمداده منه صلى الله عليه وسلم ، فإنه الواسطة إليه ، وأن يستأذن شيخه بقلبه ،
فيقول : دستور يا أستاذي ! وأن يستأذن أصحاب الطريق والقَدَم ، وهم أهل

(١) المكاء : الصفير بالهم ، أو التشييك بالأصابع والنفخ فيها . والتصدية : التصفيق

(٢) العهد القديم . المزامير ص ٦٤١

السلسلة ، فيقول : دستور يا أصحاب الطريق والقَدَم^(١) « وهكذا توجب الصوفية على « الدرويش » أن يتلطح بهذه الوثنية قبل أن يذكر الله ، وأن يستأذن كل هذه الأصنام ؛ ليتقبل الله ذكره ، ويغمره برضاه ! حُجِبَ صَمَاءُ تَمُورِ حَوْلَهَا الدِياجِبِر ، وتقصف الأعاصير ، تضعها الصوفية في طريق السالك ، حتى لا يرى شعاعاً من نور !

كيفية الذكر

« أن يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه ، وأن يبدأ بـ « لا » يمينا ، ويرجع بـ « إله » فيتوسط ، ويختتم « إلا الله » يساراً قبلة القلب ، فإن ذكر اسما مفردا كالله ، و « هو » ضرب بذقنه على صدره ، وأن يذكر مع جماعة مع رفع الصوت ، وَيَنْتَحِ الكلمة من سُرَّتِهِ إلى قلبه^(٢) » هذه « البهلوانية » المرعناء ، هي صورة الذكر الصوفي . ترى هل كان رسول الله - وهو يذكر ربه - يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه ؟ أو كان يضرب بذقنه صدره ؟ أو كان يميل يمينا ويسرة ؟ لم يفعل شيئا من ذلك ؛ لأنه نبي ؛ ولأنه رجل أبي الرُّجُولِيَّة . أمَّا رفع الصوت ، فالله يقول (١٧ : ١١٠) ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها ، وابتغ بين ذلك سبيلا) وأصل الصلاة الدعاء ، ولكن الصوفية يهذى ربهم يَعْدِلُون ! .

صيغ الذكر الصوفي

« من آداب المريد مع شيخه أن يذكر ما لقنه له أستاذه ، فلا يتجاوزه إلى غيره^(٣) » ولهذا تعددت صيغ الذكر الصوفي ، تبعا لتعدد الطرائق ، وتباين الشيوخ ، فمنهم من يذكر بالاسم المفرد ؛ ومنهم من يذكر بـ « هو هو » ومنهم

(١) انظر ص ٢٨ وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني ، ص ٨٦ -

رسالة منحة الأصحاب لأحمد بن عبد الرحمن الشهير بالرطبي .

(٢) المصدر السابق .

(٣) من رسالة الحلواني ص ٣٠

من يذكر بـ « أه أه » . وكل طاغوت صوفى يحرم على عَبْدَتِهِ أن يذكرها بغير ما أذن لهم فيه ، أو أن يذكرها بما ترقص به الطرق الأخرى ؛ لاعتقادهم أن بعض أسماء الله قد يضر ذكرها هذا ، وينفع ذاك ، أو تضر في حال ، وتنفع في حال أخرى ، والخير بما ينفع الذاكر ، أو يضره ، إنما هو الشيخ ؛ لهذا لا يستطيع « الدرويش » أن يذكر « لا إله إلا الله » إلا إذا أمره بها شيخه ، ولا ينادى ربه بـ « اللطيف ، وإلا أصابه مسٌ أو خبال ، أو كما يسمونه « لطف » ! .

اسمع إلى القديس الصوفى ابن عطاء الله السكندرى يفتى الإنم الأكبر :
« اسمه تعالى « العفو » يليق بأذكار العوام ؛ لأنه يصلحهم ، وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره ! اسمه تعالى « الباعث » يذكره أهل الغفلة ، ولا يذكره أهل طلب الفناء ، اسمه تعالى « الغافر » يُلقِّن لعوام التلاميذ ، وهم الخائفون من عقوبة الذنب ، وأما من يصلح للحضرة ، فذكره مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة ، اسمه تعالى « المتين » يضر أرباب الخلوة ، وينفع أهل الاستهزاء بالدين^(١) .

ويستمر ابن عطاء في سرد هذا البهتان حتى يستوفى أكثر أسماء الله . والله تعالى يقول : (١٧ : ١١٠ قل : ادعوا الله ، أو ادعوا الرحمن ، أياً ما تدعوا ، فله الأسماء الحسنى) ويقول : (٧ : ١٨٠ والله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها ، وذروا الذين يُلْحِدُونَ فى أسمائه ، سَيُجْزَوْنَ ما كانوا يعملون) اسمه الغافر لا يصلح إلا للعوام ! كأنما أولئك الطواغيت معصومون من الذنب ، أو آلهة ! على حين كان يستغفر الرسول ربه فى اليوم مائة مرة ! فهل تجدد رحما بين حق القرآن ، وبين باطل الصوفية ؟

(١) من ٢٣ وما بعدها مفتاح الفلاح ط ١٣٣٢ هـ

ذكر رسول الله

ومن غير السنة المطهرة ، يسطم عليك ما يشقى روحك ، فقارن بينه وبين ذلك اليَحْمُومِ الصوفى . قال صلى الله عليه وسلم : « كلبتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » « متفق عليه » وكان صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة حين يُسَلِّمُ : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، ولا حول ، ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون » « رواه مسلم » وقال : سيد الاستغفار أن تقول : « اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت خلقتني ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » رواه البخارى .

وفي الصحيحين عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل : « اللهم لك الحمد ؛ أنت نور السموات والأرض ، ومن فيهن ، ولك الحمد ؛ أنت قيّام السموات والأرض ، ومن فيهن ، ولك الحمد ؛ أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي . ما قدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، أنت إلهي ، لا إله إلا أنت ، ولا حول ، ولا قوة إلا بك » .

أرأيت إلى هذا الذكر النبوى الجامع ؟ ! إنها ضراعة النبوة والعبودية الخالصة تفتحت لها أبواب السماء ، ما فيه ذكرٌ باسم مفرد ، ولا ضربٌ صدير

بذقن ، ولا هزة الرأس إلى أخص القدم ! ما فيه التناؤح بالرأس يَمْنَةً وَبَسْرَةً ، ولا تنع من سُرَّةٍ إلى قلب . ما فيه منشد ، ولا دف ، ولا شباة . ما فيه دائرة يقف في مركزها نُصْبُ يرقص الذاكرين بِتَصَدِيقِهِ ! إنما فيه قلب مؤمن ضارع ملأه حب الله خشية ورهبة وتقوى ، يتوجه إلى خالقه الأعظم ، مالك الملك كله في إيمان صادق ، وتوحيد خالص ، فصلوات الله وسلامه على محمد عبد الله ورسوله .

عبادة الصوفية

ذلك هو التصوف العملي في شعيرته الزهد والذكر ، فما العبادة فيه ؟ أم هي تلك الركعات ، أو السجودات التي لا يقر فيها قلب ، ولا جسد ، ولا تسلم فيها لله خاطرة واحدة ، ولا يخشع شعور ، ولا يضرع دعاء ؟ فإنما هي لأصنام القبور سجدود وتساييح ، ولجلاميدها الصم عبودية ، تطفح بالخشية منها ، والتقوى لها ، واللياذ بها ، والذهول المستغرق إلا عنها ! ألا ترى مساجد الله خرابا ، ومعابد القبور ، تمر بالحشود المحشودة فيها من كل صَوْبٍ وَحَدَبٍ ؟ ألا ترى مساجد الله التي طهرها الله من أوثان الأضرحة ، خاوية على عروشها ، أما المعابد التي جثم على صدرها قبرٌ ميت ، وثوت فيها رَمْتُهُ ، أو وَهْمُهُ ، فتضيق - على رحابها الفساح - بالآمين لها رجاء بركات القبر ، والرَّيَّةُ البالية ، أو الوهم الخرافى المشيد عليه القبر ، أو العظام المتنوعة من حيوانات شتى ؛ لتتصَبَّ الندور على السَدَّةِ ؟ ! ألا ترى تلك المعابد ينفق على فرشها وإضاءتها وتبخيرها الألوف ؟ ! أما مساجد الله فتترك للغربان تسلح عليها ، وللبوم ينعب فيها ! .

ما عبادة الصوفية ؟ أم هي تلك الندور يحفدون بها إلى الجيف ؟ أم هي هذا السجود على عتبات الأصنام دوخها وطء النعال ؟ ! أم هي هذا التقبيل الملهوف العاشق لأحجار الأوثان رجاء سَلَسَبِيلِ رحمة منها ومغفرة ؟ أم هي هذا التوسل إلى الله بعظام نخرة ، وصَفْوَانِ أملس ، وخشب عافه السوس من طول ما طعم منه ؟

أهـى هـذا الدعاء العريـض بالهـامدين فى القـبور ، ينشدون منهم مدد الحـياة ، وروح الخلود ؟ أهـى تلك الأوراد ^(١) الشـركية ينـعق بها الصوفية تحت سـجوات ليلهم المـربد ، وشفوف السـحر الراقص ، فى هـياكل الطواغيت ؟ أهـى هـذا الحلف بالقـبور والهـامدين فيها ، وجعل الحلف بالله عرضة للفرار من ذنب ، أو جريرة ؟ !

ذلك هو الجانب العملى من التصوف فى ذكره وزهده وعبادته ، أترأه يصلح لهـداية الإنسانـية ، وقيادتها إلى مُثلها العليا ؟ أم تراه يفتك بها فتك السل الدفين بالصـدر الرقيق الحزين ؟ ! أما جانبه النظرى ، فقد دانوا فيه كما بيّنتُ لك بأن العبد عين الرب ، وبأن الشـرك عين التوحيد ، ذلك هو التصوف بنوعيه ، إن شئت أن نجعله نوعين ! فهل تراه يودى بالمسلمين إلّا إلى التهلكة بعد أن يحيلهم من عبادٍ لارحمـن إلى عبـدة للطاغوت ؟ من أمة قوية عزيزة كريمة موحدة الغايات والمبادئ إلى أشـتات واهنة ، وأشـباح هـزيلة مستضعفة ، تضرب بها الوثنية فى متاهات الباطل ، ويقضى عليها الوهن والنـل والصغار ، فتصبح المطايا الذلل للاستعمار ، وأحلاف السـعة ، والمهانة والاستكانة ؟ !

دعاوى الصوفية وأدعيتهم

غَشَّتْ الصوفيةُ بصائرَ عشاقها بما تَسَحَّر به من فنون الخيال الغزلى ، والشاعرية الحاملة فى الصور البيانية المتأنقة الفتنة ، المكحولة الروعة ذلك ما جعل

(١) لكل طريقة ورد خاص بها تفضله على جميع الأوراد الأخرى ، بل تفضله على القرآن ، قال طاغوت التيجانية : « وسألته صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفاتح ، فأخبرنى أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ، ثم أخبرنى ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع فى الكون ، ومن كل ذكر ، ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن ستة آلاف مرة » ص ١٠٣ ج ١ جواهر المعاني لابن حرازم التيجانى طريقة . فتنبز كيف تجاهد الصوفية فى سبيل صرف المسلمين عن كتاب الله !!

بعضهم يجادلنا في شأن الصوفية ، فيأتينا بأدعية ونجوى صوفية ، فيها وشى السحر الشاعر وفتنته ، وبدعاوى فيها روحانية الحق وروعته ، ثم يقول : أو من يقولون هذا ، تفترى عليهم أنهم غير مسلمين ؟ !

لهؤلاء الذين خلّبهم عشقُ الصوفية أقول : ما من كهان نحلة ضالة ، أو أحبار دين زائف ، إلا وناجوا معبودهم ، ودَعَوْهُ بما يُخَيِّلُ إليك من سحره أنه ضراعة نبوة في فجر الوحي ، فهل نعدم مسلمين بتلك النجوى ، وهذه الأدعية ؟ !

سلامهم قبل الفتنة : لِمَنْ هذه النجوى ؟ ولمن تضرعون بهذا الدعاء ؟ سلامهم عن صفات معبودهم ، وأسمائه الحسنى ، وعن شرعته التي كلفهم بها ، وهناك حين يمجّيونكم توقنون أنهم لا يناجون الله ، ولا يدعونه ، وإنما يفعلون ذلك لآلهة أخرى ابتدعوها ؛ لَتُعْبَدَ من دون الله ! .

ويذكرنا هؤلاء المسحورون بدعاوى الصوفية ، إذ يفترون : « كلامنا هذا مُقَيَّدٌ بالكتاب والسنة ! » وكذلك زعمت كل فرقة نجمت في الجماعة الإسلامية ؛ لتجد لها أنصاراً وأعواناً من الأغرار ، الذين يخذعهم زيف القول الحلو عن رياء العمل المر ! قالتها الشيعة التي تُوَلِّهُ أئمتها ، وقالتها المُعْطَلَّة ، وقالتها المُجَسِّمَة ، وتقولها القاديانية والبهائية ! وقد نقلت لك عن النابلسي - وهو صنم صوفي كبير - دعواه أن وحدة الوجود مستمدة من الكتاب والسنة ! .

إنك لا تستطيع أن تمنع إنساناً من أن يدعى ما يشاء ، ولكن الذي تستطيع هو أن تبطل دعواه ، وترنها بميزان الحق من الكتاب ، وثمت تستطيع أن تحكم عليه عن بَيِّنَةٍ بالصدق ، أو الكذب فيما ادّعاه . وقد ابتليت معتقدات الصوفية وأربابها وآلهتها ، فهل ترى لها أثمارة من نسب إلى شرع ، أو عقل ؟ .

لقد جهلت الصوفية الحقيقة الأولى ، تلك التي يقررها الشرع ، ويمحكم بها العقل . وهي أن الله سبحانه وتعالى مُغَايِرٌ لخلقه في ذاته وصفاته وأفعاله ، فكيف

نحكم عليها بأنها تؤمن بما يترتب على تلك الحقيقة العليا من حقائق مقدسة ؟ ليس المهم أن تقول ، بل الأهم أن تعمل بما تقول ، فهل يعمل الصوفية بالكتاب والسنة ، كما ينافق بعض زعمائهم ؟ ! وربما يجادلنا به عشاقُ السحر الصوفي قول ابن الفارض :

وإن خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى يوما حكمتُ بِرِدَّتِي
وعلى ما فى هذا البيت من غلو الإسراف فى دعوى التجرد^(١) ، وحقارة الكذب ، فإن هؤلاء ينسون قول ابن الفارض فى نفس القصيدة :

فلا حَيٍّ إلا من حَيَّاتى حَيَّاتِهِ وطوع مُرَادِي كُلُّ نفس مُرِيدَةٍ
وينسون ما طفحت به تائيته الكبرى من زندقة باغية الجراءة ، تؤكد لك أنه حين يناجى رَبًّا ، فإنما يعنى به أثنى مستباحة العفة ، أو رمة بالية أو نفسه التى تَحَقَّقُ بها وجودُ ذلك الرب فى مرتبته العُتْبِيَّةِ ! ويمجادنا هؤلاء بقول رابعة : « ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً فى جنتك ، وإنما عبدتك لذاتك » ، ثم يهتفون لرابعة شهيدة العشق الإلهى ! رابعة التى تزعم أنها تجردت من كل رغبة ، أو رهبة ، أو طمع ، أو خوف ! .

هؤلاء ينسون أن رابعة بهذا السحر الصوفي الفاتن تستشرف عزة الألوهية ! وتفترى لنفسها الشائنة مقاماً يسمو عن مقام الرسل الذين جعل الله من صفاتهم أنهم يدعونه : رَغْبًا وَرَهْبًا ، أو خوفاً وطمعاً ، يقول الله عن زكريا وآله : (٢١ : ٩)
إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ، ويدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) ثم

(١) للارادة الإنسانية مجال فساح من الخير اللاتى ، كإرادة الزواج . وكسب العيش ، وإرادة التمتع الروحى بما أبدع الله من جمال فى جنات الأرض ، وما على من يريد ذلك جناح من الله ذى الرحمة . ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم : « حُبب إلى من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني فى الصلاة » وهل الحب إلا إرادة مصممة قاهرة ؟ فهل أشرك محمد ؛ لأنه أراد ذلك ؟

تأمل هذه الآيات التى تنجيك من سحر رابعة: (٧ : ١٥٤) وادعوه خوفاً وطمعاً
 إن رحمة الله قريب من المحسنين) وَصَفَ الله من يدعونه خوفاً وطمعاً بأنهم
 محسنون ، والإحسان أسمى مراتب العبادة ، وأكمل مقامات العبودية ،
 والعبودية هى غاية الحب ، مع غاية التذلل ، فما الحب الذى تطفح به مشاعرُ
 رابعة ؟ !

(١٦ : ٣٢ ، ١٧) إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكِّروا بها ، خَرُّوا سُجَّدًا ، وهم
 لا يستكبرون ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، وبما رزقناهم
 ينفقون) أرايت فى صور القديسين الناسكين أروع من صور هؤلاء الذين تتجافى
 جنوبهم عن المضاجع لذكر الله ؟ ! ومن أخص صفاتهم دعاء الله خوفاً وطمعاً !
 فما حب رابعة ؟ !

من أخص خصائص البشرية أنها ترغب وترهب ، حتى بشرية الأنبياء
 والرسل . ترهب وهى أسمى مقاماتها ، ومن أصدق الدلائل على الحب المسيطر القاهر ،
 أن يمتلئ القلب رغبة فى المحبوب ورهبة منه . رغبة فى رضاه ، ورهبة من غضبه (١)
 أوجفاه ، فإذا لم تكن ثمَّ رغبة فى نواله ، فقد سئمته ، وإذا لم تكن ثمَّ رهبة من
 عقابه فقد احتقرته ، وكلما تسامى الحب ، قويت الرغبة فى نوال المحبوب ، واشتدت
 الرهبة من حرمانه . الرغبة والرهبة جناحا الحب اللذان يخلق بهما فوق الدرى ،
 فإذا تجردت منهما كان حبك كاذباً ، لا يقهر منك شعوراً ، ولا يؤجِّه لإرادة .
 ولكن رابعة تزعم أنها تجردت من تلك البشرية الطهور ، بشرية القديسين ،
 بشرية أولى العزم من الرسل ! فإذا وراء هذا الزعم ؟ وراء أنها فى قمتها العليا

(١) وجزاء رضوان الله فى الآخرة الجنة ، وجزاء غضبه فيها النار ، فإذا لم ترغب
 فى جنته ، فأنت غير راغب فى رضاه ، وإذا لم ترهب ناره ، فأنت لا ترهب غضبه ،
 وإذا لم ترغب الرضا ، وترهب الغضب ، فأنت دعى حب كذوب .

لاتدنو منها مكانة المصطفين الأخيار من أنبياء الله ، وراءه أنها ليست بشراً ، بل إلهاً ، فالملائكة أنفسهم يرغبون ، ويرهبون وراءه اتهام صريح لمن نزل القرآن - وتعالى الله عن إفك رابعة - بأنه أخطأ حين أمرنا أن ندعوه خوفاً وطمعا ، ودأبى حين رغبنا في الجنة ، وخوفنا من النار .

دعواها التجرد شعور منها - وما أخبث هذا الشعور وأكذب - بأنها ساوت من تحب !! ثم من رابعة هذه ؟ أليست هي التي تقول عن الكعبة : « هذا الصنم المعبود في الأرض ^(١) » ؟

ثم اقرأ هذه الآية : (٦٦ : ١١) وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، إذ قالت : ربِّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة) هذه القديسة العظيمة التي طيب الله ذكرها ، وخلّده في كتابه ، وضربها مثلا للذين آمنوا ، إنها تضرع إلى الله ؛ لينبئ لها بيتاً في الجنة ، أما رابعة التي لاتزن في القيمة خاطرة من امرأة فرعون ، فنستعلى أن تطلب الجنة ! وقرأ النور في قوله سبحانه : (٩ : ١١١) إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل) وعدّ كريم عظيم من الكريم القادر ، يشتري به نفس المؤمن وماله ، وما ذلك الوعد ؟ أن تكون له الجنة ، وقد وصف وعده في ختام الآية بقوله تعالى : « وذلك هو الفوز العظيم » ولكن رابعة في تعاليها الجاحد ، لاتراه فوزاً عظيماً ، فتطلب غيره ! أليس هذا اتهاماً للكريم بالبخل ، أو بأنه لم يحسن الوعد ، ولا شراء نفس المؤمن وماله بالجنة ؟ !

وينتفض هؤلاء إعجاباً بـمعروف الكرخي ^(٢) ، إذ يروون عنه أنه بال على

(١) ص ٣٨ وما بعدها كتاب شهيدة العشق الإلهي للدكتور بدوي .

(٢) توفي سنة ٢٠٠ هـ وكان يقول : « إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي »

انظر ص ٩ الرسالة للقشيري مطبعة التقدم ، فتأمل منذ متى كفرت الصوفية ؟

شاطيء نهر ، وتيمم ، فقيل : يا أبا محفوظ !! الماء منك قريب !! فقال : « اعلى لأبلغه »^(١) « لقد كان رسول الله يطوف على نسائه ، فيغتسل منهن جميعاً بغسل واحد ، فلماذا كان لا يغتسل عقيب كل واحدة ؟ بل ثبت عنه أنه كان أحياناً يبيت جنباً ، غير أنه كان يتوضأ !! أكان معروف أشد خوفاً من رسول الله ؟ والله أرحم مما يظن معروف ، لو أنه سبحانه قبض إليه عبده قبل أن يباغ الماء القريب ليتوضأ . إنه هوس صوفي يغلو في الحب ، حتى يتجرد من الرغبة والرغبة ، ويغلو في الخوف ، حتى يتيمم والماء منه قيد شبر واحد !! فما ندرى أنحب حتى لانخاف ، أم نخاف حتى لانحب ؟ ويبهتون ابن حنبل أنه سأل بشراً الخافى عن الزكاة ، فقال بشر : أما عندكم فالعشر ، وأما عندنا ، فالعبد ، وما ملكك يده لسيده !! وتبرق عيون الصوفية بالسرور السكران ، وتميد أعطافهم من نشوة الخمر الصوفى !! هؤلاء ينسون الإثم الكبير في قول الصوفى الخافى : « عندنا أم عندكم » فإنه نزعة من الأسطورة الصوفية التي تزعم : أن الدين شريعة وحقيقة^(٢) ، وأن الأولى دين الظاهرية ، وأن الأخرى دين الباطنية ، وقد سبق الحديث عن ذلك . ويتناسون أنه ينتسب إلى غير أهله حين يزعم أن هذا الحق الذى قاله : « العبد ، وما ملكك يده لسيده » هو من دين الصوفية ، أو من شرعة الباطن !

(١) ص ٨٣ طبقات الصوفية للسلمى ، وقد نسب أبو طالب إلى الرسول . انظر

ص ٢٩ ج ٣ قوت القلوب ط ١٣٥١ هـ

(٢) يقول الدباغ : « إن الولي يسمع كلام الباطن ، كما يسمع كلام الظاهر » ولهذا قد يعصى الولي الصوفى في نظر الشريعة ، فيكون مطيعاً في نظر الحقيقة . يقول الدباغ : « إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصى وهو ليس بعاص وإنما حجب روحه ذاته . فظهرت في صورتها ، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية » ص ٤٢ ج ٢ الإبريز . وهكذا يطلب منا الصوفية اعتقاد أن معاصيهم طاعات !!

ثم من سيد بشر^(١) ؟ لقد عرفتم سيد الصوفية الذى يعبدونه ، فاعرفوا إذن سيد بشر !

ويذكرنا هؤلاء بالأدعية الصوفية التى تتبرج فيها أنوثة البيان الفاتنة ، وتنهل منها دموع الحب ، وتنوح جراحه ، ولكنى أذكر هؤلاء بأن البرهمية^(٢) أو البوذية^(٣) ناجت ربها بصلوات من الدعاء ، يغازل الروح شعورها بالروعة الأسرة ، شفافة الترائيم عن نفس دلتها العشق ، وقلب تبك الغرام ، كذلك صنعت الزرادشتية^(٤) والمناوية ، والفرعونية واليهودية ، والمسيحية والبهائية^(٥) والقاديانية^(٦) ! وأنت

(١) بشر بن الحرث أبو نصر الحافى مات سنة ٢٢٧ هـ

(٢) نسبة إلى « برها » الكائن الأوحى كما سمى فى « الفيدا » كتاب الهند القديم المقدس ، وتؤمن هذه النحلة بثلاثة آلهة « براهان » الرئيس الأعلى ، و « فيشنو » إله الحياة ، والثالث « سيفا » وهو إله التدمير والحرب . وتؤمن هذه الطائفة بقدمية كهنة الدين ؛ لأنهم فى نظرهم الذين يملكون لهم الشفاعة عند الآلهة والتأثير عليهم ، وعنها أخذت الصوفية هذا التقديس .

(٣) نسبة إلى « بوذا » متنبئ هندي ولد فى القرن السادس قبل الميلاد . وقد تطورت البوذية حتى اعتقدت فى بوذا أنه إله تجسد لينقذ البشرية ، بأن تحمل عنها عبء خطاياها !! ويظن بعض الباحثين أنه أسطورة لم توجد ، وبصورة بوذا صورت الصوفية إبراهيم بن آدم .

(٤) نسبة إلى « زرادشت » متنبئ فارسي ولد قبل المسيح ، جاءهم بكتاب اسمه أفيستا ، ثم أضيفت إليه شروح فسمى : « زند أفيستا » وتؤمن هذه النحلة بالهين أحدهما للخير ، واسمه « أورمزد » وآخر للشر ، واسمه « أهرمن » إلا أن زرادشت يؤمن بانتصار الخير على الشر ، فهو ذو نزعة تفاؤلية ، لا تشاؤمية كما فى ديانة مانى .

(٥) نسبة إلى ميرزا حسين طى لللقب بالبهاء ، وخلاصة دينه أن الله سبحانه يظهر فى دورات متعاقبة فى صور الرسل ، وأنه - أى ميرزا حسين على - أتم وأكمل صورة للتجسد الإلهي ، وأنه النبع الذى استمد منه الرسل جميعاً من لدن نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

(٦) نسبة إلى ميرزا غلام أحمد القاديانى نسبة إلى قاديان توفى سنة ١٩٠٨ م وقد =

إذ تنلو من أدعية هؤلاء - دون أن تكون على بينة من نسبتيها إليهم - لن تشك في أنها ضراعات القديسين ، بشرتهم برضاها السماء !! فهل نعدم بهذه الأدعية دعاة حق ، وحنود إسلام ؟ لا تسأل الداعي : بماذا تدعور بك ؟ ولكن سله أولاً : من ربك الذى تدعوه ، وما صفاته ؟ !

وهاك أنماطاً من الأدعية ، فاقراها ، وتدبرها ، وثمت تشعر بقلبك ، وقد غمره اليقين بأنها ضراعة عبودية خالصة تتبتل تحت السحر فى الحاريب ، بيد أنك حين تعرف حقيقة مَنْ بثَّ دموع الحب فى تلك الأدعية ، وإلى أى دين هو ينتسب ، سيروود بك العجب كل مرادله ، وستأسى على هذا الحلم الجميل الذى نم به خيالك لحظة ، بل سنشعر ، كأنما تهوى من قمة السماء إلى غور جُبِّ سحيق عميق ! غير أن هذا سينجيك من السحر الصوفى الذى يفتتك عن الحق بما يسكر بك به من سلاف الأدعية ، فتظن بالصوفية فى نشوتك ظن الخير ، وتحسبها مع المسلمين فى فجر ومحراب ! .

فاقرأ معى هذا الدعاء : « اللَّهُمَّ لَتَكُنْ مَشِيئَتِكَ أَنْ أُسِيرَ فِي طَرِيقِ شَرِيعَتِكَ ، وَأَنْ أُرْتَبِطَ ارْتِبَاطاً وَثِيقاً بِوَصَايَاكَ ، اللَّهُمَّ احْنِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْعَصِيَانِ وَإِغْرَاءِ الشَّيْطَانِ ، وَلَا تَجْعَلْنِ لِلشَّهَوَاتِ سُلْطَاناً عَلَيَّ ، وَلَتَكُنْ إِرَادَتِي خَاضِعَةً لَكَ ، أَعِنِّي عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْخَيْرِ ، وَاشْمَأْنِ بِرِعَايَتِكَ اللَّهُمَّ آمِينَ ^(١) » أترى فى هذه النجوى أنارة من باطل ؟ أم تجدها صالحة ؛ لتدعو الله بها ، وأنت حول بيته ؟ وتأمل قوله : « اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ » وقوله : « لَتَكُنْ إِرَادَتِي خَاضِعَةً لِإِرَادَتِكَ ^(٢) » .

= ادعى أنه المسيح الموعود ، أو المهدي المنتظر ، وأن الله يوحى إليه ، وقد انشطر أتباعه من بعده شطرين أحدهما الأحمدية ، والأخرى القاديانية ، والأولى أقل غلواً من الأخرى ، وكلتاها تكفر من لا يؤمن بسلام أحمد على أنه المسيح الموعود ١١

(١) ص ٢٤٦ كتاب الفكر اليهودى جمع دكتور هرمس ترجمة ألفريد يلوز

(٢) قارن بهذا قول ابن القارض « وطوع مرادى كل نفس مريدة » .

ولكن أتدرى لمن هذا الدعاء ؟ إنه ليهودى ! والله تعالى يقول عن اليهود :
(٢ : ٦١) وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ، وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا ، وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ) فهل شفع هذا الدعاء وغيره عند الله لليهود ؟ كلا . وإن راحوا يملأون
به سمع الوجود ؛ لأنهم لا يدعون به الله ، وإنما يدعون رباً آخر ، اختلقته
أوهامهم المادية الصماء ، لقد رفعوا أيديهم إلى السماء ، وهى ملطخة بدم النبيين ،
وفى قلوبهم شتى أرباب وآلهة ! وأطغى من هذا الشر ، اقتربت الصوفية .

وهاك آخر : « إلهى عليك نوكلت ، فلا أخزى إلى الأبد ، عرفنى يارب
طريقك ، وسبلك ، علمنى ، أرشدنى إلى حقلك ، وعلمنى ؛ لأنك أنت هو إلهى
ومخلصى ، وإياك رجوت اليوم كله ، إذا تصوَّرتُ كثرة أفعالى الرديئة
أنا الشقى ، فإنى أرتعد من يوم الدينونة الرهيب ^(١) ، لكن إذ أنا واثق ببتحن
إشفاقك ، أهتف إليك مثل داود : ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك ^(٢) » وهذه
النجوى الخنون ، ألا تجدها رفاقة تزوج الحب الآمل فى رحمة المعبود ؟ ألا ترى
فيها الهتاف بدعاء : « يا الله » .

ولكن أتدرى ما هى ؟ إنها صلاة رومية أرثوذكسية ! والله تعالى يقول
عن هؤلاء ، ومن دان دينهم : (٥ : ٧٣) لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة
وما من إله إلا إله واحد) فهل شفع ، أو يشفع هذا الدعاء ، ومثله لهم ؟ أترأه
ينسخ عنهم حكم الله بأنهم كافرون ؟ ! كلا ، وإن تجاوبت بأصدائه جنابات
الوجود ! فقد آمنوا برب هو ثالث ثلاثة ، فلم ينجوا بها « الله » حقاً ، وإنما
ناجوا بها رباً ، يزعمون أنه تجسد فى ثلاثة مظاهر ! وكُفِّر الصوفية أشد شناعة ؛

(١) قارن بهذا زعم ابن عربى أن الوعد فى الآخرة عين الوعيد ، وأن النار

عين الجنة !!

(٢) ص ٢٤١ ، ٢٦٨ كتاب خلاص النفوس فى الصلوات والطقوس

فقد آمنت برَّبِّ هو عينُ كلِّ شيءٍ ! أو كما يقولون في تسميتهم المقدَّستين :
« المظاهر عين الظاهر » يعنون بالمظاهر أنواعَ الخلق ، وبالظاهر الله تعالى وتقدس
والأخرى : « ذات مآ ترى ، عين مآ لا ترى » يعنون أن مآ تراه بعينيك من مظاهر
الوجود هو عين الإله الصوفى ! .

وهالك دعاء آخر : « السلام عليك أيها الإله العظيم ، لقد أتيت إليك
ياسيدى فى سلام ، فكن بى عطوفا ، فأنت صاحب العطف ، واستمع لندائى ،
لَبَّ ما أقوله ، فإنى أنا واحد من عابديك ^(١) » أتُنكر من هذا الدعاء شِرْكا ؟
أو تستنكر منه وثنية ؟ ولكنك إذ تبلى معتقد صاحبه ، تحتمد عاطفتك مقتا له ،
ولسانك لعنة تنصب عليه ؛ فإنه لو كُتِبة فرعونية عبدت ربَّها فى صورة عجل ،
أو كوكب ! وكذلك الصوفية ! بل إنها مرَّغت تلك الوثنية الفرعونية فى ردِّعها
ثم خرجت بها صوفية تعبد كلَّ شيء !

واستمع معى إلى هذا الدعاء : « ربنا إنا نتوجه إليك ، وتضرع بين يديك
ونذكرك بالتهليل والتكبير ، ونثنى عليك بالتسبيح والتقديس . إلهى ! وملاذى ،
وكهف صَوْنى وعَوْنى فى شدائى وبلائى ، إنى أبسط إليك أ كف الضراعة ،
وأمد إليك أيدى الابتهاال ، ياربى المتعالى ، وياذا الجلال والجلال ، أن تنزل كل
بركتك وموهبتك ، وسابقة رحمتك ، وسابقة نعمتك على أحببتك الذين شملتهم
لحظات أعين رحمتك ^(٢) » فهذه النجوى المُضْمَخَةُ بالعبير سكران الرُّوح ، غرامى
النفحات ، أتحس فيها شيئا يرغب عنه إخلاص توحيدك ؟ ولكن أتدري لمن هى ؟
إنها للزنديق القزم القمى ، عباس بن ميرزا حسين أو « عبد البهاء » يناجى بها ربَّه
أفتجعل منه هذه الصلاة مسلما ناسكا فى الفجر ؟ كلا ، فإنه لا يناجى بها الله ،
ولمنا يناجى بها أباه ميرزا حسين على الذى آمن به زنادقة البابية من الشيعة أنه
(١) ص ٣٤١ « مصر » تأليف أدولف إرمان ترجمة الدكتور عبد المنعم بكر .
(٢) ص ٢٢٠ ، ٢٦٥ مكاتيب عبد البهاء .

أتم وأكل مظهر تجسدت فيه الذات الإلهية ، فقد زعم لهم ذلك ، فأمنوا بما زعموا
وقد زادت الصوفية هذا الكفر خطيئة ، فعبدت رباً يتجسد بذاته ووجوده
وصفاته وأفعاله في كل شيء !

مقارنة

ثم قارن بين تلك الأدعية التي آمنت ألفاظها ، وكفرت قلوبها ، وبين هذا
الدعاء الصوفي الذي كفر لفظه ومعناه وقلب مقتربه « إلهي استهلك كلتي
في كليتيك ، وأمد أوليتي بأولييتك ، حتى أشهد أوليتك في أوليتي ، وآخريتك
في آخريتي ، وظاهريتك في ظاهريتي ، وباطنيتك في باطنيتي ، وقابليتك في
قابليتي ، وأنت في إنيتي ^(١) ، وهويتك في هويتي ^(٢) ، ومعيتك في معيتي ،
حتى أكون عنوان ذلك السر كله بل شكله وصورته ^(٣) » يدعو الله سبحانه ،
وتعالى أن يجعله عينه وجوداً وذاتاً وحقيقة ! ! ومن يجرؤ على هذه الزندقة غير
ابن عربي ؟

وإليك صلاته على نبيه : « اللهم صل وسلم وبارك على الطلعة ذات
المطلع ، والغيث العظيم ، لاهوت الجلال ، وناسوت الوصال ^(٤) ، وطلعة
الحق ، هوية إنسان الأزل ^(٥) ، في نشر من لم يزل ^(٦) ، من أقمّت به نواصيت

(١) أي وجوده الظاهر .

(٢) الهوية باطن الذات الإلهية عند الصوفية ، يطلب من الله أن يجعل وجوده

الباطن والظاهر عين وجوده هو في إنيته وهويته !!

(٣) ص ١٥ مجموعة الأحزاب ط استامبول سنة ١٢٩٨ هـ

(٤) أي الإنسان الذي وصل بين الألوهية والإنسانية في ذاته ، فباطنه لاهوت ،

وظاهره ناسوت .

(٥) أي حقيقة الله ، فالفه عند ابن عربي إنسان قديم

(٦) أي هو الإله القديم الذي ظهر في صورة إنسان ، وعن هذا الإنسان انتشرت

جميع الأنواع الخلقية ، وعنه ينتشر مالا يزال في مكنون الغيب من أنواع الخلق .

الفرق إلى طريق الحق ، فصلَّ اللهم به منه فيه ^(١) ! يقول ابن عربي : اللهم صل على محمد الذي تجسّد فيه الله ، اللهم صل على نفسك التي ظهرت ، وتظهر في صور الكائنات . ألا ترى مع الحق أن هذا الدعاء الصوفي يحمّوم الكفر الأليم ، وخطيئة الوثنية الجاحدة ؟

وما إخالك بعد هذا يَمُنْ ستخدعه فتنة السراب الخلوب فيما تنغزل به الصوفية من أدعية شرعية أو نثرية ، فإنها إذ تدعو ، أو تصلى ، فإنما تغتري ذلك لرب ليس هو ربك الحق أيها المسلم ، قد يفتك من الصوفي دعاؤه : « اللهم » غير أن هذا الدعاء يهتف به البوذي واليهودي والبهائي ، وكلُّ يعنى به رب هواء ، وإله أساطيره ! وقد يخذلك من الصوفي قوله : « اللهم صل على محمد » ويقولها أيضاً البهائي ! فمحمد الذي تصلى عليه الصوفية ، ليس هو خاتم النبيين ، وإنما هو ظن ابتدعوه ، وسموه : « محمداً » ؛ ليفتنوك به . محمدهم هو إله الآلهة الصوفية في تجسد بشري ، بل إنك لترى الصوفية في كتبهم لا يسمونه إلا : بـ « الحقيقة الحمدية » يعنون بذلك أن الله حقيقة متعينة أو متجسدة في صورة محمد !! (٦ : ١١٦ إن يتبعون إلا الظن ، وإن هم إلا يخرصون) (٤٥ : ٢٢ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ^(٢) ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون ؟) هذا حكم الله ، فبأيّ حكم بعده تؤمنون ؟ !

ويأفك الصوفية أنهم أحباء الله ، وأحباء رسوله ! يفترون ذلك في صوت ناعم رقيق ، فيترعشُ جسدك سكرُ الصوت المُغمَم بأنوثة الرياء ، وخنوة النفاق فيصرخ « الدرويش » في وجهه مَنْ يذكّره بالحق : « أَوْ مَنْ يَقُولُونَ خَلْقَهُ »

(١) ص ١٤ المصدر السابق .

(٢) العجب أن ابن عربي يقرر أن الهوى إله حق يجب أن يعبد ، ويستشهد بهذه الآية ، ويقرر صحة عبادة الهوى !! انظر ص ١٩٤ فصوص الحكم ط الحلبي ج ١

تفترون عليهم أنهم عدو لله ١١ « ولكن لا تنس يا صاح أن اليهودية والنصرانية زعمتا هذا ، فكذبهما الله (٥ : ٢٠) وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله ، وأحبّاءه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشرٌ مِمَّنْ خلق) (٤٧ : ٢٨) ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه ، فأحبط أعمالهم) والدليل على الحب الصادق لله طاعته وتقواه ، ومتابعة رسوله فيما جاء به (٣ : ٣١) قل : إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يُحببكم الله) .

ولقد ذكرت لك دين الصوفية كما هو في كتبهم المقدسة ، فهل تجد فيه بارقةً من ظنّي ، تميل بك إلى توهم أنهم أحباء الله وأودّاء رسوله ؟ إنهم دانوا بأخبارهم وكهانهم أرباباً من دون الله ، فكيف تصدق أنهم أحباء الله ورسوله ؟

ودعوى حبه للرسول وآل بيته دعوى الرّجس أنه قداسة ، والإثم الكبير أنه روحانية فضيلة !! وكذلك القرية افتراء الشيعة أنهم أحباء آل بيت محمد ١١ أتري الشيعة والصوفية : اتبعوا الرسول ، وجعلوه وحده الأسوة والقدوة الحسنة ؟ مائمه مايمتحنون به لدعواهم سوى المكوف على الأضرحة الزينة المفتراة لآل البيت ! سوى تلك القباب التي شيدها معبودة على عظام نخرة ، لا تدرى أهي لحيوان أم إنسان ، أم هي أمشاج من عظام شتى ، لا تدرى أهي لصالح أما طالح ، لمسلم أم يهودي ، فقد شيدها الفاطمية في مصر ؛ لتصرف الناس عن حج بيت الله ، ولتجعل قلوب المسلمين نفسها قبوراً خربة ، ثم سمتها بأسماء آل البيت ، وأقامت على سداتها وعبادتها الصرفية ! ما لهم من دليل على حبه لآل البيت سوى عبادة تلك الأصنام بتقبيل أستارها وأحجارها ولثم نحاسها وخشبها ، وتعطير أجوانها ، والاستشفاع بأعتابها ، واقتراف الأعياد الوثنية في كل موسم لها . وسلّ المؤمنين تلك « الموالد » عن عريضة الشيطان في باحاتها ، وعن الإثم المهتوك في حاناتها ، وعن حم الشهوات التي تنفجر تحت سود ليلاتها ^(١) . وهكذا تكذّب الصوفية

(١) يصف الجبرتي ما كان يحدث في مولد العفيفي - وكأنما يصف موالد اليوم ==

في سبيل أن تجعل دنيا المسلمين كلها مقبرة ، قفراء إلا من الوحشة ، جرداء إلا من
الرهبة والفرع ، خاوية إلا من الخطايا تُقْتَرَفُ باسم الإسلام ! تكذب في سبيل أن
تجعل نفوس المسلمين مقابر ، وغاياتهم المقابر ، وآلهتهم العظام البوالى في المقابر !
وتحتمل المسلمين ؛ ليجعلوا الحياة كلها قرباناً إلى غيايات العدم ، وجيف المقابر ! فما
ينقضى في مصر أسبوع إلا وتحشد الصوفية أساطير شركها ، وعُباداً أوثانها عند
مقبرة يُسَبِّحُونَ بحمد جيقها ، ويسجدون أذلاء لرمتها ، ويقترفون خطايا المجوسية
في حَمَائِهَا ، ويمحتسون آثام الخمر و « الحشيش » والأجساد التي طرحها الليل على الإثم
نجوراً ومعصية ! ويسمون لها للناس : « موالد » أو مواسم عبر وذكريات خوالد !
وما تجتمع جماعة صوفية ، أو تنفض ، إلا ليبحثوا كيف يحتفلون بصنم قبر ،
أو رمة قبر ؟ ! وما يهْوَمُ ليل على صوفى ، أو يُفْزِعُه بالنور نهار ، إلا وقلبه مستعبد
بهوى صنم قبر ، أو رمة قبر ! وما يقعد صوفى أو يقوم ، أو يركب أو يمشى إلا
وينعق مستغيثاً بصنم قبر ، أو رمة قبر ! قبور قبور ! هذه هي دنيا الصوفية ، لها
جهاد الصوفية ، ولزمها عبادتها ، لها تحيا ، ولها تموت ، وبها تعيش ! وخير ماتمتناه
الصوفية ، هو أن يهلك المسلمون جميعاً ، حتى يكون في كل ساعة « مولد » مقبرة ،
وعيد رمة ! فليقتل المسلمون أنفسهم ؛ ليمدوا الصوفية بأعياد كثيرة للقبور ، ونذور

== « ينصبون خياماً كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوى ، ويجتمع العالم الأكبر من
أحلاط الناس ، وخواصهم وعوامهم ، وفلاحى الأرياف وأرباب الملاهى والملاعب
والغوازى والبغايا والقرادين والحواة ، فيملثون الصحراء والباستان ، فيطئون القيور
ويبولون ويتنوطون وزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول
والزمرور ليلاً ونهاراً ، ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء ، ويقتدى بهم الأكابر من
الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار ، بل يعتقدون أن ذلك قرينة وعبادة ، ولو لم
يكن ذلك ، لأنكره العلماء ، فضلاً عن كونهم يفعلونه ، فأنه يتولى هدايتنا أجمعين »

ص ٢٢٥ ج ١ تاريخ الجبرتي ط ١٣٢٢ هـ

للجاهل ! ما لهم من دليل على جهلهم للرسول وآل بيته سوى تلك « التواشيح »
التي يتنزلون بها في العيون الحوالم النعس ، والشفاة الظوايح اللئس ، والأهداب
المسبلات في إغراء على لُهب من الورد يتوهج في الحدود النضر ، تلك هي أدلتهم !
ويالها من أدلة ! حياة كلها خطايا ، وقلوب أربابها رمم معبودة ، ونفوس آلهتها
جيف ، وأفكار كلها للأساطير وحياة ميتة ، ووجود يفزع منه العدم ، ودنيا خمول
خامد تعصف بها الذلة . فأين الكفاح في سبيل بناء الحياة ؟

إن الله سبحانه وصف لنا نفسه في كتابه الحق بصفاته المقدسة ، وسمى نفسه
بأسمائه الحسنى ، فوصفه المسلمون ، وسموه بما وصف ، وسمى به نفسه ، فلم يفترأله
صفة ، ولم يتدعوا له اسما ، ولم يحتلقوا لصفاته ، ولا لأسمائه معاني غير التي وردت
في اللغة التي نزل الله بها كتابه ، هذا ؛ لكيلا يفترأوا عليه ما لم يتكلم به ،
أو يصفوه بما لا يحبه ، أو يسموه بما لا يرضاه ، وشرع سبحانه لنا شرعا هاديا
كراما ختم به شرعته ، بلغه رسوله الأمين ، فلم يدخل المسلمون في شرعه سبحانه
ماليس منه ، ولم يتهموا شرعه بالقصور أو التقصير ؛ لأن ربه الحكيم الخبير
خالق الزمان والمكان ، يعلم ما يصلح لكل زمان ومكان ، وقد أخبرهم سبحانه
أن رسالة محمد ، هي خاتمة الرسالات ، فليس بعده من نبي ولا رسول ، فما جاء به
صالح للحياة ، حتى تقوم الساعة ، وإلا اتهمنا من نزل به أنه غير عليم ولا خبير ولا
حكيم . كذلك لم يتهم المسلمون شرع الله بالجود ، ولا بأنه عقبة كشود تقف في
طريق سُمُو حضارة الإنسانية ، أو تقدمها . أما الصوفية ، فتجحد بما وصف الله ،
أو سمي به نفسه ، وتكفر بوحية ، وتؤمن برب تجزأت ذاته ، فكانت كل شيء
تراه العين ، أو يطيف بالظن ، فلتتأجج الصوفية بصلواتها ما تشاء ، ولتدو بالدعوات
تحت أقبية الليل في هياكلها العبة بالبخور الوثنى ، فإنما تناجي أصناما ، وإنما
تضرع إلى رمم !

دعوة الصوفية الأخلاقية

يزعم بعض السكتبين أن الصوفية دعوة أخلاقية مثالية ، ويستشهد لذلك بما يلحظه في كتبهم من دعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، وبما يفتنه من روعة الجمال في البيان الأدبي عن تلك الدعوة ، وعلى ما في هذا الزعم الغافل من غشون سود من الكذب ، وتجاويد كابية من الباطل ، فإني أقول : إن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة كَمَّ مشترك بين الأديان جميعها ، سواء منها ما نزل به وحى من الله ، أو ما افترته الأهواء ، وأفكته الأساطير ، فتش في كتب البوذية والبرهية ، والزرادشتية والمناوية والغنوصية وإخوان الصفا ، بل فتش حتى في كتب اليهود الوَصِيَّة ، وفي كتب أَيْة نَحْلَة^(١) ضالة ، تجد دعوة تلهب حماسه إلى التسامى بالخلق ، وإلى تحقيق مُثْله العليا ، فليست الصوفية - إن صدقنا زعمها - بِدْعًا في زعمها ، وإنما هي كغيرها من الدعوات الضالة ، شَرٌّ ينافق بأنه : بِرٌّ خَيْر ، ورذيلة ترائى بأنها : روح الفضيلة ، وكفر يخنال بأنه : إيمان النبوة ، فليست الدعوة الخلقية هي الفَيْصَل بين دين ودين ، أو دعوة ودعوة - فإنها في كل دعوة ، وفي كل دين - وإنما الفَيْصَل بين الأديان والدعوات ، وكونها حقًا أو باطلا ، خيراً أو شراً هو العقيدة التي تنبعث عنها هذه الدعوة الخَلْقِيَّة ، أو الباعث الذي يكن وراء السلوك ، والغاية التي توجهه إلى هدفه ، وترجى منه . وقد ذكرت لك دين الصوفية ، أو عقيدتها ، فهل تجدها حقًا ؟ وهل تعتبر ما تدعو إليه من المثل الأخلاقية خيراً ، وإن كانت رائعة البيان فائنة الصُّور ، خَيْرٌ المظهر ؟ وهل تعتبر ما ينبعث

(١) فاللهامية مثلاً تزعم أنها تؤمن بكل الكتب السماوية ، كالنوراة والإنجيل والقرآن ، وتسجل هذا في كتبها ، وتزعم أنها تدعو إلى السلام العالمي ، والإخاء البشرى العام ، فهل نحكم بأنها نَحْلَة مؤمنة مسلمة ؟ كلا . فإنها تدين برب تجسد في سيدها ميرزا حسين طي . والصوفية شر منها في معتقداتها الباطلة .

عنها من عمل خيراً في ذاته ، ككثير يتيم ، أو جهادٍ في سبيل مثل أعلى يعطف الإعجاب ، ويُلمهم القِدَائِيَّة ؟ كلا . فإله يقول له لنبيه : (٣٩ : ٦٥) لئن أشركتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) وإن كان عمله خيراً نبيلاً في أعراف السُّلُوكِيِّين . هذا ؛ لأن الباعث ، أو النية ، أو العقيدة التي ينبعث عنها هذا العمل ، ليست حقاً ولا خيراً ، فكل ما ينتج عنها من سلوك ، فهو مثلها باطل وشر . ألم تر إلى هذا البطل العربي الذي قاتل مع أصحاب النبي قتالاً ليس كمثل قتال في الصبر والجَلَاد والبطولة التي تكافح الموت . لقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه في النار !؟ هذا ؛ لأنه قاتل حَيَّة ، لا في سبيل الله ، أو بمعنى آخر : لم تكن لديه العقيدة الخاصة التي تجعل من هذا القتال خيراً ، أو عملاً صالحاً له عند الله ثوابه . وعقيدة الصوفية إيمان بربٍّ يتجسد بذاته في حجر أو جيفة ، فغاية الصوفي من عمله رضوان الإله المتجسد في الحجر أو الجيفة ، وباعته على العمل حب الحجر أو الجيفة ! .

أما عمل المسلم ، ودعوة المسلم الخلقية ، وجهاد المسلم ، ف وراء هذا كله عقيدة خالصة ، تُوحِّد الله توحيداً خالصاً في ربوبيته وإلهيته ، ويوجه ذلك كله غاية سامية مُطَهَّرة ، هي رضوان الله وحده .

يقولون : اقرأوا ما كتب الصوفية من دعوة إلى التسامح والروحانية ، والتأملات الشاعرة في أسرار الكون ، وسرائر النفس والحياة ، والاستسلام المطلق إلى مُتَبَدع الوجود . وأقول لهم : بل اقرأوا ما كتب الصوفية عن الله ورسله ، واقرأوا ما كتب الصوفية عن معتقدهم . ابتلوا العقائد ، قبل ابتلاء الأخلاق يا أسارى الصوفيَّة ! ، فما اُخْلِقُ لإلتيجة . والصوفية نفسها تقرر أنها دين وعقيدة ، قبل أن تكون دعوة خلقية ، فلتحاسب على دينها واعتقادها قبل محاسبتها على دعوتها الأخلاقية ! وما أحكم وأحسن قول الفضيل بن عياض : « إن العمل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً ، لم يُقْبَل ، وإذا كان صواباً ، ولم يكن خالصاً

لم يُقْبَل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخاص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة ، وهذا هو المذكور في قوله تعالى : (١٨ : ١١٠) فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ^(١) .

فعلى الذين يعصف بهم الإعجاب بدعوة الصوفية الخلقية ، أن يولوا إعجابهم شيطراً كل فرقة حكم الله عليها بالكفر ، ففيها أيضاً الدعوة إلى مثل تلك الأخلاق التي يسحرهم البيان عنها في الصوفية ، بل في بعضها أروع مما في الصوفية ، اقرأوا هذه الدعوة : « خَفِ اللَّهَ إِلَهَ آبَائِكَ ، واخدمه بحب ؛ لأن مخافة الله وحدها هي التي تَرُدُّعَ الإنسان عن الذنوب ، وَحُبُّهُ تعالى هو الذي يُمِيتُ المرءَ على الخير ، دَرَبَ نَفْسِكَ عَلَى الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ ، أَحِبَّ الْحَقِيقَةَ وَالِاسْتِقَامَةَ زِينَةَ النَّفْسِ ، وتعلق بهما ، كن حازماً في المحافظة على كلمتك ، ترفع عن التَّوَارِبَةِ والتَّهَرُّبِ والمراوغة ، أبغض الكسل والخمول » .

دعوة حارة إلى أروع الأخلاق ، وَحَقٌّ يَرِفُ إِيمَانًا وَقُدْسِيَّةً وَلَكِنْ ! ثم اقرأوا هذه : « إِنَّا نَبْغِي مِنَ الْعَالَمِ الْحَقِيقَةَ الْمَجْرَدَةَ ، وَنَبْغِي الْخَيْرَ وَالطَّهَرَ وَالْجَمَالَ » دعوى رِيَانَةِ الْجَمَالِ ، وَلَكِنْ لَيْتَهَا كَانَتْ صَادِقَةً ! وَاقْرَأُوا هَذِهِ : « إِنْ لَمْ تَكُنْ لِنَفْسِكَ ، فَلَنْ تَكُونَ ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتَ لِنَفْسِكَ فَقَطْ ، فَلَمْ تَكُونَ ؟ ! » دعوة إلى الإيثار النبيل والتكافل الرحيم الْوُدُودِ . وَاقْرَأُوا هَذِهِ : « فَكَّرْ مَائِيًّا فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ ، تَنْتَجِ إِلَى الْأَبَدِ مِنْ سَيِّطَرَةِ الذَّنُوبِ ، اعْلَمْ : أَنَّ فَوْقَكَ عَيْنًا نَاطِرَةً ، وَأَذْنَا سَامِعَةً ، وَأَنَّ جَمِيعَ أَعْمَالِكَ مَسْجُودَةٌ فِي كِتَابٍ » ^(٢) قول تظنه إيماناً يتهدج بالصلاة المؤمنة ، قول يوحى بالإيمان بأن الله بكل شيء محيط .

تلك الدعوات الرائعة في تساميتها القائل ليس في الصوفية مثلها ، ومع هذا

(١) ص ٧٤ تفسير ابن القيم .

(٢) تلك النصوص عن الفكر اليهودي ترجمة ألفريد يلوز من ص ٢٤ ، ٢٠٠ ،

٢٠٢ وما بعدها .

حكم الله سبحانه على أصحاب تلك الدعوات بأنهم عدوه ، وأن عليهم غضبه ولعنته ؛ لأنهم يهود . والعقيدة اليهودية ضلالة ، وباطل . فكل ما انبث عنها من عمل ، أو قول ، فهو مثاها ضلال وباطل ، وحابطٌ عند الله ، وإن كان يستهدف المثل العليا في أعراف الأخلاقيين .

فلو أن الدعوة الخلقية كانت وحدها ، هي الميراث الذي تَرِثُ به إيمان الإنسان أو كفره ، لحكنا على أولئك اليهود الملعونين بأنهم بررة يَتَّبِعُونَ في الحارِيب المقدسة ! لو كانت الدعوة الخلقية وحدها ، هي أساس الحكم على الإنسان بأنه مسلم أو غير مسلم ، لدخل تحت الحكم بالإسلام كل زلديق وملحد وكافر ، فما منهم من أحد إلا ويدعو إلى الأخلاق الفاضلة .

العقيدة الصافية هي ملاك الأمر كله ، وروح الدين كله ، وهي التي تقوم العمل والخلق بالخييرية أو الشريرة في نظر الإسلام ، وهي التي لها المقام الأول والاعتبار الأسمى عند الله سبحانه . ثم تمثل ما تقتضيه تلك العقيدة الصافية في حياتنا أخلاقاً وسوكاً ودعوة ، واتباعاً صحيحاً لهدى الله وحده .

ليس المهم ما تتخاطق به ، أو تقوله ، أو تعمله ، بل الأهم قبل كل شيء ما تعتقده . اذكروا مرة أخرى ، بل اذكروها دائماً ، تلك هي الآية التي يقول رب العالمين فيها لمحمد : (٣٩: ٦٥) لئن أشركت ليحبطن عملك . والمُتَّبِعُ طبعاً ، هو العمل الذي يبدو خيراً في ذاته ، وإلا لما كان للتوعد بمحبوطه معنى . ولقد أشرك الصوفية إشرافاً خبيثاً ، وأخبرت ما فيه أنه يقن الناس عن حقيقته ، فيظنونونه توحيداً صافياً . لقد خدعتك الدعوة الخلقية في الصوفية عن عقيدتها ، فوزنت قولها في الأخلاق بميزانك العاطفي الذي يهتز مع الخديعة ، ويميل ظالماً مع الهوى ، ولكن زنها بميزان الحق والعدل من كتاب الله ، زنها بميزان التوحيد الخالص ، وثمّت ترى أنها الفتنة الخائلة ، وأن دعوتها الخلقية ليست إلا شيفاً رياء يحاول ستر عقيدتها للملحدة . اسمعوا ما يقول ابن عربي عن الله :

يا خالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهى كونه فيك ، فأنت الضيق الواسع
يصف الله بأنه خالق مخلوق . وبأن ذاته هي جميع ذوات أنواع الخلق ، وأنه
ما زال يخلق في نفسه ما لا ينتهى من أنواع الخلق ، فهو ضيقٌ ؛ باعتباره حقاً ؛ أى
مجرداً عن النعوت ، وهو واسع باعتباره خلقاً متنوعاً كثيراً لا ينتهى . واسمع إليه
يقول عن الله : « فذكر - أى الله - أن هويته هي عين الجوارح التي هي عينُ
العبد ، فالهوية واحدة ، والجوارح مختلفة ، ولكل جراحة علمٌ من علوم الأذواق
يخصها من عين واحدة تختلف باختلاف الجوارح » . يصف الله بأنه نفس جوارح
العبيد ، فيد السارق ، ويد القاتل ، ويد المرتشى ، ويد اللقمار ، ويد الخمور يتناول
بها الإثم . كل هذه الأيدي ، هي أيدي رب ابن عربى . والعين المختلسة والأذن
السارقة ، والشم المنين من الحرام ، كل أولئك من جوارح رب ابن عربى .
والمعارف الحسية التي نستمدّها من اليد والقدم والعين والسمع واللسان . إنما هي
معارف رب ابن عربى ؛ لأنه عين تلك الجوارح كلها ! ويؤكد هذا بقوله :
« فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد وقواه ، وليس
العبد سوى هذه الأعضاء والقوى ، فهو - أى الله - حقٌ مشهود في خلق متوهم ،
فالخلق معقول ، والحق محسوس مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود »
أرأيت إلى غلواء الزندقة في دين ابن عربى ؟ ! ، إنه يزعم أن الخلق شيء
معقول ؟ ! أما الله - سبحانه - فشيء محسوس ! ؛ لأنه عين ما ترى عينك ، وتسمع
أذناك ، أما « الخلق » فصفة ، أو وجهٌ من وجوه الحق سبحانه ! ، ويؤكد ذلك
مرة أخرى بقوله : « ثم تممها الجامع للكل محمد صلى الله عليه وسلم ؛ بما أخبر به عن
الحق : بأنه عين السمع والبصر واليد ، والرجل واللسان ، أى : هو عين الحواس »
و بقوله : « تحققتنا بالفهوم وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء ، والأشياء محدودة
وإن اختلفت حدودها ، فهو محدود بحد كل محدود ^(١) » ربه عين كل شيء !

(١) هذه النصوص كلها عن فصوص الحكم لابن عربى ص ٨٨ ، ١٠٧ وما بعدها =

ولكل شيء ، حَدَّ يُعْرِفُ به ، فكل تعريف هو تعريف لِكُنْه الذات الإلهية ،
إذ كل شيء عند ابن عربي هو عين الله !! فليطِرْ فسكرُك عبر الآباد والآلات
والآزال ، وَلِيَجُلْ خيالك في شتى الصور ، المستحيل منها والممكن ، فكل شيء
يراه فسكرُك ، ويلمحه خيالك ، هو رب ابن عربي . فسكر في المغول ، والصليبيين ،
وكل مستعمر سام العرب ، والمسلمين خَسَفًا ، أو هوانًا ، فسكر في الجاهليين
يُجَرِّعون صحابَ النبي العذاب ، فسكر في الصبيونيين اليوم ، وفيما يكيدون به
للإسلام ، فسكر في السفاحين الأوغاد ، فسكر في أولئك جميعًا ، وسل ابن عربي
وأخلاقه عنهم ، وثمت تسمع منهم : إنهم جميعًا الذات الإلهية ! أليسوا أشياء ؟
وابن عربي يقول : إن الله هو عين الأشياء جميعها ! أليسوا خلقًا ؟ وابن عربي
يقول : إن الله هو عين الخلق ؟ أليست لهم جوارح باغية مُلَطَّخَةٌ بالدم البريء ؟ !
وابن عربي يقول : إن الله هو عين كل يد وقدم وإنسان ! والصوفية المعاصرة تعبد
ابن عربي ، وتدين بقدسيته ، وأتحداهم أن ينبذوه ، أو يعلنوا على الملأ كفره
ومروقه ؟ ! فإن فعلوا ، كان آية على أنهم خرجوا من دينه .

هذه بِحَاثِمٍ من عقيدة الصوفية ، فهل ينفعها أن تملأ الوجود بعد ذلك
بالدعوة إلى الخلق الفاضل ؟ إنها إذ تقول : اتق الله ، فإنما تعني به ربها الذي هو
الصخر الأصم والجيفة المنتنة ، تعني ربها الذي هو عين كل شيء ، وإذ تقول :
جاهد في سبيل الله ، فإنما تعني به وهما عَبْدَتُهُ رَبًّا يتعين بذاته في كل خلقٍ ! اقرأوا

== واقرأ هذا النص : « إن الله لطيف ، فمن لطفه ولطافته أنه في الشيء للمسمى كذا
المحدود بكذا عين ذلك الشيء ، حتى لا يقال فيه إلا ما يدل عليه اسمه بالتواطؤ والاصطلاح
فيقال : هذا سماء وأرض وصخرة وشجر وحيوان وملك ورزق وطعام والعين
واحدة من كل شيء وفيه » ص ١٨٨ فصوص ط الحلبي ، يعني أن الله هو عين كل
هذه الأشياء وغيرها . فإذا عرفت شيئاً منها بتعريف ، فهذا التعريف صادق على الله
بالتواطؤ يعني أنه هو عين تعريف الله نفسه في جنسه وفصله ، فتأمل .

ذلك جيداً ، ثم نبشوني : أما زلتم أسارى الإعجاب بدعوة الصوفية الخلقية^(١) .
على أن الدعوة الخلقية الصوفية ، هي دعوة إلى الأخلاق السلبية^(٢) ، فحسب ،
إذ هي قائمة على الزهد المانوي ، فهي - على الزعم بأنها خير ، ودون التفات إلى
معتقداتها - لا تصلح لأمة تريد أن تقود الحياة بقوة الحق والعدل إلى الخير العام ،
وأن تزعم العالم في سلام وأمن . تريد الوثبة الجريئة المقدمة التي تسخر كل
شيء أذن الله لها فيه في سبيل تحقيق قيمها الرفيعة المؤمنة . تريد الحياة دفاقة
التيار ، زخارة المشاعر بالحياة المتدفقة ، المندفعة دائماً إلى الأمام ، جياشة الليل
والنهار بالعمل الدائب المنتج المثر ، والجهاد في سبيل أن تكون كلمة الله هي
العليا ، إنما تصلح دعوة الصوفية الخلقية - بذلك الاعتبار نفسه - لجماعة تعيش في
الكهوف ، أو المغاور ، أو على قنن الجبال في الحس الهامد ، والشعور الخامد ،
والوجدان الأصم البليد ، وكل إنسان فيها منطوق على نفسه . لجماعة تقطعت
أرحامها ، فعاش كل فرد فيها لنفسه ، يسخر ليله ونهاره لنفسه ، دون أن يحول
عينيه وغاياته عن نفسه وحدها ! فهي أخلاق تطفح بالآثرة الضيقة المكتومة
الخائفة ، والفردية التي ترى الدنيا لها وحدها ، وتعمل ؛ ليكون كل شيء لها
وحدها ! إنها رهبانية تسرى فيها قشعريرة الخوف المذعور من الحياة ، ورعدة
الفرق القلق من المجتمع . رهبانية تعيش في غيابة الخمول الأسوان وراء الوجود

(١) يمتاز الإسلام في دعوته الخلقية بأنه يدعو إلى أقوى وأعز الأخلاق الإيجابية
وإلى أقدم الأخلاق السلبية ، فهو لا يطلب منك ألا تفعل الشر فحسب ، بل يأمرك
أن تفعل الخير ، فهو يأمر مثلاً بالجهاد والسعى في سبيل الرزق ، وينهى عن الرهبانية
والسرقة . يتجلى لك ذلك في قوله سبحانه : (١١٠ : ٣) كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر) وفي قوله : (٢٢ : ٧٧) وافعلوا الخير لعلكم
تفلحون) وقوله : (٢٢ : ٣٠ ، ٣١) فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور
حنفاء لله غير مشركين به) بل يتجلى لك ذلك أي جانب الإيجاب وجانب السلب في
عقيدة التوحيد (٤ : ٣٦) واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً .

الإنسانى ! تَصْلُحُ لجماعة تعيش للعدم الميت ، لا للحياة الشاعرة بذاتها وَمُقَوِّمَاتُهَا ، تعيش للوحدة الكابية الساهمة المحتضرة ، لا للجماعة التى يعمل فيها كل إنسان لنفسه ، ولبن معه ، وتعمل الإيثار النبيل شعارها ، وابتغاء مرضاة الله فَلَكَ حَيَاتُهَا وَغَايَاتُهَا وبواعثها . فدعوة الصوفية الأخلاقية . فِرَارٌ ذليل من الحياة ، وَجَبْنٌ يرتجف من الحياة ، وَتَفَرُّدٌ موحش فى تيه الوحدة الداهلة القاتمة ، وَقَتْلٌ ظُلومٍ لقوى الإنسانية المسكخة فى سبيل تقدم الحياة ، وكفران بأبغ بما أنعم الله به على الإنسان من قوى ؛ ليعمل باسم الله مايعمله لنفسه ، وللجماعة التى يجب أن يشيد صروحها سادقات عاليات الدرى .

ويزعمون أن الصوفية جاهدت حتى نشرت الإسلام فى بقاع كثيرة ! ، ولقد علمت مادين الصوفية ؟ ! فما نشروا إلا أساطير حقا . وخرافات بلباء ، وبدعاً بآقاء شوهاء ، مانشروا إلا وثنية تؤله الحجر ، وتعبد الزم ! مانشروا دينهم إلا فى حماية الغاصب المستعمر ، وطوع هوى الغاصب المستعمر ، فعدو الإسلام ، يوقن تماماً أن البدع ، هى الوسيلة التى تصل إلى الهدف دائماً ، لى يقضوا بها على الإسلام وأهله ، فَعَلَمًا قديماً ، ويفعلها حديثاً . وقرأوا تاريخكم إن كنتم تُمْتَرُونَ ، أرونى صوفياً واحداً قاتل فى سبيل الله ؟ ! أرونى صوفياً واحداً جالد الاستعمار ، أو كافه ، أو دعا إلى ذلك ^(١) ؟ ! إن كل مَنْ نُسِبَ إليهم

(١) سقط بيت للقدس فى يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ والغزالي الزعيم الصوفى الكبير على قيد الحياة ، فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعوراً واحداً ، ولم يجر قلمه بشئ ماغنه فى كتبه ، لقد عاش الغزالي بعد ذلك ١٣ عاماً إذ مات (سنة ٥٠٥ هـ) فما ذرف دمعة واحدة ، ولا استنهض همه مسلم ! لينود عن الكعبة الأولى ، بينما سواه من الشعراء يقول :

أحل الكفر بالإسلام ضيا يطول عليه للدين النحيب
وكم من مسجد ، جعلوه ديرا على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوف وتخريق الصاحف فيه طيب

مكافحة المستعمر - وهم قلة - لم يكافحوه إلا حين تخلى هو عنهم ، فلم يعلمهم السحت من يديه ، ولم يبيع لهم جَمَعَ الفئات من تحت قدميه ، وإلا حين قهرت فيهم عزّة الوطنية ، ذل الصوفية ، ققاتلوا حِمّة ، لالدين^(١) . ثم أقرأوا ما كتب الزعيم مصطفى كامل في كتابه : المسألة الشرقية : « ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان ، أن رجلاً فرنسائياً دخل في الإسلام ، وسمى نفسه : سيد أحمد الهادي ، واجتهد في تحصيل الشريعة ، حتى وصل إلى درجة عالية ، وَعَيَّنَ إماماً لمسجد كبير في القيروان ، فلما اقترب الجنود الفرنسية من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها ، وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد ، يعتقدون فيه ، فدخل « سيد أحمد » الضريح ، ثم خرج مُهَوَّلاً لم بما سينالهم من المصائب ، وقال لهم : بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم ؛ لأن وقوع البلاد صار محتتماً ، فاتبع القوم البسطاء قوله ، ولم يدافعوا عن القيروان أقل دفاع ، بل دخلها الفرنسيون آمنين^(٢) » وحين أغار الفرنجة على المنصورة قبل منتصف القرن

==أهز هذا الصريح الموجه زعامة الغزالي ؟ كلا . إذ كان عاكفاً على كتبه يقرر فيها أن الجمادات تخاطب الأولياء !! ويتحدث عن الصحو والحو . دون أن يقاتل ، أو يدعو حق غيره إلى قتال !! وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية ، فلم نسمع عن واحد منهما أنه شارك في قتال . أو دعا إلى قتال ، أو سجل في شعره أو نثره آهة حسرى على الفواجع التي نزلت بالمسلمين لقد كانوا يقرران للناس أن الله هو عين كل شيء ، فليدع المسلمون الصليبيين ، فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصور . هذا حال أكبر زعماء الصوفية وموقفهم من أعداء الله !! فهل كافوا غاصباً أو طاغياً ؟

(١) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاقل حمية ، ويقاقل رياء . أى ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا » رواه البخاري ومسلم والترمذي .

(٢) ص ٢١٢ المسألة الشرقية للزعيم مصطفى كامل « نقل عن ص ١١ من كتاب التصوف في الإسلام للدكتور عمر فروخ » .

السابع الهجرى ، اجتمع زعماء الصوفية ! أتدرى لماذا ؟ ! لقراءة رسالة القشيري والمنقشة في كرامات الأولياء^(١) ! : « من أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا المستعمرين ، ينفذون على الصوفية الجاه والمال ، فرب مَقْوُوض سام ، لم يكن يرضى أن يستقبل ذوى القيمة الحقيقية من وجوه البلاد ، ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر ، ويقضى هنالك زيارة سياسية تستغرق الساعات . أليس التصوف الذى على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة فى الأمم ؟^(٢) » ثم إن كل من نسبت إليهم الصوفية أنهم جاهدوا فى سبيل الله ، وعملوا على نشر الإسلام ، ليسوا صوفيين ، وإنما حشرتهم الصوفية فى زمرتها زوراً وبهتاناً ، وأستاذها فى ذلك الشيعة^(٣) . لقد سمي الصوفية رسول الله صوفياً ، ومثله الخلفاء ، وَكُلُّ بطل عبقرى فذ من المسلمين زعموا أنه صوفى ! ! هذا ؛ ليخدعوا المسلمين بهؤلاء عن زعمائهم من طواغيت الصوفية ! وليفتنوا المسلمين بزعمهم أن أولئك القديسين الأبطال كانوا بعض أئمة الصوفية ! والتاريخ يذكر أن لقب « صوفى » لم يُبْتَدَع إلا فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، وأن أول من لقب به هو « أبو هاشم الكوفى » فأرونى صوفياً واحداً كان له فضل خير على الإسلام ؟ ! .

أجيبوا يامن فتنت الصوفية عن الحق عقولكم ! لا تأتونى يا أسارى الصوفية بأقوالهم فى الأخلاق ، ولكن اتونى بعقائدهم ، ثم زنوها بالقرآن ، إن كنتم به مؤمنين ! لا تقولوا : قال فلان الصوفى : كذا فى الأخلاق ، أو فعل كذا مما هو فى مظهره حق وخير ، ولكن قولوا قبل كل شيء : إنه يعتقد كذا ، فالصوفية تزعم أنها الحقيقة فى الإسلام ، وروح عقيدته . والأخلاق ليست إلا بنت العقيدة ،

(١) الطبقات للشعرانى ط صبيح ج ١ ص ١١

(٢) مابين القوسين من كلام الدكتور فروخ فى كتابه « التصوف فى الإسلام »

(٣) يذكر الشيعة فى كتب طبقاتهم كثيراً من أئمة أهل السنة وينسبون إليهم

أقوالهم أبرياء منها ، كل هذا ليفتنوا المسلمين عن طريق ذكر هؤلاء البررة .

والإسلام قبل كل شيء ، إنما يتلى العقيدة أو النية ، فإن كانت النية ، أو العقيدة كما يحبها الله ، اعتبر ما يصدر عنها من فعل صائب خيراً ، وجازى عنه بالخير ، وإن لم تكن العقيدة خالصة ، فكل عمل يصدر عنها ، فهو هباء ، وإن كان في مظهره أعظم الخير^(١) . اسمعوا قول الله : (٤ : ٤٨) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) ثم قوله تعالى : (٩ : ١٠٢) وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا ، وَآخَرٌ سَيِّئًا ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ففي العقيدة لا يقبلها إلا خالصة نقية ، أما في العمل ؟ اقرأوا الآية ؛ لتعرفوا الجواب لقد افترت الصوفية على الله ما لم تفكره زندقة من قبل ، فجعلته هو عين خلقه .

اقرأوا هذا الكفر لابن عربي : « فالحق مُحَدُّودٌ بِكُلِّ حَدٍّ ، وصور العالم لا تنضب ، ولا يحاط بها ، ولا تعلم حدود كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته ؛ فلذلك يُجْهَلُ حَدُّ الحق ، فإنه لا يُعْلَمُ حَدُّه إلا بعلم حد كل صورة^(٢) » يقول : إنه لا يمكن تعريف الله ، لماذا ؟ لأن الله هو عين كل شيء ، فنحتاج في تعريفه إلى الأخذ بتعريف كل صورة من صور الوجود ؛ إذ هو عينها ، وصور العالم لا تنضب ، ولا تنهاى ، فتعريفه سبحانه ، لا يتناهى تبعاً لذلك ! والصوفية تفترى على نوح أنه لم يحسن أداء رسالته ؛ إذ دعا قومه إلى الشريعة ، ولم يدعهم إلى الحقيقة . دعاهم إلى الظاهر ، لا إلى الباطن ، ثم تحكم الصوفية على قوم نوح المشركين بأنهم أجابوا دعوة الله بالفعل ، وأنهم فهموا الحق الذى ستره عنهم نوح ، فعموا بالمستور ، فكانوا من المفلحين ، وتحكم بأن نوحاً نفسه أثنى عليهم لعبادتهم الأصنام^(٣) . ثم اقرأوا قول ابن عربي فى الباب ١٢٩ من الفتوحات المسكية

(١) كما فعل ذلك الصوفى الكبير الإنجليزى المال والعاطفة ، فبنى داراً كبيرة لعلاج الفقراء ، لقد كان « المندوب السامى الإنجليزى » يذهب إليه فى كل عام لياً كل عنده « الفتة » هو ورجال سفارته .

(٢) ص ٧٠ فصوص الحسك ط الحلبي ج ١

(٣) ص ٧٠ وما بعدها فصوص « انظر القص النوحى »

لا ترَاقِبُ، فليس في الكون إلا واحد العين ، فهو عينُ الوجود -
ويُسمَّى في حالة بَالِهٍ وَيُكَنَّى في حالة بالعيد
ترى ، هل ستظ_\ون معرّين على أن الصوفية دعوة إلى الأخلاق المثالية ،
وأنتم تعرفون أن الإصرار على كلمة كفر واحدة تمحو من سِجِلِّ الإنسان كل كلمة
مؤمنة ، والصوفية مصرة على كلماتها الكافرة !! .

خلاصة دين الصوفية

ونختص لك دين الصوفية في كلمات قصار . أما في الوجود فيدينون بأن
المطلق منه عينُ المَقِيد ، أو نفسُ الْعَيْنِيَّ التَّقْوَمُ بخصائصه في هذا ، أو ذاك من
الأشياء ذات الكيان لحدى ، أو بمعنى آخر : يرون أن الله هو عين خلقه ، وأما في
الاعتقاد ، فيدينون بأن الكفر والإيمان ، أو الشرك والتوحيد ، اسمان لحقيقة واحدة
أو مترادفان لهما مدلول واحد ، وأما في الدين ، فيرون السماوى منه عين الوُضْعِيَّ ،
فَمَنْزُلُ الأول ، هو الله ، باعتباره حقيقة مُجَرَّدَةٌ عن النعوت الإيجابية أو السلبية ،
أو الإضافية ، وواضحُ الثانى هو الله - وتعالى جَدُّ رَبَّنَا - باعتباره متجسدا في
صورة بشرية !! وأما في الجزاء الأخرى ، فيلتقى عندهم طرفاه الثواب والعقاب
فالنعيم في الفردوس عين العذاب في جهنم . كلاهما عين الآخر في الحقيقة والأثر !!
وأما في الفكر ، فيدينون بأن الحقيقة عين الخرافة أو الأسطورة ، وبأن الحق
والباطل ، أو الصواب والخطأ يتحدان في الدلالة ، وكلاهما مقياس صحيح لصاحبه ،
وأما في الأخلاق ، فيدينون بأن الخير والشر ، أو الفضيلة والرذيلة سواء في الباعث
والغاية وفي القيمة ، وإن شئت حديثاً أكثر اختصاراً ، قل : إن خلاصة دين
الصوفية ، وفكرها وخلقها : لاتقابل ، لاتضاد ، لاتناقض ، إذ الكل ذات واحدة ،
هى ذات الله سبحانه . أو كما يقول ابن عربى : « ما في الوجود مثل ، فما في الوجود
ضد ، فإن الوجود حقيقة واحدة ، والشئ لا يضاد نفسه ^(١) »

خلف الصوفية كسلفهم

قد يقول قائل: مالنا ، ولابن عربي وغيره ، فتلك أمة قد خلت ، ومالها من أثر ! ولكني أقول لهذا الذي خدعته الصوفية عن شئها ، فسقته إياه بحسبه عسلاً مُصنًّى : نحن لانحارب أناسا ، وإنما نحارب تراناً وثنياً ، آمن به سلف الصوفية على أنه الروحانية القدسية في الإسلام ، وعاثوا به فساداً في عقائد المسلمين . والصوفية المعاصرة ، تدين بمادان به سلفها كابن عربي وابن الفارض ، وفي تقديس كهنه الصوفية لذكرها ، وفي التغني بشعرها الوثني في نشوة سكرى . في ذلك كله بُرْهَانٌ على أن الصوفية للمعاصرة ، امتدادٌ طويل عريض عميق لدين ابن عربي والشعراني ! إنها تتعبد بكل ماخلفت الصوفية السالفة من تراث ، وتقديس ما كتب أحبارها ، وتبشر به على أنه تجليات الروح الإلهي ، وتؤمن به إيماناً عميقاً ، يسلب الفكر ، ويختلب البصيرة ، ويهوى بالنفس إلى غَوْرٍ سحيق من الإلحاد ، بل ربما أذنت لك الصوفية في الطعن على كتاب الله ، وتثور وترغى وتزبد إذا مسست كتاب صوفي زنديق بسوء . ولئن أنكرت مرة على طبقات الشعراني ما فيها من خطايا ، لرموك بمعنى البصيرة .

كل صوفي هو ابن عربي في زندقته ، وابن الفارض في وثنيته ، والشعراني في خياله وخطاياهم . تدبر أورادهم اليوم ، وقصائدهم التي يرقصون بها رواد حانات الذكر ! تدبر نعيمهم في كل لحظة بالهامدين ، نجد دليل ما أقول . ألا تسمع منهم : مدد ي أهل التصريف ؟ مدد يارئيسة الديوان^(١) ؟

(١) تأمل الججاج قبل الحج وبعد ترم يطوفون حول الأضرحة في مصر ، كأنما يريدون طمأنة أوثانهم أنهم على العهد مقيمون !! بل تأمل الأسطورة التي يبتدعها سدنة كل صنم ؛ إذ يزعمون أن من زار هذا الوثن ، أو ذاك سبع مرات ماشياً كتب له ثواب حجة !! زعموا هذا للبدوى في طنطا ، وللدسوقي في دسوق ، ولشبل في الشهداء !!

واسنمع إلى أولئك « المغمرين »^(١) « بدسملقت اندر ، تجدهم يتسابقون
إلى القول بأنهم : « يهود نصارى ، محوس » والدراو بش يصيحون من الفرح
الطوب : « اكفر ، اكفر » يأمري !

فرار الصوفية من النقد

زعم الصوفية أن من ينتقدهم ، يخرّد من رحمة الله ! يهولون بهذا قيذا ظلوماً
« للدراو يش » حتى لا يُعْطَمُوا أغلال الصوفية عن أعناقهم وقالوا : « وهذا الفن
من الكسب يجب ستره عن أشر الخلق : لما فيه من العلو ، فقوره بعيد »^(٢) !
باطنية منافقة . ويريدون به الصوفية إذا صعقتها صدمة الحق . وقالوا : « إذا
رأيت منتقدا على التصوف ، فقد منه فراك من الأسد ، واهجره »^(٣)
ترى هل يفر الصوفية من هذا النقد العادل ؟ ما أرتضى لهم أن يكونوا تحت
سطة هذا الجبن الرعيد ، ورهن هذا العجز الذليل ! !

وقالوا : « طريق الكشف والشهود ، لا تختمل المجادلة والردّ على قائله ،
وحرماته يعود على المنكر »^(٤) « كل هذا : ليظل ضحايا الصوفية عمى البصائر ،

(١) هم طائفة من الدراويش يجلسون بعد الذكر ، ثم يتبارون في إنشاد أزجال
أو أشعار يزعمون أنها إلهام ساعتهم ، وما زلت أذكر ذلك الرجل الهرم في قرية
« زواية البلى » وهو يقول عن الأقطاب :

ساعة يجونا عرب ساعة يجونا اعجام
ساعة يجونا نصارى لابسين زنار
ساعة يجونا سكارى من حدا الحمار

(٢ ، ٣ ، ٤) ص ٨ ، رسالة الفناء من مجموعة رسائل ابن عربي طبع الهند ،

ص ٨ إيقاظ الهمم شرح الحكم لابن عجيبة .

والقلوب ، محتوماً على سمعهم ، فلا يسمعون من أحد كلمة حَقٍّ تجادل باطلا صوفياً^(١) !!

أما أنا باسماحة الشيخ ، فسأظل إن شاء الله - ورعايته أستلهمها وعونه أستمدّه - أثيرها حرباً على الصوفية في تراثها الوثني، ومعتقداتها الفاسدة ، وما نبتغي بها سوى الزياد عن الحق ، ورضا الحق ، ولن يروعنا في حبيل الله منكم وعيد . نعم سأظل - وعلى الله توكلت - أحارب باطل الصوفية بالحق من كتاب الله . فإنها محسوبة على الإسلام ، بل يظن الكثير في أقطابها أنهم مشارق ربانية ، وينابيع نورانية ، ومثل عليا للروحانية ، فحق على كل مسلم تمزيق هذه الأفتنة التي نسجتها تهاويلُ الأوهام ، وأفانينُ الأساطير ؛ لكيلا يُحتجَّ على دين الله بدين الصوفية ؛ وليؤمن المسلمون أن الخير والهدى والسعادة في الاعتصام بكتاب الله وحده ، والافتداء بخاتم النبيين وحده ، فهو أخلص الخلق توحيداً لربه ، وأهداهم إيماناً به ، وأزكاهم طاعة ، وأشدهم تقاةً ، وأعرفهم بما نَزَّله الله عليه ، وهداه ، وهدى المسلمين به .

مزاعم كاذبة

تزعم الصوفية « أن التصوف صِفَةٌ لِلَّهِ^(٢) » ! وأن « من صدق بهذا العلم ،

(١) كان يحضر مجلس الدباغ رجل لا يعتقد فيه أنه ولي كبير !! فكان إذا حضر سكت الدباغ عن أساطيره الصوفية خشية أن يفضحه الرجل أمام تلاميذه، ثم قال لهم : « إذا حضر هذا الرجل فلا تسألوني عن شيء حتى يقوم » وروى أحد تلاميذه أنهم كانوا إذا سألوا الدباغ وذلك الرجل حاضر وجدوه - أي الدباغ - كما يقول تلميذه : « كأنه رجل آخر لا نعرفه ولا يعرفنا وكأن العلوم التي تبدر منه لم تكن له على بال » ص ٤٢ ج ٢ الإبريز . أعرفت سر سكوت الصوفية أمامك ؟ إنهم يخشون بطش الحق بهم أمام دراويشهم .

(٢) ص ١٤٨ طبقات الصوفية للسلي .

فهو من الخاصة ، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة ، وكل من عجز عنه ،
وتكلم فيه ؛ فهو النجم الذى لا يدرك ، وأن علم التصوف لا يستغنى عنه أحد ، وأن
نسبته إلى العلوم نسبة السكّلى لها ، ونسبة الشرط الذى لابد منه لتحصيلها ،
وأنه لا يوجد تحت أديم السماء أشرف من علم التصوف ، وأنه لن ينقطع ، حتى
ينقطع الدين^(١) « كأنما رسول الله ، وأصحابه كانوا من جهالة العوام !
وكأنما ابن عربى والشعرانى أعظم مقاماً عند الله من السابقين الأولين !
وكأنما العلم الحديث الذى فجر الذرة ، وسخر قواها ، وجعل من الحديد طيراً ،
كأنما هو غير مجيد فى تقدم البشرية ! لأنه ليس تصوفاً !

بل هذا معناه : أن اجاء به المتصوفة أفضل وأعظم مما جاء به خاتم النبيين !
أليسوا يقولون : « إنه لا يوجد تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم ؟ » والرسول
صلى الله عليه وسلم لم يكن صوفياً ، ولا دعا بدعوة التصوف !
فهل فى مقدور صوفى أن يثبت صدق تلك الزعم الكواذب ، والظنون
الشواحب البواهت كما ثبت بالحق الساطع أنها زيفٌ وبهتان ؟ !

مَرَحَى بِالْحَاجَّةِ

وهنا ينازعنى الإشفاق على شَيْبَتِكَ يا سماحة الشيخ ، وعلى نفسك الداوية
من هجير الأسى ، ولَفَحِ اللوعة المضنية ، بيد أنى أرى من الخير ، أن أصل ما بينى
وبينك بالإلحاف فى رجاء صادق ، هو أن تقرأ ، وأن تقرأ ! ولست بطامع فى أن
ترد على ما كتبت ! ترى أنْ يُخلف الشيخ الكبير ظنى^(٢) ؟

(١) ص ٧ ، ٨ كتاب إيقاظ الهمم شرح الحكم لابن عجيبة .

(٢) أعثرنى الله على كبير منهم فى منزل رجل كريم لا يعرف دين الصوفى الكبير
الذى كان على بينة من عدة لغات وعدة فلسفات ، ويتزعم طائفة كبيرة لها فروعها
للتنتشرة فى كل مكان ، فما هى إلا لحظات قصار ، حتى قهره الله بالحق من آياته ، مما
اضطره إلى أن يحكم بأن عقيدة السلف هى خير عقيدة . وهذا ديدنهم . فرار جبان ،
وكذب جبان !!

! يحل خطر منصبك بينك، وبين أن تشكو منا إلى النياحة، فلما أن أياسك عدلها من أن تظلم لك، شكوت إلى كل حكومة سابقة! فهل يحول بينك، وبين أن تذود عن الصوفية غائلة ساحقة ماحقة؟! إني ليخيل إلي أن الشيخ الكريم سيدعوني إلى مناظرة يشهدها الجم الغفير من أتباعه، فرحى مرحى بها، وإن كانت عند وثن الشعرائي! وإذا لم ينزع أحدكم إلى الرد، فسيؤمن الكثيرون أن الصوفية باطل جبان لا يعر بد بسورته إلا حين يغمض الحق عنه عينيه لحظة!.

وأصيخوا إلى قول الله: (٤٠: ٤١ - ٤٤) ويا قوم: مالي أدعوكم إلى النجاة، وتدعوني إلى النار، تدعوني! لا كفر بالله، وأشرك به ما ليس لي به علم، وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار، لا جرم أنما تدعوني إليه، ليس له دعوة في الدنيا، ولا في الآخرة، وأن مرّدنا إلى الله، وأن المُسرفين هم أصحاب النار، فسْتَذْكُرُون ما أقول لكم، وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد) فهلا أفضتُم إلى حُجى الله، وعلى إشراق الهدى من كتابه وسنة رسوله، نسعى في الوجود دعاة إيمانٍ وحق وتوحيد وإخاء وسلام؟!!

دعوة من الحب إلى الضحايا

أما أنتِ أيتها الضحايا المسكينة التعسة، وأنتِ ياقرايين الشهوات من الطواغيت، فليتهوى الباغى دماؤك المسفوحة، وللأوثان منك النُسكُ المُلحد. أيها الحيارى فى ظلمات الليل، وغَيَابَةِ النّيه، انظروا، وانظروا، فصَوَّبَ عيونكم داغِ كريمٍ حبيب، تنالُ البشائر على نُحَيَّاه، يدعوكم بالحب: أنْ هَلُمُّوا قبل أن يطويكم التّيه، وتجتاحكم عواصفُه، فبابُ التّوبَةِ مفتوحٌ على مصراعيه، وما على بابِه إلّا كل من يُرَحِّبُ بكم. ومن سَمَواتِ الهدى والتّقدسِ تسمعون قولَ الرّحمن (٣٩: ٥٣) قل: يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم،

لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوبَ جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم (٢٥ : ٧٠ - ٧١) إِلَّا مَنْ تَابَ ، وَآمَنَ ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا . فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ، وَمَنْ تَابَ ، وَعَمِلَ صَالِحًا ، فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) واحذروا ، فإن الله يقول : (٤ : ٤٨) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) فتعالوا إلى الله ، فما يترك من عرسي ، أو البدوي أن يقبل لكم متابا ، أو يغفر لكم ذنبا ، أو يبدل سيئاتكم حسنات ! أو يعفو عن زلة واحدة ! .

أيها التائبون في كهوف الظلمات ! عودوا إلى الحق من هدى الله الحق ، ثم انظروا حواليكُم حين تنيبون إلى الله ، وتعملون بهديه . ألا ترون الإسلام رَفَافَ الأولوية في عزة على قمة الوجود الإنساني كله ، وعلى الذرى المات من كل مناحيه ؟ ! ألا ترون هداية يناسم في رَحْمَةٍ شَرَفَةٍ وَغُرَابَةٍ ؟ ! ألا ترون الحياة فياضة الصفاء والبشر والخير ، تنعم بالسلام الوديع الرفيق الآمن ؟ ! ألا ترون القلوبَ ينابيع مَرَّةٍ للإخاء والحب والإيثار ؟ ! ألا ترون لِمَ يكون كله محارِبَ إيمان ، وِحْمَى حَقٍّ وَعَدْلٍ ، وَمَغَانِيٍّ سَلامٍ كَرِيمٍ ؟ ! لا تعجبوا إذا رأيتم ذلك كله فإنه وعد الله العلي الكبير القدير : (٢٤ : ٥٥) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ، كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي ، لَا يَشْرَكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) بكل هذا يحققه الله للمسلمين إذا هم أخلصوا لله وحده دينهم ، وَعَدَّ اللَّهُ لَن يَتَخَلَّفَ ؛ لأنه الكريم القدير ، وقد حقق الله سبحانه وعده لحمد صلى الله عليه وسلم ، ولأصحاب محمد ، ولكل من سلك بالحق سبيل محمد ، وسيحققه لكم إذا اتبعتُم سبيله .

دعوة صادقة الحب أيها الحيارى : لا مَنَجَّةَ لكم من آلامكم وأحزانكم ، ومن الخوف الذي يعصف بكم ، والقلق الذي تضطرب به مشاعركم ، لا منجاة

لكم من تلك الهموم الساجية إلا إذا لُذتم بحمى الله وحده^(١) ، تؤمنون به ،
وتتدبرون آياته ، وتهتدون بهديه ، وتقتدون برسوله وحده (٨ : ٢٤) يأيها
الذين آمنوا استجيبوا لله ، وللرسول ، إذا دعاكم لما يحبيكم ، واعلموا أن الله يحول
بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تُحشرون) .

(١) لاذ الصوفية بفاروق ، وأفاضوا إليه عبداناً يشكرونه على أن منح شيخهم
كسوة ، وبين يدي فاروق ، وقف شيخ الصوفية بخطب عابداً شاكراً ، فقال عن
الكسوة : « إنها يامولاي رمز لما أعطاك الله من مواهب ، وعنوان لفيض من
فيوضاته سبحانه على قلب فاروق الطاهر تكشف عن مدى طهر وضعه الله فيك ،
فصفت روحك الطيبة . وإن هذا التكريم للصوفية إنما هو قبس من قلبك النقي
ينير لنا الطريق ، ويهديننا سواء السبيل ، فك نستضيء ، ومن هديك نسترشد ،
ومن روحك العالية نستمد الإلهام والهدى وإنى إذ أتشرف بالوقوف بين يديك
اليوم أقطع على نفسى عهداً وثيقاً أن أكون لجلالتك المخلص الوفي أمدك الله يامولاي
بروح من عنده ، وألبسك حلة من مجده ، وأيدك بمجد من جنده ، وأعانك بعونه
وكفلك بعين رعايته » اقرأ الصحف الصادرة بتاريخ ١٩٤٧/٣/٢٥ . فهل يذكر
الصوفية ؟ « بك نستضيء » تقديم الجار والمجور يفيد قصر استضاءتهم على
فاروق ؟ فهل يذكرون ؟ « من هديك نسترشد » هكذا ؟ بتقديم الجار والمجور ؟
هذا معناه أن الصوفية لم تكن تهتدى بشيء إلا بهدى فاروق !!

خاتمة

وإني - وقد ناضلت الصوفية بهدى الله - أعرف أن هذا النضال يثير على
بغى أحقادهم ، ويقف بي على شفا خطر يذمهم بفتنة منهم بجوره ، غير أنى أومن
بهذه الحكمة الرائعة المؤمنة : « لأن يكون الناس جميعاً عدواً الى فى الدنيا ، خير
من أن يكون الله وحده خصمى يوم القيامة » وأجعل من هذه الآية الكريمة
مناراً الى (١٢ : ١١٠) حتى إذا استتأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم
نصرنا ، فنَجَّيْنا من نشاء ، ولا يُردُّ بأسنا عن القوم الجرمين) هذا وعد الله
لرسله ، ووعد له لأتباع رسله . فليتدبر الصوفية ! وليتشكروا الى النيابة ما شاءوا ،
فلن ترى النيابة فيمن يدلها على الجنة جانياً ، ولا فى ردِّ العدوان عن كل مقدسات
الدين والفضيلة ، وقيم الفكر جريئة ! والصوفية بغى وفتنة مجنونة الأحقاد ،
غير أنها تختال عذراء طاهرة ألم بها ظن مرتاب ، وملائكية تسلسل الوحي
فى فجر الحراب !

ولن أضع القلم - وحسبى الله - إلا إذا أصميت الصوفية ، وأدميت ، أو إلا
إذا تهدمت أنا ، أو قضيت ! فلن تخشى صولة الحق ، سورة الباطل ، ولكن
كل هذا لن يمس قلوبنا بمقد ، ولا نفوسنا بضغينة ، بل إنه ليرفع بأيدينا
- ومن خلفها قلوبنا نحتمها - فى ضراعة خاشعة الى الله أن يهب لنا ، وللصوفية
الإيمان الحق ، وأن يهديهم سبيل الإسلام .

(٣ : ٨ ربنا لا تزعج قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ؛
إنك أنت الوهاب) .

عبد الرحمن الوكيل

وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

مراجع الكتاب ومصادره

١٥ خلاص النفوس في الصلوات والطقوس	القرآن الكريم
١٦ مكاتيب عبد البهاء	كتب السنة
كتب الصوفية	٢ جامع الأصول في أحاديث الرسول
١٧ فصوص الحكم لابن عربي ^(١)	٣ دليل الفالحين شرح رياض الصالحين
١٨ الفتوحات المكية » »	٤ الجامع الصغير للسيوطي
١٩ مجموعة رسائل ابن عربي طبع الهند	كتب تفسير
٢٠ مواقع النجوم لابن عربي	٥ تفسير ابن كثير
٢١ ذخائر الأعلام » »	٦ » ابن القيم
٢٢ ديوان عمر بن القارض طبع بيروت	٧ » الزمخشري
٢٣ شرح الديوان للبوريني والناقلي	كتب لغة
٢٤ كشف الوجوه الغر للقاشاني	٨ القاموس المحيط
٢٥ الإنسان الكامل للجبلي	٩ معجم مقاييس اللغة لابن فارس
٢٦ تذكرة الأولياء للعطار	كتب دينية إسلامية وغيرها
٢٧ الطواسين للحلاج	١٠ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية
٢٨ أخبار الحلاج	١١ مجموعة الرسائل الكبرى » »
٢٩ اللمع للطوسي	١٢ العلم الشامخ للمقبلي
٣٠ التعرف لمذهب أهل التصوف	١٣ حاشية الصاوي على الخريدة
للكلاباذي	١٤ العهد القديم

(١) اعتدنا بأربع نسخ بتحقيق الدكتور عفيفي
(٢) بشرح القاشاني (٣) بشرح جاني (٤) بشرح بالي افندي

٥٢	بلغة المريد للبكرى	٣١	قواعد الصوفية للشعراني
٥٣	مجموعة الأحزاب طبع استامبول	٣٢	اليواقيت والجواهر »
٥٤	رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني	٣٣	الكبريت الأحمر »
٥٥	منحة الأصحاب للربطى	٣٤	لطائف المنن »
٥٦	الهبات المقتبسة لمحمد عثمان	٣٥	مطلع خصوص الكلم للقيصرى
	كتب مؤلفة عن الصوفية	٣٦	إحياء علوم الدين للفزالى
٥٧	ابن الفارض والحب الإلهى للدكتور محمد حلى	٣٧	مشكاة الأنوار »
٥٨	الصوفية فى الإسلام لنيكلسون	٣٨	قوت القلوب لأبى طالب المكي
٥٩	فى التصوف الإسلامى »	٣٩	جامع الأصول فى الأولياء للكشخاني
٦٠	الإنسان الكامل للدكتور بدوى	٤٠	إيقاظ الهمم بشرح الحكم لابن عجيبة
٦١	شطحات الصوفية » »	٤١	الفتوحات الإلهية » »
٦٢	شهيدة العشق الإلهى » »	٤٢	جواهر المعانى لعلى بن حرازم
٦٣	التصوف الإسلامى لزكى مبارك	٤٣	رماح حزب الرحيم لعمر بن سعيد
٦٤	التصوف فى الإسلام للدكتور فروخ	٤٤	الإبريز للديباغ
٦٥	مشتهى الخارف الجانى للشنقيطى	٤٥	تائية ابن عامر البصرى
	كتب التاريخ والتراجم والطبقات	٤٦	النفحات الأقدسية لمحمد بهاء الدين البيطار
٦٦	وفيات الأعيان لابن خلكان	٤٧	القول الفريد لمحمد دمرداشى
٦٧	نفح الطيب للعقري	٤٨	معرفة الحقائق » »
٦٨	ميزان الاعتدال للذهبي	٤٩	روض القلوب المستطاب لحسن رضوان
٦٩	لسان الميزان لابن حجر	٥٠	مفتاح الفلاح لابن عطاء الله
٧٠	طبقات الشافعية للسبكي	٥١	المجموعة الدمرداشية
٧١	مجائب الآثار للجبرتي		

٨٤ الفلسفة الشرقية لطلاب	٧٢ حضارة العرب امتشاف لوبون
٨٥ الفلسفة في الشرق لبول ماسون	٧٣ تاريخ العرب العام لسيدو
٨٦ المدخل لجوتيه	٧٤ » » » لفيليب حتى
٨٧ عقيدة الشيعة لرونلدسن	٧٥ مصر لأدولف إرمان
٨٨ العقيدة والشرعة لجولد زهير	٧٦ المصريون المحدثون للمستشرق لين
٨٩ مذاهب التفسير »	٧٧ الحرب الصليبية الأولى لحسن حبشي
٩٠ الفكر اليهودي جمع دكتور	٧٨ فجر الإسلام لأحمد أمين
هرمس	٧٩ لواقح الأنوار «الطبقات» للشعراني
٩١ التراث اليوناني للدكتور بدوي	٨٠ الرسالة للقشيري
مراجع عامة	٨١ طبقات الصوفية للسلمي
٩٢ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة	٨٢ الكواكب الدرية للمناوي
٩٣ الكلبيات لأبي البقاء	٨٣ طبقات الشاذلية للكوهني
٩٤ التعريفات للجرجاني ^(١)	كتب فلسفة

(١) ملحوظة : لم تذكر تواريخ طبع هذه الكتب ولا أسماء مؤلفيها كاملة ،
إذ ذكرنا ذلك في متن الكتاب نفسه .

قهرس

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
سجود الملائكة لابن الفارض	٣٣	المقدمة	٣
إله ابن عربي	٣٤	شكوى ومعدرة	١٥
تصويبه لعبادة الأصنام	٣٤	الآمل في شيخ الصوفية	١٤
ربوبية كل شيء	٣٨ ، ٣٥	خفية للصوفية	١٥
الرب إنسان كبير	٣٥	إباحة الأم والأخت في الصوفية	١٦
صور العالم هي الله سبحانه	٣٦	التجلى في صور النساء	١٦
رب الصوفية وجود وعدم	٣٧	واجب شيخ الصوفية	١٧
تجسد الإله الصوفي في المرأة	٣٩	لماذا أكتب للشيخ ؟	١٨
الإله الصوفي شيء مادي	٤٠	دين الصوفية	١٩
لماذا عبد ابن عربي المرأة ؟	٤٢	زعمهم أن القرآن شرك	١٩
فقر الإله الصوفي	٤٣	« » الدين شريعة وحقيقة	٢٠
إله الجليل	٤٣	وسيلة المعرفة الصوفية	٢١
زعمه أنه الرب الأعظم	٤٤	إله ابن الفارض	٢٤
رب الصوفية متناقض في ذاته	٤٦	زعمه أنه هو الله	٢٥
إله الغزالي	٤٨	الصحو والحو عند الصوفية	٢٦
الغزالي يدين بوحدة الوجود	٤٨	ابن الفارض هو المعبود الأكبر	٢٩
تعظيمه للحلاج	٤٩	عبادة الأنوثة وسببها	٣٠
رأى المستشرقين في الغزالي	٥٠	مجنون ابن الفارض	٣١
خطر وحدة الوجود على الإسلام	٥١	كل أنثى ذات إلهية	٣٢
دندنة الغزالي بوحدة الوجود	٥٢	العشاق هم الذات الإلهية	٣٢

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٥٤	طعنه على توحيد المسلمين	١٠٤	هَتَكَ العورة دينٌ صوفى
٥٧	أصنام صغيرة	١٠٥	تطور الصوفيين إلى وحوش
٦٥	رأى المستشرقين فى التوحيد	١٠٦	جريمة قوم لوط كرامة صوفية
٦٨	صوفى يهتك عرض دابة	١٠٧	رِمةٌ تتصرف فى الوجود
٧٠	إيمان الصوفية بكتبهم	١٠٨	التنكر للعقل وللشرع
٧٠	زعمهم أنها أسرار ورموز	١٠٩	الولى يعصى ويشرب الخمر
٧٣	أطوار الوجود الصوفية	١١١	صوفى يدبر الأمر
٧٤	الحقيقة المحمدية	١١٢	الكلاب أولياء الصوفية
٧٥	زعمهم أن محمداً هو الله والرد عليهم	١١٤	طعن المستشرقين على المصريين
٨١	محمد يتصرف فى أقطار الأرض		بسبب الصوفية
٨٢	أشرف صفات الرسول	١١٧	الصوفية يقولون للشيء كن، فيكون
٨٤	آراء المستشرقين فى الحقيقة المحمدية	١٢٠	سماع الجادات والطواف بالملكوت
٨٧	أَكُلْ شَيْءَ من نور محمد ؟	١٢١	صوفى يضمن الجنة لمن يطعمه
٨٩	أكان محمد يعرف القرآن قبل نزوله ؟	١٢٢	الملكوت فى بطن صوفى
٩٣	وحدة الأديان	١٢٣	الدسوق يملك الجنة والنار
٩٤	نفهم تعذيب الكفار	١٢٤	السرقه كرامة صوفية
٩٥	الحكم بنجاة فرعون	١٢٤	القطب وأعوانه وحقيقته
٩٦	كل الأديان الباطلة حق	١٢٧	خاتم الأولياء وتقضيله على
٩٦	الحكم بنجاة إبليس		كل الرسل
٩٧	وحدة الأديان عند ابن الفارض	١٢٩	ادعاء كل شيخ أنه الخاتم
٩٩	عبادة الشيوخ وكراماتهم	١٣٠	لماذا فُضِّل خاتم الأولياء ؟
١٠١	آراء المستشرقين فى التوسل	١٣١	الديوان الباطنى
١٠٢	صوفى يخطب الجمعة عارياً		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٣٣	عدد أجساد القطب الكبير	١٦٣	دعوة الصوفية الأخلاقية
١٣٣	تقاتل الأقطاب	١٦٣	المقيدة هي الفيصل
١٣٣	للأقطاب التصرف في كل العوالم	١٦٥	أدعية يهودية
١٣٦	دعوى الزهد وأصله	١٦٧	ما رب الصوفية مرة أخرى ؟
١٤١	الذكر الصوفي	١٦٩	أخلاق الصوفية سلبية
١٤٣	» » بدعة يهودية	١٧٠	الغزالي وسقوط بيت المقدس
١٤٤	كيفية الذكر وصيغته	١٧١	لم يكافح الصوفية في سبيل الله
١٤٥	لا يجوز الذكر ببعض أسماء الله	١٧٣	صور الوجود هي الإله الصوفي
١٤٦	ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم	١٧٤	خلاصة دين الصوفية
١٤٧	عبادة الصوفية	١٧٥	خلف الصوفية كسلفهم
١٤٨	التيجاني يفضل ورده على القرآن	١٧٦	فراز الصوفية من النقد
١٤٨	دعاوى الصوفية وأدعيتهم	١٧٧	مزاعم كاذبة
١٥٢	امرأة فرعون ورابعة	١٧٨	مرحى بالحاجة
١٥٥	أنماط من أدعية غير المسلمين	١٧٩	دعوة حب إلى الضحايا
١٥٨	أدعية صوفية	١٨١	خطبة الصوفية بين يدى فاروق
١٦٠	وصف الجبرتي للموالد	١٨٢	خاتمة

يطلب من
عباس احمد الباز
المروة - مكة المكرمة

